

أعلام الظرفاء

إعداد

دكتور/ رجب محمود إبراهيم بخيت



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : 4 ميدان حليم خلف بنك

فيصل

ش 26 بوليوتيكال سيتي 0100004046 -

بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: أعلام الظرفاء
إعداد: رجب محمود إبراهيم بنحيت
رقم الإيداع:

الطبعة الأولى 2013



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : 4 ميدان حليم خلف بنك

فيصل

ش 26 بوليوميدان الأولى ق ٥ ١٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ -

المقدمة

الحمد لله العزيز الوهاب الذي أنزل على عبده ورسوله محمد الكتاب، هدى وذكرى لأولي الألباب، وأودع فيه من العلوم النافعة والبراهين القاطعة والدلائل الجلية والأحكام الشرعية، وحفظه من التغيير والتبديل مهما طال الدهر وتوالت الأحقاب، وجعله معجزة خالدة يشاهدها من عاش في زمن الوحي ومن غاب، فهو حجة للمؤمن الأواب، وحجة على الكافر المرتاب، وهو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم من سلكه وعمل به فله البشرى والثواب، ومن أعرض عنه فله معيشة ضنكا وفي الآخرة سوء العذاب.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد المصطفى من أظهر الأنساب وأشرف الأحساب الذي أيده ربه بالمعجزات الباهرات وعلى آله وصحبه الأكرمين خير أهل وأصحاب الذين وعدهم ربهم - سبحانه - بالنصر والتمكين وأورثهم الجنة وحسن المآب.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (١٠٢)

[آل عمران: ١٠٢].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (١) [النساء:

[١].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} (٧٠) {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

وبعد ..

فمن المعلوم أن الضحك والفكاهة المسموح بهما في الإسلام أنهما باباً من أبواب الخير والصدقة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

: "تسمك في وجه أخيك صدقة: (1).

وبالفكاهة والبشاشة تكسب مودة الناس: كما قال صلى الله عليه وسلم
: "لن تَسْعُوا الناس بأموالكم، فليسعهم منكم بسط الوجه: (2).

و قال الجاحظ في مقدمة كتاب البخلاء، شارحاً بعض فضائل الضحك: (وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيماً ومن مصلحة الطباع كبيراً، وهو شيء من أصل الطباع ومن أساس التركيب؛ لأن الضحك أول خيرٍ يظهر من الصبي، وبه تطيب نفسه، وعليه ينبت شحمه ويكثر دمه الذي هو علة سروره ومادة قوته).

ولفضل خصال الضحك عند العرب فإنها تسمي أولادها ب: الضحاك وبسام.

وعالم أهل الظرف والفكاهة عالمٌ كالبحر واسع الجنبات، يمتد من جانب حتى يصل بالملحة والنادرة المحببة اللطيفة الطريفة إلى عالم الظرف والرقّة، ويمتد من جانب آخر حتى يصل بالتهكم والهجاء والسخرية إلى عالم المأساة والترويع، ويشتمل فيما بين ذلك على ألوان من الابتسام، وصنوف متفاوتة في درجات الخفة والثقل، ومقادير الحلاوة والمرارة، ومراتب الرفق والعنف، وعناصر الفكر والعاطفة والنشاط، وأساليب التلميح والتصريح، وما إلى ذلك.

ولن يكون الظريف ظريفاً، حتى تجتمع فيه خصال أربع: الفصاحة، والبلاغة، والعفة، والنزاهة.

وسأل بعض الظرفاء عن الظرف فقال: التودد إلى الإخوان، وكف الأذى عن الجيران.

وقال آخر: ظرف ظلف النفس، وسخاء الكف، وعفة الفرج.

(1) أخرجه الترمذي وحسنه وأحمد، وابن حبان وصححه.

(2) أخرجه البزار، والحاكم، وأبو نعيم وهو ضعيف.

و لا يكون الظرف إلا في اللسان. يقال: فلان ظريف، أي هو بليغ، جيد المنطق، ومنه حديث عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: “ إذا كان اللص ظريفاً لم يقطع ” أي لأنه يكون له لسان فيحتج به، فيدفع عن نفسه. قال: وروي عن محمد بن سيرين أنه قال: الظرف مشتق من الفطنة. والظَرْفُ في اللسان: البلاغة وفي الوجه: الحُسْنُ وفي القلب: الذكاء. - ومنه حديث معاوية “ قال: كيف ابنُ زياد؟ قالوا: ظريف على أن يَلْحَنَ قال: أو ليس ذلك أظرفَ له؟ “

- ومنه حديث ابن سيرين “ الكلامُ أكثرُ من أن يكذبَ ظريف ” أي أن الظريف لا تضيقُ عليه معاني الكلام فهو يَكْزِي ويُعَرِّضُ ولا يكذب⁽¹⁾.

والظريف الذي قد تأدب، وأخذ من كل العلوم، فصار وعاءً لها، فهو ظرف.

وسؤلت بعض متظرفات القصور عن الظرف، فقالت: من كان فصيحاً عفيفاً كان عندنا متكاملاً ظريفاً، ومن كان غنياً عاهراً كان ناقصاً فاجراً.

قال أبو عبد الله بن إبراهيم بن عرفة نَقْطَوِيَه:

ليس الظريف بكامل في ظرفه :: حتى يكون عن الحرام عفيفاً
فإذا تورع عن محارم ربه :: فهناك يدعوه الأنام ظريفاً⁽²⁾
وهذه صفحات من حياة بعض أعلام الظرفاء وأهم المواقف والطرائف قولاً وفعلاً، وجداً وهزلاً، التي مرت عليهم في حياتهم، والتي

(1) أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م،

348/3.

(2) الوشاء، الموشى، ص18.

جمعت بين الكرم والظرف والمروءة والفتوة، مع المداعبة والمطايبة، عليها ترسم الابتسامة علي وجوه العابسين، أو تفرج بعضاً من كرب المكروبين، أو تنسي بعضاً من آلام المكدورين، في زمن ندرت فيه الابتسامة والضحكة، لما تمر به الأمة من محن ومأس وآلام.

أضعها بين أيديكم كالمائدة تختلف عليها أصناف الأطعمة لاختلاف شهوات الآكلين، وأنا لا أدعي - معاذ الله - أنني أتيت فيها بجديد، ولكني - بفضل الله وحده - جمعتها من بطون الكتب لتكون بين أيديكم لعل الله عز وجل أن ينفع بها.

وما يجده القاريء الكريم في كتابنا هذا هذا ليس علماً من عند أنفسنا، يجب لنا السؤال عنه، ولا يلحقنا فيه عيب من عاب، إن عاب، ولكننا ألفناه وجمعناه من أقوال وأفعال ومواقف جماعة من الظرفاء والمتظرفات، وأهل الظرف في كل فن من فنون العلم، فأحببنا أن نجمع ذلك، ونجعله سلوي لمن أراد سماعه، وعلماً لمن أراد اتباعه، وهدياً لمن أراد رشده، ومناراً لمن أراد قصده، وطيباً لمن أراد شمّه، وأدباً لمن أراد فهمه.

وأنا أعتذر إلى القارئ الكريم من خلل يراه أو لفظ لا يرضاه، وأعيذه أن يرد صفو منهلّه ويشرب عذب زلاله ثم يسعى لتغوير منابعه بالنقد والإساءة بل المأمول أن يسد خلله ويصلح زلله فقلما يخلو إنسان من نسيان وقلم من طغيان.

وشريطتنا على قارئ كتابنا الإقصار عن طلب عيوب أخطائنا. والصفح عن ما يقف عليه من إغفالننا. والتجاوز عن ما ينتهي إليه من إهمالننا. وإن أداه التصفح إلى صواب نشره. أو إلى خطأ ستره. لأنه قد تقدمنا بالإقرار.

ولا بد للإنسان من زلل وعثار. وليس كل الأدب عرفناه. ولا كل العلم دريناه. وعلينا في ذلك الاجتهاد. وإلى الله الإرشاد. وقلّ ما نجا مؤلف لكتاب من خطأ أو سهو يقع فيه، وقد كان يقال من ألف كتاباً فقد

استشرف. وإذا أصاب فقد استهدف. وإذا أخطأ فقد استقذف. وكان يقال لا يزال الرجل في فسحة من عقله ما لم يقل شعراً أو يضع كتاباً.

وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا العمل وأن يتقبله مني ويثيبني عليه.
رب تقبل عملي ولا تخبب أمني.

أصلح أموري كلها قبل حلول الأجل.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.
وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه

رجب محمود إبراهيم بخيت

* * *

الفكاهة والضحك في الإسلام:

يقول ابن الجوزي: إن النفس قد تمل من ملازمة الجد وترتاح إلى بعض المباح من اللهو كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لحنظلة: "ساعة وساعة": (1).

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: روحوا القلوب بطرائف الحكم فإنها تمل كما تمل الأبدان.

وكان رجل يجالس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثهم فإذا أكثروا وثقل عليه الحديث قال إن الأذن بحاجة، وإن القلوب خمصة هاتوا من أشعاركم وحديثكم.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إني لاستجم نفسي بشيء من الباطل كراهة أن أحملها من الحق ما يملها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يحدث أصحابه ساعة ثم يقول حمضونا فيأخذ في أحاديث العرب وأشعارهم ومثله عن الزهري ومالك بن دينار.

وكان شعبة يحدث فإذا رأى أبا زيد قال له إيه أبا زيد.

(1) ورواية الحديث كاملة: عن أبي ربيعي حنظلة بن الربيع الأسدي الكاتب أحد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه - ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ! قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟! قُلْتُ: تَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّا رَأَيْنَا عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه - : قَوْلَ اللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا ، فَاثْلُفْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَمَا ذَاكَ؟ 》 - قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأَيْنَا عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي ، وَفِي الذِّكْرِ ، لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرْشِكُمْ وَفِي طَرِيقِكُمْ ، لَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ 》 ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . رواه مسلم 94/8 (2750) (12).

استعجمت دارُ نعيمٍ ما تكلمنا :: والدارُ إن كلمتنا ذاتُ أخبار
ووصف رجل عند ابن عائشة فقيل: هو جدّ كله، فقال ابن عائشة: لقد
أعان على نفسه وقصر لها طول المدى ولو فكها بالانتقال من حال إلى
حال نفس عنها ضيق العقد ورجع إلى الجد بنشاط.
وقال الرشيد: النوادر تستحدّ الأذهان وتفتق الآذان.

وقال آخر: لا يحب الملح إلا ذكران الرجال ولا يكرها إلا مؤنثوهم.
والضحك أحيانا جلاء، فان قال قائل ذكر النوادر والطرائف يوجب
الضحك وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الرجل
ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الشريا: (1) فالجواب إنه
محمول على أنه يضحكهم بالكذب.

وقد يجوز للإنسان أن يقصد إضحاك الشخص في بعض الأوقات
ففي أفراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال:
لأكل من رسول الله لعله يضحك، قال: قلت: لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر
سألتني النفقة فوجأت عنقها، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وإنما يكره للرجل أن يجعل عادته إضحاك الناس لأن الضحك لا يذم
قليله فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يضحك حتى تبدو نواجذه،
وإنه يكره كثيره لما روي عنه عليه السلام أنه قال: "كثرة الضحك تميّت
القلب: (2).

ومزح الشعبي يوماً، فقيل له: يا أبا عمرو أفتمزح؟ قال: إن لم يكن

(1) أخرجه أبو نعيم في الحلية (164/3) وقال: غريب. وأخرجه أيضاً: أحمد (402/2)،
رقم (9209)، وابن حبان (24/13)، رقم (5716)، وابن عدى (224/3)، ترجمة 718
زبير بن سعيد الهاشمي).

(2) أخرجه أحمد (310/2)، رقم (8081)، والترمذي (551/4)، رقم (2305)، وقال: غريب،
والبيهقي في شعب الإيمان (78/7)، رقم (9543).

هذا متنا من الغم، هواء داخل، وهواء خارج (1).

وقد قيل: لا بد للمصدور أن ينفث.

وأنشد أبو نواس:

أروح القلب ببعض الهزل :: تجاهلاً مني بغير جهل
أمرح فيه مزح أهل الفضل :: والمزح أحياناً جلاء العقل
وأنشد أبو الفتح البستي:

أفد طبعك المكود بالجد راحة :: يجمّ وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيه المزح فليكن :: بمقدار ما تعطي الطعام من الملح
قال الأبيرد:

إذا جدّ عند الجد أَرْضَاكَ جَدُّهُ :: وذو باطلٍ إن شئت أهلك باطله
وقال أبو تمام:

الجدُّ شيمته وفيه فكاكة :: طوراً ولا جدُّ لمن لم يلعب (2)
وعلى هاتين الحالتين كان مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه وتابعيه والعلماء والأئمة. روى بكر بن عبد الله المزني أنه
صلى الله عليه وسلم قال: "إِنِّي لَأَمْزُحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ. وَفِي رِوَايَةٍ إِلَّا حَقًّا:
(3)

وعن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا قال: إني لا
أقولُ إِلَّا حَقًّا (4).

(1) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 125/1.

(2) أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي، المراح في المزاح، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار النشر: دار ابن حزم - بيروت - 1418 هـ 1977م، ص 42.

(3) أخرجه الطبراني في الأوسط (305/8، رقم 8706)، قال الهيثمي (17/9): إسناده حسن. وأخرجه أيضاً: أحمد (340/2، رقم 8462)، والبخاري في الأدب المفرد (102/1، رقم 265)، والبيهقي (248/10، رقم 20963).

(4) وأخرجه الترمذي في "السنن" (1990)، وفي "الشمائل" (237)، والبيهقي في "السنن" 248/10، وفي "الأدب" (406)، والبخاري (3602) من طريق علي بن

والمداعبة مطلوبة محبوبة لكن في مواطن مخصوصة فليس في كل أن يصلح الضحك والفكاهة ولا في كل وقت يحسن الجد قال:

أهزل حيث الهزل يحسن بالفق :: وإني إذا جد الرجال لذو جد
وقال الراغب: الضحك والفكاهة إذا كان على الاقتصاد محموداً
والإفراط فيه يذهب البهاء ويجري السفهاء وتركه يقبض الموانس
ويوحش المخالط.

وقد سئل سفيان: المزاح سبة؟ فقال: بل سنة لقوله عليه السلام إني
لأمزح ولا أقول إلا الحق.

فالضحك سنة ولكن من يحسنه وإنما كان صلى الله عليه وسلم يمزح
لأن الناس مأمورون بالتأسي به والاقتداء بهديه، فلو ترك اللطافة
والبشاشة ولزم العبوس والقطوب لأخذ الناس من أنفسهم بذلك على ما في
مخالفة الغريزة من الشفقة والعناء فمزح ليمزحوا.

وقال الماوردي: العاقل يتوخى بمزاحه أحد حالين لا ثالث لهما:

أحدهما: إيناس المصاحبين والتودد إلى المخالطين، وهذا يكون بما
أنس من جميل القول وبسط من مستحسن الفعل كما قال حكيم لابنه: يا
بني اقتصد في مزاحك فإن الإفراط فيه يذهب البهاء ويجري السفهاء
والتقصير فيه نقص بالمؤانسين وتوحش بالمخالطين.

والثاني: أن ينبغي من المزاح ما طرأ عليه وحدث به من هم وقد قيل
لا بد للمصدور أن ينفث.

ومزاح النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج عن ذلك، وأتى رجل عليا
كرم الله وجهه فقال: احتلمت بأبي قال: أقيموه في الشمس واضربوا ظله
الحد.

أما مزاح يفضي إلى خلاعة أو يفضي إلى سبة فهجنة ومذمة، قال

ابن عربي: ولا يستعمل المزاح أيضا في أحكام الدين فإنه جهل قال تعالى مخبرا عن قصة البقرة: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [البقرة: ٦٧]، قال معناه لا أمزح في أحكام الدين فإن ذلك فعل الجاهلين ولكن اذبحوها فستروا الحقيقة فيها.

وقال أنس بن مالك: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس.

ومن مزاحه صلى الله عليه وسلم ما رواه أنس قال: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: "يا أبا عمير ما فعل النغير: (1)؟ كان له نغير يلعب به فمات (2).

وما رواه الحسن قال: أتت عجوز من الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ادع لي بالمغفرة فقال لها: "أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا الْعَجَازُ؟" وفي رواية العجوز، وفي رواية: "لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ" فبكت، وفي رواية: فصرخت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها: "لَسْتَ يَوْمَئِذٍ بِعَجُوزٍ أَمَا قَرَأْتَ قَوْلَ تَعَالَى: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً} (٣٥) فَعَلَّمْنَهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) [الواقعة: ٣٥ - ٣٧]: (3).

- (1) النغير: تصغير النغر، وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار.
- (2) إسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه عبد بن حميد (1279) عن هاشم بن القاسم، بهذا الإسناد، وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (384) عن موسى بن إسماعيل، عن سليمان بن المغيرة، به وأخرجه ابن سعد 431/8، وعبد بن حميد (1331)، وأبو يعلى (3398)، والطحاوي 195/4، وابن حبان (7188)، وأبو الشيخ في "أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم" ص 33 من طريق عمارة بن زاذان، عن ثابت، عن أنس - والحديث عند ابن سعد وأبي يعلى وابن حبان ضمن حديث طويل.
- (3) رواه الترمذي في الشمائل في باب مزاح النبي صلى الله عليه وسلم من حديث المبارك ابن فضالة عن الحسن قال أتت عجوز للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ادع أن يدخلني الجنة فقال: يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز - قال: فولت وهي تبكي فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله يقول: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً} - الآية؟؟؟

وروى زيد بن أسلم أن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة لزوجها فقال لها: "مَنْ زَوْجُكَ؟" فقالت: فلان، فقال: "الَّذِي فِي عَيْنِهِ بَيَاضٌ؟" فقالت: أي رسول الله ما بعينه بياض، قال: "بلى إِنَّ بَعَيْنَهُ بَيَاضًا" فقالت: لا والله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "وَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بَعَيْنُهُ بَيَاضٌ" وفي رواية: فانصرفت عجلي إلى زوجها، وجعلت تتأمل عينيه فقال لها: "ما شأنكِ؟" فقالت: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في عينيك بياضاً فقال لها: أما ترين بياضَ عيني أكثر من سوادها؟ (1).

وعن أنس أن رجلاً استحمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدٍ نَاقَةٍ" فقال: ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وَهَلْ تَلِدُ الْأَبْلَ إِلَّا النَّوْءُ؟" (2).

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته، فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال: "هَذِهِ بَتْلُكَ" (3).

وقال صلى الله عليه وسلم للشفاء بنت عبد الله: "عَلِمِي حَفْصَةَ رُقِيَةَ النَّمِلَةِ كَمَا عَلَّمْتَهَا الْكِتَابَةَ" (4).

(1) أخرجه الزبير بن بكار في كتاب الفكاكة والمزاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفهري مع اختلاف.

(2) إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين أخرجه الضياء في "المختارة" (1901) من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، بهذا الإسناد. وأخرجه البخاري في "الأدب"

(268)، وأبو داود (4998)، والترمذي في "السنن" (1991)، وفي "الشمائل" (238)، وأبو يعلى (3776)، وأبو الشيخ في "أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم" ص 86، والبيهقي 248/10، والبعوي (3605)، والضياء (1899) و (1900) من طرق عن خالد بن عبد الله، به.

(3) حديث صحيح، وهو عند أبي شيبة كذلك 12 / 509، كما عند الطبراني في "الكبير" 23 / (123) وحسن بن موسى وثلاثتهم عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة.

(4) أخرجه أحمد (372/6)، رقم 27140، وأبو داود (11/4)، رقم 3887. وأخرجه

والنملة قروحٌ تخرج في الجنب ورقبتيها شيءٌ كانت تستعمله النساء يعلم كلُّ من يسمعه أنه كلامٌ لا يضر ولا ينفع وهو أن يقال: العرسُ تحتفل، وتختضب وتكتحل، وكلَّ شيء تفتعل، غير أن لا تعصي الرَّجُل، أراد عليه السلام بهذا المقال تأنيبَ حفصة لأنه ألقى إليها سراً فأفشته فكان هذا من المزاح ولغز الكلام.

وعن النعمان بن بشير قال استأذن أبو بكر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع صوت عائشة عاليا، فلما دخل تناولها ليلطمها وقال: لا أراك ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحجزه وخرج أبو بكر مغضبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج أبو بكر: كيف رأيتني أنفَذْتُكَ مِنَ الرَّجُل؟ قال: فمكث أبو بكر أياماً ثم استأذن فوجدهما قد اصطلحا فقال لهما: أدخلاني في سِلْمِكما كما أدخلتماني في حربكما فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "قَدْ فَعَلْنَا: (1).

وعن ربيعة بن عثمان أنه بلغه أن خوات بن جبير كان جالسا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا لَكَ مَعَ أَوْلَاءِ النِّسْوَةِ؟" قال: يَفْتَلِنَ ضَفِيرًا لَجَمَلٍ لِي شَرُودٍ قال: فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم طلع علي فقال: "يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا تَرَكَ ذَلِكَ الشِّرَاءَ بَعْدُ؟" قال: فسكت واستحييت، فكنت بعد ذلك أتفرد منه كلما رأيته حياءً منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع علي وأنا أصلي في المسجد إلي فطولت فقال: "لَا تُطَوِّلْ فَإِنِّي أَنْتَظِرُكَ" فلما فرغت قال: "يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا تَرَكَ ذَلِكَ الْجَمَلَ الشِّرَاءَ بَعْدُ؟" قال: فسكت واستحييت، فقام، فكنت أتفرد منه حتى لحقني يوماً وهو على حمار وأنا أريد قبا، وقد جعل رجله في شق واحد فقال: "يَا

أيضاً: النسائي (366/4، رقم 7543).

(1) النسائي في سننه الكبرى ج 5 ص 365 حديث رقم: 9155.

عَبْدُ اللَّهِ مَا تَرَكَ ذَلِكَ الْجَمَلُ الشَّرَّادَ بَعْدُ؟
قلت: والذي بعثك بالحق ما شَرَدَ منذ أسلمتُ قال: "اللهُ أكبر اللهم اهد أبا عبد
الله: (1).

قال الراوي: فحسن إسلامه وهداه الله وله الحمد. وذكر غير واحد أنه
صلى الله عليه وسلم لما قال له: "ما فعل جملك الشرود: قال: عقله الإسلام
يا رسول الله. وهو خَوَات بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس،
كسر أو نهش في غزوة بدر فرده النبي صلى الله عليه وسلم وضرب له
بسهم وشهد المشاهد كلها بعد وعاش حتى كف بصره ومات في سنة
اثنتين وأربعين في أول ولاية معاوية وله عقب.

عن الواقدي قال: قال خَوَات بن جبير: فعلت ثلاثة أشياء لم يفعلهن
أحد قط: ضحكت في موضع لم يضحك فيه أحد قط، ونمت في موضع لم
ينم فيه أحد قط، وبخلت في موضع لم يبخل فيه أحد قط. انتهيت يوم أحدٍ
إلى أخي وهو مقتول وقد شق بطنه وقد خرجت حشوته، فاستعنت
بصاحب لي عليه فحملناه وختل المشركين حوالينا فأدخلت حشوته في
جوفه وشددت بطنه بعمامتي وحملته بيني وبين الرجل، سمعت صوت
حشوته رجعت في بطنه ففزع صاحبي فطرحه فضحكت، ثم مشينا
فحفرت له بسية قوسى وكان عليها الوتر فحللته، وبخلت به مخافة أن
ينقطع، فحفرت له فدفنته، فإذا أنا بفارس قد سد رمحه نحوي يريد أن
يقتلني فوق علي النعاس فنمت في موضع ما نام فيه أحد قط، فانتبهت فلم
أر فارساً ولا غيره ولا أدري أي شيء كان ذلك(2).

وعن صهيب قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
بقباء ومعه أبو بكر وعمر، وبين أيديهم رطب، وقد رمدت في الطريق

(1) أخرجه الطبراني في الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خَوَات بن جبير مع اختلاف
ورجاله ثقات، وأدخل بعضهم بين زيد وبين خَوَات: ربيعة بن عمرو.
(2) المراح في المزاح، ص 53.

فأصابني مجاعة شديدة، ف وقعت في الرطب، فقال عمر: يا رسول الله ألا ترى صهييبا يأكل الرطب وهو أرمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا صهييب تأكل الرطب وأنت أرمد: فقال صهييب: يا رسول الله إنما آكل بشق عيني هذه الصحيحة، فنتبسم (1).

وإنما استجاز صهييب أن يعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزح في جوابه، لأن استخباره قد كان يتضمن المزح، فأجابه عنه بما وافقه من المزح مساعدة لغرضه وتقربا من قلبه، وإلا فليس لأحد أن يجعل جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم مزحا، لأن المزح هزل ومن جعل جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم المبين عن الله عز وجل أحكامه المؤدي إلى خلقه أو امره هزلا ومزحا، فقد عصى الله تعالى ورسوله، وصهييب كان أطوع لله سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وسلم أن يكون بهذه المنزلة.

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزحون حتى بحضرته، وكذلك من بعدهم من التابعين والعلماء والأئمة.

روى البخارى عن بكر بن عبد الله المزني: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبادحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال. وسئل النخعي: هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون؟ قال: "نعم والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي:.

وعن يحيى ابن أبي كثير قال: كان رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا، فذكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم كأنهم يعيرون ذلك، فقال النبي عليه السلام: "أَنْتَى تَعْجَبُونَ إِنَّهُ لَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَهُوَ يَضْحَكُ: (2).

وعن عثمان بن نائل مولى عثمان بن عفان عن أبيه قال: خرجت مع

(1) أخرجه ابن عساكر (231/24).

(2) أخرجه ابن أبي شيبة (170/7)، رقم (35052).

مولاي عثمان في سفرة سافرناها مع عمر في حج أو عمرة، وكان عمر وعثمان وابن عمر أيضاً، وكنت وابن عباس وابن الزبير في شبان معنا أيضاً، ومعنا رباح بن المعترف الفهري، فكنا نترامى بالحنظل وكان عمر يقول لنا: لا تُنْفِرُوا علينا ركابنا قال: فقلنا ذات ليلة: ائِدْ لنا قال: مع عمر؟ قلنا: ائِدْ فإِنْ نهاك فانتِه قال: حتّى إذا كان السَّحَرُ قال له عمر: كُفَّ فَإِنْ هذه ساعة ذكر، فلما كانت الليلة الثانية قلنا: يا رباح انصب لنا نَصِبَ العرب قال: مع عمر؟ قلنا: انصب فإِنْ نهاك فانتِه، فنصب لنا نَصِبَ العرب حتّى إذا كان السَّحَرُ قال له عمر: كُفَّ فَإِنْ هذه ساعة ذكر، فلما كانت الليلة الثالثة قلنا: يا رباح غَنِّنا غِناءَ القِيان، قال: مع عمر؟ قلنا غَنِّه فإِنْ نهاك فانتِه قال: فغني، فوالله تركه أن قال له: كُفَّ فَإِنْ هذا يُنْفِرُ القلوب.

وعن ابن أبي نجيح عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب إني أليعجبني أن يكون الرَّجُل وفي أهله مثل الصبي، فإذا بُغِيَ منه حاجة وُجِدَ رجلاً.

* * *

الصحابي نُعَيْمَانُ بْنُ عَمْرٍو

نُعَيْمَانُ بْنُ عَمْرٍو

أعلام الظرفاء

الصحابي نُعَيْمَانُ بْنُ عَمْرٍو

هو نُعَيْمَانُ بْنُ عَمْرٍو بن رفاعَةَ بن الحارثِ بن سَواد بن مالك بن عَنَم بن مالك بن النَجَّار الأنصاري، شهد بدرًا، وكان من قدماء الصحابة وكبارهم، وكانت فيه دعابة زائدة، وله أخبار طريفة في دعابته، وهو الذي حدَّه النبيُّ صلى الله عليه وسلم في شرب الخمر. وقال ابن عبد البر: إنه كان رجلاً صالحاً، وإن الذي حدَّه النبيُّ صلى الله عليه وسلم في الخمر كان ابنه.

وأم نعيمان، فكيهة بن بني النجار، ولا عقب لها، وقيل: فاطمة بنت عمرو بن عطية بن خنساء بن بني مازن بن النجار (1).

ونعيمان تصغير نعمان، وشهد نعيمان العقبة الآخرة مع السبعين من الأنصار، وشهد بدرًا وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال عقبة بن الحارث: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنعيمان وقد شرب الخمر، وفي رواية: وهو سكران، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من في البيت، فضربوه بالأيدي والجريد والنعال، قال: وكنت فيمن ضربه.

قال زيد بن أسلم: أتى بالنعيمان أو ابن النعيمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجلده، ثم أتى به فجلده قال: مراراً أربعاً أو خمساً، يعني في شرب النبيذ، فقال رجل: اللهم العنه، ما أكثر ما يشرب! وأكثر ما يجلد! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تلعه؛ فإنه يحب الله ورسوله.

(1) انظر: طبقات بن سعد، 493/3، طبقات خليفة، 87، التاريخ الكبير، 128/8، الثقات، 418/3، الجرح والتعديل، 507/8، جمهرة ابن حزم، 126، 349، الاستيعاب، 1526، الأسماء المبهمة، 306، تاريخ دمشق، 600/17، أسد الغابة، 351/5، الإصابة، 569/3، جامع الأصول، 946/12.

وممن اشتهر بالمزاح والضحك علي عهد النبي صلى الله عليه وسلم نعيمان بن عمرو بن رفاعة الأنصاري ممن شهد العقبة وبدرا والمشاهد بعدها قال ابن الاثير في ترجمته من أسد الغابة كان كثير المزاح يضحك النبي صلى الله عليه وسلم من مزاحه وهو صاحب سويبط بن حرملة، وكان من حديثهما أن ابا بكر خرج الى الشام معه نعيمان وسويبط بن حرملة، وكلاهما بدري، وكان سويبط على الزاد فجاءه نعيمان فقال: أطعمني فقال: لا حتى يجيء أبو بكر وكان نعيمان رجلا مضحاكا فقال: لأغيظنك فجاء إلى أناس جلبوا ظهرا فقال لهم: ابتاعوا مني غلاما عربيا فارها وهو ذو لسان، ولعله يقول أنا حر فإن كنتم تاركونه لذلك فدعوه لا تفسدوا علي غلامي، فقالوا: بلى بل نبتاعه منك بعشر قلائص، فأقبل بها يسوقها، وأقبل بالقوم حتى عقلها، ثم قال: دونكم هو هذا فجاء القوم فقالوا: قم قد اشتريناك، فقال سويبط: هو كذاب أنا رجل حر، فقالوا: قد أخبرنا خبرك فطرحوا الحبل في رقبتة، وذهبوا به فجاء أبو بكر فأخبر، فذهب هو وأصحاب له فردوا القلائص، وأخذوه فلما عادوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه الخبر ضحك النبي صلى الله عليه وسلم حولا وأصحابه.

وعن ربيعة بن عثمان قال: دخل أعرابي على رسول الله عليه وأناخ ناقته بفائه، فقال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم للنعيمان الأنصاري: لو عقرتها فأكلناها، فإننا قد قرمنا إلى اللحم، ويغرم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فعقره النعيمان فخرج الأعرابي فرأى راحلته فصاح: واغقره يا محمد، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "مَنْ فَعَلَ هَذَا؟" فقيل: النُّعَيْمان فاتبعه يسأل عنه حتى وجده في دار ضبَاعَة ابنة الزُّبَيْر بن عبد المطلب، وقد حفرت خنادق وعليها جريد، فدخل النُّعَيْمان في بعضها، فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنه، فأشار إليه رجلٌ ورفع صوته يقول: ما رأيته يا رسول الله، وأشار

بأصبعه حيث هو قال: فأخرجه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقد سقط على وجهه السعف وتغير وجهه فقال: "مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟" قال: الذين دُلُّوك عَليَّ يا رسول الله هم الذين أمروني قال: فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يمسح وجهه، ويضحك قال: ثم غَرَمَهَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للأعرابي.

وأخباره في المزاح مشهورة، وكان يشرب الخمر فيوتى به النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعله ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم، ويحثون عليه التراب، فلما كثر ذلك منه قال له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعنك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تفعل فإنه يحب الله ورسوله: (1).

وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: يا رسول الله هذا قد اشتريته لك وأهديته لك فإذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن، جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله أعطه ثمن متاعه، فيقول له صلى الله عليه وسلم: "أو لم تهده لنا: فيقول: يا رسول الله إنه لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكل منه، فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه (2).

وروي أنه أهدى النبي صلى الله عليه وسلم جرة عسل اشتراها من أعرابي بدينار، وأتى بالأعرابي باب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: خذ الثمن من ها هنا، فلما قسمها النبي صلى الله عليه وسلم نادى الأعرابي:

(1) قال الحافظ السيوطي في قوت المغتذي على جامع الترمذي الصحابة خصوا في باب الحدود بما لم يخص به غيرهم، ولهذا لا يفسقون بما يفسق به غيرهم خصوصية لهم ثم أورد هذه القصة قائلاً علم النبي صلى الله عليه وسلم من باطنه صدق محبته لله ورسوله، فأكرمه، بترك القتل وله صلى الله عليه وسلم أن يخص من شاء بما شاء من الأحكام.

(2) أخرجه الزبير بن بكار في الفكاكة ومن طريقه ابن عبد البر من رواية محمد بن حزم مرسلًا وقد تقدم أوله.

ألا أعطني ثمنَ عسلي، فقال صلى الله عليه وسلم: "إحدى هنات نعيمان: وسأله لم فعلت هذا؟ قال: أردت برّك ولم يكن معي شيء، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وأعطى الأعرابيَّ حقّه.

قال عبد الله بن مصعب: كان مخزومة بن نوفل بن أهيب الزهري بالمدينة وهو شيخ كبير أعمى، وكان قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة، فقام يوماً في المسجد يريد أن يبول فصاح به الناس، فأتاه نعيمان ابن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار فتتحنى به ناحية من المسجد، ثم قال له: اجلس ها هنا، فأجلسه يبول ثم تركه، فصاح به الناس، فلما فرغ قال: من جاء بي إلى هذا المجلس؟ قالوا: نعيمان بن عمرو قال: فعل الله به وفعل، أما إن الله عليّ إن ظفرت به أن أضربه بعصاي هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت، فمكث ما شاء الله حتى نسي ذلك مخزومة ثم أتاه يوماً وعثمان قائم يصلي في ناحية من المسجد، وكان عثمان إذا صلى لا يلتفت فقال له: هل لك في نعيمان؟ فقال: نعم أين هو؟ دُلّني عليه، فأتى به حتى أوقفه على عثمان فقال: دونك هذا هو، فجمع مخزومة يديه بعصاه فضرب عثمان فشجّه، فقيل له: إنما ضربت أمير المؤمنين عثمان قال: فسمعت بذلك بنو زهرة فاجتمعوا في ذلك فقال عثمان: دعوا نعيمان، لعن الله نعيمان: وروي أن مخزومة قال: من قادني؟ قيل: نعيمان، قال: لا جرّم لا عرّضتُ له بشرّاً أبداً (1).

وشكى عيينة بن حصن إلى نعيمان صعوبة الصيام فقال: صُمّ الليل، فروى أنه دخل عيينة على عثمان وهو يفطر في شهر رمضان فقال: العشاء فقال: أنا صائم فقال عثمان: الصوم بالليل؟ فقال: هو أخفُّ عليّ، فيقال: إن عثمان قال: إحدى هنات نعيمان.

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: لا بأس بالمفاكهة يخرج بها الرجل عن حدّ العُبوس، وعن بكر بن أبي محمد قال: أهدى المجوس

(1) أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي، المراح في المزاح، ص 63.

لعلي ابن أبي طالب فالودجأ فقال علي: ما هذا؟ فقيل له: اليوم النيروز فقال علي: ليكن كلُّ يومٍ نيروزاً، وأكّل. وفي رواية قيل له: اليوم المهرجَان فقال: مَهْرَجُونَا كل يوم هكذا.

وعن عمرو بن دينار عن محمد بن علي قال: طرحت لعلي بن أبي طالب وسادة فجلس عليها وقال: لا يأبى الكرامة إلا حمار.

وأتى رجلٌ علي بن أبي طالب فقال: إني احتلمت على أُمي فقال: أقيموه في الشمس واضربوا ظلّه الحدّ، وفي رواية أن رجلاً أتاه برجلٍ فقال: إن هذا زعم أنه احتلم على أُمي فقال: أقمه في الشمس فاضرب ظلّه.

وروي عن أبي الدرداء أنه كان لا يتحدث إلا وهو يتبسم فقالت له امرأته أم الدرداء: إني أخاف أن يرى الناس أنك أحمق فقال: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حدّث حديثاً إلا وهو يتبسم في حديثه⁽¹⁾.

وفي حديث آخر بمعناه عن مروان بن قيس: ثم أتى به الرابعة وعمر عنده، فقال عمر: ما تنتظر به يا نبي الله؟ هي الرابعة، اضرب عنقه، فقال رجل عند ذلك: لقد رأيته يوم بدر يقاتل قتالاً شديداً. وقال آخر: لقد رأيته له يوم بدر موقفاً حسناً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كيف وقد شهد بدرًا؟

قال ربيعة بن عثمان: دخل أعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأناخ ناقته بفنائه، فقال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لنعيمان: لو عقرتها فأكلناها، فإننا قد قرمنا إلى اللحم، وغرم رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فعقرها النعيمان، فخرج الأعرابي، فرأى راحلته، فصاح: واعقراه يا محمد.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من فعل هذا؟ قالوا:

(1) أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي، المراح في المزاح، ص 64.

النعيّمان، فاتبعه يسأله عنه حتى وجده في دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، وقد حفرت لها خنادق، وعليها جريد، فدخل النعيّمان في بعضها، فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنه، فأشار إليه رجل، ورفع صوته: ما رأيته يا رسول الله وأشار بإصبعه حيث هو. قال: فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسقط على وجهه السعف، وتغير وجهه، فقال: "ما حملك على ما صنعت؟" قال: الذين دلوك علي يا رسول الله هم الذين أمروني.

قال: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عن وجهه ويضحك، ثم غرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعرابي.

روي الإمام أحمد في مسنده عن أم سلمة رضي الله عنها، ورواه أيضاً الطيالسي و ابن ماجة وغيرهم، بسند فيه رجل يقال له زمعة بن صالح، وزمعة بن صالح هذا فيه مقال، وإن كان مسلم خرج له في الصحيح، ولكن فيه ضعف يسير.

والحديث له شاهد آخر عند الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح: أن أبا بكر رضي الله عنه خرج في تجارة إلى الشام، إلى بصرى، قبل أن يموت النبي صلى الله عليه وسلم بنحو سنة.

وكان معه نعيّمان هذا، ومعه رجل اسمه سويبط أو سليط بن حرملة (1)، وكان سليط بن حرملة هو المسؤول عن التموين في تلك السفارة، فجاء إليه نعيّمان يوماً، وقال له: أطعمني، فقال له: لا، حتى يأتي أبو بكر، فألح عليه فقال: لا، حتى يأتي أبو بكر، فقال: لأسوأئك، فمر قوم من العرب، فجاء إليهم نعيّمان وقال: هاهنا عندي عبد فاره قوي جيد، أتريدون أن

(1) هو سويبط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصي بن كلاب أبو حرملة القرشي العبدي له صحبة من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرأ، وقيل: إن اسمه سليط، وهو صاحب القصة المشهورة مع نعيّمان لما خرجا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنهم في تجارة إلى بصرى قبل فتح الشام. مختصر تاريخ دمشق، 3/ 419، الإصابة في تمييز الصحابة، 3/ 222.

تشتروه مني؟ قالوا: نعم، قال: هاهو، ولكنه رجل لسن - لسانه طويل - فإذا شريتموه سيقول: أنا حر، أنا ابن عمه، أنا كذا أنا كذا، فإذا كنتم ستطلقونه فلا تفسدوا عليَّ عبدي، قالوا: لا، نحن نمسك به، فاشتروه منه بعشر قلائص - عشر نوق - فأخذها نعيمان.

ثم جاء إلى سليط، فقال: هذا هو فأمسكوا به ووضعوا العمامة في عنقه وجروه، فقال: أنا حر، هذا يضحك عليكم، هذا يريد أن يسوءني، هذا ابن عمي، هذا كذا هذا كذا، قالوا: لا، قد أخبرنا أمرك.

وذهبوا به، فلما جاء أبو بكر رضي الله عنه، أخبره بالخبر فلحق بهم وأطلقه ورد إليهم قلائصهم، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يضحكون من هذه القصة حولاً كاملاً وهم يضحكون من هذا الخبر.

وكان نعيمان الأنصاري يدور في أسواق المدينة، فإذا دخل السوق طرفة من طرب أو فاكهة أو غير ذلك اشتراه، فأهداه النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان فقيراً، فإذا كان من آخر النهار راح إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب الحق، فيقول: يا نبي الله، أعط هذا حقه من ثمن كذا وكذا، فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم: "أو ما أهديته إلينا يا نعيمان؟" فيقول: والذي بعثك بالحق، ما معي قليل ولا كثير، ولقد رأيته فلم تطب نفسي أن أجوزه وأدعه، أو يشتريه أحد فيأكله قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويأمر بدفع حق الرجل إليه.

وكان مخرمة بن نوفل بن أهيب الزهري بالمدينة، وهو شيخ كبير أعمى، وكان قد بلغ مئة وخمس عشرة سنة، فقام يوماً في المسجد يريد أن يبول، فصاح به الناس، فأتاه نعيمان فتنحى به ناحية من المسجد، ثم قال: اجلس ههنا، فأجلسه يبول، فلما أجلسه وبال، ذهب وتركه، فصاح به

الناس، فلما فرغ قال: من جاء بي، ويحكم إلى هذا الموضع؟ قالوا: نعيمان بن عمرو، قال: فعل الله به وفعل، أما إن الله علي إن ظفرت به أن أضربه بعصاتي هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت.

فمكث ما شاء الله حتى نسي ذلك مخرمة، ثم أتاه يوماً وعثمان قائم يصلي في ناحية من المسجد، وكان عثمان إذا صلى لا يلتفت، فقال له: هل لك في نعيمان؟ قال: نعم، أين هو؟ دلني عليه، فأتى به حتى أوقفه على عثمان، فقال: دونك هذا هو، فجمع مخرمة يديه بعصاه فضرب عثمان فشجه.

ف قيل له: إنما ضربت أمير المؤمنين عثمان، فاجتمع بنو زهرة في ذلك، فقال عثمان: دعوا نعيمان، لعن الله نعيمان. توفي نعيمان في خلافة معاوية، ولم يعقب(1).

* * *

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 8/ 28، المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص 209.

جج

جج

أعلام الظرفاء

جحا

هو جحا الكوفي الفزازي، واسمه دجين بن ثابت اليربوعي وكنيته أبو الغصن، كانت أمه خادمة لأم (أنس بن مالك) ويقال: أنه كان في الكوفة إبان ثورة أبي مسلم الخراساني، وأدخله عليه مولاه يقطين فقال: يا يقطين أيكما أبو مسلم؟ وكان الجاحظ أول مؤلف عربي ذكر جحا في مؤلفاته، ذكره في رسالة عن علي والحكمين، وذكره في كتاب البغال.

وجحا شخصية فكاوية حقيقية، لكنها سرعان ما انفصلت عن واقعها التاريخي، وأصبحت رمزاً فنياً، ونموذجاً نمطياً للفكاهة في التراث العربي. ومن هنا قيل على لسانه آلاف النوادر أو الحكايات المرحية، على مر العصور. لقد نسي الناس جذوره التاريخية، ولكنهم لم ولن ينسوا أبداً أسلوبه الضاحك وفلسفته الساخرة.

وعلى الرغم من كثرة أعلام الفكاهة في التراث العربي، فإن جحا يبقى أشهر شخصية نمطية فكاوية، لاتزال حية فاعلة - حتى اليوم - في الذاكرة الجمعية العربية، الأدبية والفولكلورية والثقافية. وشهرته الفنية لا تلغي الدور التاريخي الذي يؤكد أن جحا شخصية حقيقية. فهو أبو الغصن دُجَيْن ابن ثابت الفزازي، ولقبه جحا، وقد عرف بين معاصريه بالطيبة والتسامح الشديدين، وأنه كان بالغ الذكاء، وتتطوي شخصيته على قدر كبير من السخرية والفكاهة. ووسيلته إلى ذلك ادّعاء الحمق والجنون، أو بالأحرى التحامق والتبالة في مواجهته لصغائر الأمور اليومية، استعلاء منه على حياة فانية، وشعوراً بعبثية الصراع الدنيوي، وإحساساً بالجانب المأساوي للوجود الإنساني (الموت) في وقت معاً. ولذلك لا غرو أن يعمر جحا، وأن يعيش مائة سنة، كما يقول الجاحظ. وقد شهدت الفترة التاريخية التي عاصرها جحا أحداثاً جساماً كان لها أبعد الأثر في أسلوبه وفلسفته في الحياة والتعبير، منها مأساة السقوط الدموي للدولة الأموية،

وهيمنة الدولة العباسية - بقوة السيف - على مقدرات الأمور العربية الإسلامية، وسط مناخ ثقافي حافل آنذاك بالصراع السياسي والعسكري والمذهبي والعِرقي⁽¹⁾.

وفي مثل هذه الظروف التاريخية الاجتماعية حدث أن استدعى أبو مسلم الخراساني - عندما نزل الكوفة - جحا لشهرته، عسى أن يظفر منه بطرفة أو فكاهة في خضم حروبه الدموية، فخشي جحا على نفسه، وادعى الحمق والجنون في حضرته. وبالرغم من ذلك فقد أعجب به أبو مسلم، وحدث عنه الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور، الذي بادر فاستدعاه إلى دار الخلافة في بغداد لعله يصلح نديماً أو مضحكاً (مهرجاً) في بلاطه. وقد أدرك جحا عاقبة مثل هذا الدور وهامشيته ومخاطره وقيوده، فما هو بمهرج وما ينبغي له أن يكون كذلك. فتمادى في ادعائه الحمق والجنون حتى أفرج عنه المنصور بعد أن أجزل له العطاء. وكان لمثل هذا اللقاء أثره البالغ أيضاً في ازدياد شهرته، وطلب الناس له في مجالسهم، والإغداق عليه. وهم سعداء به وبنوادره، وبرؤيته الساخرة للحياة والأحياء جميعاً، وهنا قال جحا قولته الساخرة المشهورة: “ حُمَق يعولني خيرٌ من عقلٍ أعوله “.

ومن الطريف الدال على أن جحا استمرأ هذا الأمر - التغابي أو التحامق - ما دام يعفيه من تبعات الناس، ويتيح له قدراً كبيراً من الشجاعة في قول الحق، وحكمة الرأي وأن يكون صريحاً في التعبير عن نفسه، أنه دائماً يستسلم لرغباته في لحظاته، وإن اتهمه الناس بالحمق والجنون - فليس ثمة عندئذ من حرج - مما يجعله بريئاً من الخوف أو الكبت وقادراً على قول “ المسكوت عنه “ دائماً، اجتماعياً وأخلاقياً وسياسياً وإنسانياً.

وشرع اسمه يتردد في أدبيات القرنين الثاني والثالث للهجرة، مقروئاً

(1) انظر: الموسوعة العربية العالمية.

ببعض النواذر، كما ذكر الجاحظ، ولكن ما نكاد نصل إلى القرن الرابع الهجري حتى تكون نواذره المتواترة شفهيًا قد عرفت طريقها إلى التدوين في أسواق الوراقين باسم كتاب نواذر جحا الذي كان من الكتب المرغوب فيها على حد تعبير ابن النديم في الفهرست. ومن أقدم التراجم التاريخية التي وصلت إلينا عن جحا، تلك الترجمة الضافية التي ذكرها الآبي (المتوفي سنة 421هـ، 1030م) في موسوعته نثر الدر. ثم توالى التراجم له في كثير من المصادر الأدبية والتاريخية اللاحقة. وعلى الرغم من أنها أجمعت على الوجود التاريخي لهذه الشخصية، فإنها أنكرت عليه كل ما روي عنه من نواذر بلغت من الكثرة حدًا يستحيل - زمانًا ومكانًا - أن تكون جميعًا متصلة به، بل ذكر الآبي صراحة: “ أن له جيرانًا كانوا يضعون عليه هذه النواذر ” أي يؤلفونها وينسبونها إليه، بل أضافوا إليه أيضًا - كما يقول - نواذر غيره من نواذر الحمقى والمغفلين والأذكياء وعقلاء المجانين وأمثالها من النواذر الذائعة في التراث العربي. وهذا يعني أن الوجدان الشعبي العربي قد انتخب جحا رمزًا لكل ضروب الفكاهة، خاصة بعد أن تزيّد الناس عليه، فنسبوا إليه، على مر العصور، آلاف النواذر حتى ليقول عباس محمود العقاد في كتابه جحا الضاحك المضحك عبارة طريفة ذات دلالة، هي أن جحا لو تفرغ في حياته لصناعة النواذر التي نسبت إليه، لمات قبل أن تنفذ روايتها أو ينتهي هو من إبداعها. ومعني هذا أن جحا انفصل عن واقعه التاريخي وتحول إلى رمز فني استقطب معظم ما قيل من نواذر التراث العربي، الذائعة، وما أكثرها! بل شرع الشعب العربي، على تعدد أقطاره، يؤلف ما يؤلف من نواذر وينسبها إلى جحا على مر العصور.

وهذا يعني أن المأثور الجحوي الذي لايزال يتنامى حتى اليوم، لم يكن - بداهة - من تأليف جحا أو إبداعه، بل كان تعبيرًا جمعيًا من إبداع الشعب العربي بعامه، ترسيبًا للتجربة ونزوعًا إلى السمر في وقت ما.

فأعلن المجتمع الشعبي على لسان جحا تأملاته في الحياة والأحياء، وجسّد تصوراتهِ السياسية والاجتماعية والدينية، بما في ذلك “ المسكوت عنه “ وصاغ رؤيته للعالم، ونظرته للقيم والمثل العليا، كما ينبغي أن تكون، وذلك في صياغة أدبية جمالية، ذات قالب سردي أو شكل فني متميز هو فن الحكاية المرحّة أو ما عرف في تراثنا الأدبي باسم النوادر.

غير أن النقلة النوعية الكبرى في حياة النموذج الجحوي تحققت في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، عندما دخل العرب تحت السيادة العثمانية، حيث استهوى الأتراك آنذاك هذا النموذج الجحوي العربي، فقاموا بنقل نوادره وترجمتها إلى التركية، ونسبتها إلى شخصية تركية شبيهة بالنموذج العربي، اشتهرت أيضاً بميلها للدعابة، وجنوحها إلى السخرية، وحبها للفكاهة، هي شخصية الخوجة نصر الدين، الذي كان معلماً وفقياً وقاضياً. وقد قُدِّرَ له أن يلتقي - تاريخياً - بتيمورلنك الطاغية المعروف؛ وأن تكون بينهما من المواقف والطرائف ما يعكس حمق هذا الطاغية وظلمه وجبروته ضد المستضعفين أفراداً وجماعات.

وفي ضوء اتصال الثقافتين الإيرانية والتركية إبان العصور الوسطى، ادّعى الإيرانيون أيضاً لأنفسهم هذه الشخصية، وأطلقوا عليها اسم المُلّا نصر الدين وزعموا أنها إيرانية لا تركية، ونسبوا إليها النوادر الجحوية، التركية والعربية معاً، فازدادت هذه الشخصية الفكاهية ثراء وشهرة وذيوماً في تركيا وإيران، إلى جانب شهرته العربية بطبيعة الحال لكونه النموذج الأصل. وغدت هذه النماذج الجحوية الثلاثة جزءاً من التراث الشعبي الإسلامي، وعبر هذا التراث - عربياً وتركياً وفارسياً - استطاع جحا العربي أن يعرف طريقه، باسمه وبنوادره معاً أو بنوادره دون اسمه، إلى الآداب العالمية، خاصة في إفريقيا وأوروبا وروسيا وبلاد البلقان والصين وغيرها. وذلك في الوقت الذي تجاهلت فيه ثقافتنا الرسمية السائدة حديثاً هذا النموذج الفني الإنساني، وغابت عنا أصوله

العربية خاصة عندما شرع الناشرون العرب في طباعة كتب التراث العربي، فذكروا في فهارسها - كلما ذكر جحا العربي - أنه المعروف باسم الخوجة نصر الدين. ولما جمعوا هذه النواذر في كتب مستقلة أذاعوها بين الناس تحت عنوان نواذر جحا الكبرى الشهير بنصر الدين خوجة إما جهلاً بأصوله العربية ونواذره الذائعة في كتب التراث العربي المدونة قبل ظهور الدولة العثمانية ذاتها، وهو الأرجح، وإما مجاملة لثقافة الطبقة التركية السائدة خلال القرون الأربعة الأخيرة التي كان العالم العربي فيها تابعاً للخلافة العثمانية.

ولما كان المجتمع الشعبي العربي لا يحفل بتراثه الشعبي إلا بقدر ما يحقق له هذا التراث من وظائف حيوية، فكرية وجمالية، فإنه ظل يردد - في موروثه الشعبي الشفهي - نواذر النموذج الجحوي العربي، بل صار كل قطر عربي يدعيه لنفسه، حتى بات هناك جحا المصري، وجحا الليبي، وجحا السوري، وجحا العراقي، وهكذا. واختلط الأمر على المثقفين العرب، ودبّجوا الكتب والمقالات في جحا الإقليمي، دون أن ينتبهوا أو يتبينوا أصوله العربية القومية الأساس. لكن الدراسات الفولكلورية المعاصرة أثبتت أنه ما من قطر عربي إلا وعرف النموذج الجحوي (العربي / القومي) بسمّيه وملامحه، وأسلوبه وفلسفته في الحياة والتعبير، فعرف فيه “ صمام أمان وعصا توازن ” في خضم تحدياته ومعوقاته - وتمثّل نواذره زاداً فنياً ونفسياً بعيد الأثر قد يدفعه إلى الابتسام والسخرية، وقد يدفعه إلى الضحك والدعابة، لما فيها من انحراف عن المألوف أو تلاعب باللفظ أو خطأ في القياس. ولكننا لو تجاوزنا قشورتها الخارجية، وتأملناها من الداخل لوجدناها وسيلة حيوية من وسائل الدفاع عن الذات العامة، مؤكدة - بالتناقض الظاهر أو الخفي - القيم الإنسانية العليا، والغايات القومية، التي تعمل الجماعة أو الأمة العربية على تحقيقها. وهذا الدور الوظيفي للنواذر في الثقافة الشفهية أقرب ما يكون

إلى الدور الذي يلعبه الكاريكاتير المعاصر، في الثقافة والصحافة المعاصرة.

وتتمثل عبقرية “الفلسفة الجحوية” أو بالأحرى عبقرية الشعب العربي الذي أبدع هذه الشخصية الجحوية، في أمرين: أحدهما في أسلوب هذه الشخصية في المواجهة، حين اكتشفت بعبقريتها أن المأساة يمكن أن تتحول إلى ملهاة، في ضوء الحالة النفسية التي نواجه منها وقائع وأعباء الحياة، فاندماج الإنسان - كما نعلم - في بؤرة الحدث أو الموقف يضنيه، وخروجه منه وفرجته به يسري عنه، وقد يضحكه، وهكذا استطاع جحا أن يكابد الحياة، ويضطرب فيها، وأن يخلق من نفسه شخصاً آخر بعيداً عن الأول، يتفرج به ويسخر منه. وهكذا تحولت المآسي عنده إلى طرائف وملح - ذات طابع إنساني - تخفف عنه وتسري عن أفراد الشعب العربي تأسيّاً به، الأمر الذي دفع الوجدان الشعبي إلى أن يسلك جحا - الواقع والرمز - مسلك الحكماء، في تعبيره الفني والأدبي. والآخر، في “تمميط” هذه الشخصية. فلم يكن الحمق أو الغباء السمة الغالبة عليه، ولكنه التحامق أو الذكاء الباحث عن جوهر الحقيقة. ولهذا لم يكن جحا مخبولاً أو ناقص العقل - كما يتوهم - ولكنه كان الإنسان الذي يتناول الأمور - مهما بدت معقدة أو تظاهرها نحن بتعقيدها - من أقرب الزوايا إلى الحق والواقع، فيبدو مناقضاً لصنيع الآخرين الذين لا يتصورون الحق قريباً ويمدون أبصارهم إلى بعيد.

وقد ذهب القدماء إلى تصنيف نواذر جحا المدونة إلى قسمين كبيرين، أحدهما نواذر الحمق والجنون - حيث الحمق أو الجنون هنا تعبير دلالي يستدعي نقيضه (فضيلة الذكاء والتعقل)، أو لغة إرشادية دالة تبوح بالمسكوت عنه (من حماقات الناس). والآخر نواذر الذكاء. ولكن المحدثين ذهبوا إلى تصنيف المأثور الجحوي الشفاهي والكتابي، طبقاً لمحتواه الدلالي: فهناك النواذر السياسية التي تتناول علاقة المجتمع

الشعبي بالسلطة الحاكمة (السلطان - القضاء - الأمن الداخلي) وخاصة في عصور القهر العسكري والكبت السياسي، وفي عصور التحول التاريخي والاجتماعي وما تمور به من متناقضات اجتماعية ونفسية، وانحرافات سياسية واقتصادية. والمتأمل لما أثر عن جحا من نواذر سياسية، قالها الشعب العربي على لسان جحا، يراها تشكل في مجملها - أسلوباً ووظيفة - باباً واسعاً من أبواب النقد السياسي في الأدب العربي عامة والأدب الشعبي خاصة، فلا غرو أن يستمر احتفاء الوجدان القومي بهذه النواذر الجحوية على مر العصور، وأن يظل معتصماً بها، كلما حزه أمر أو حفزه موقف، في تلك المعركة الأزلية بين القوى السياسية والشعب الأعزل، وما ينشأ بينهما من علاقات سلبية، نتيجة حتمية لغياب القانون، وانحراف القضاء، واختلال ميزان العدالة في فترات تاريخية مختلفة. ليس فقط من قبيل نقد الوضع القائم، وفضح المسكوت عنه - عندما يعزُّ القول - بل أيضاً للقيام بدور " تعويضي " حيث النادرة السياسية هنا بمثابة " تنفيس " عن قهر سلطوي ضاغط، وتهدف إلى التخفيف من المخاوف، حيث يغدو الظالمون موضوعاً للضحك والسخرية، وعندئذ يخف العداء للتسلط، نصغره فنكبر، ونحقره فنرد لذواتنا الاعتبار. فالضحك رفض للظلم، وهذه هي الوظيفة السياسية للنادرة الجحوية. ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من النواذر السياسية الذائعة في المأثور الجحوي الشفهي الحديث لم تعرف طريقها إلى التدوين، بسبب حذر الناشرين من طباعتها ونشرها.

وهناك النواذر الاجتماعية، وهي من الكثرة بمكان، ولا تزال تتنامى إبداعاً وتذوقاً حتى الآن، وتتعاظم وظائفها الحيوية في نقد الواقع الاجتماعي، وما يمور به من سلبيات في القول والفعل والسلوك، مما هو سائد في حياتنا اليومية. ولهذا لم تشأ الأمة العربية أن تجعل هذه الشخصية التي أبدعتها بعقريتها سلبية أو منعزلة، وإنما جعلتها شخصية

رجل عادي من الناس، له مشاعرهم ومواقفهم وتجاربهم، وآمالهم وآلامهم، عليه أن يسعى - في سبيل العيش - كما يسعى غيره، ويختلف إلى الأسواق، ويرحل إلى الأمصار، ويلتقي بالحكام ويتحدث إلى العامة. وهو رب أسرة، له زوج، بينه وبينها ما يكون بين الرجل وصاحبته من الأحداث والمواقف، وله معها نواذر تجسم فلسفته الخاصة في الحياة، بل تجسم ما يريده الشعب العربي من ترسيب التجربة ونقد الحياة الاجتماعية، واتصلت حياة جحا، فكان له ابن ينشئه بحكمته ويحاوره بفكاهته وسخريته، وكأنما أراد أن تمتد حياته وفلسفته أجيالاً متعاقبة. بل سوف نرى أن هذه الشخصية الساخرة تؤكد بدورها وحدة الحياة عند الأمة العربية، فلم تقتصر مواقف جحا على علاقاته بالناس، وخير ما يصور ارتباط جحا بالأحياء تعاطفه مع حمارة الذي ارتقى به حتى جعل منه صديقاً أو شبه صديق، يتحدث إليه ويصب في أذنيه سخرياته اللاذعة من الحياة والأحياء. وبهذا يتكامل الثالوث الجحوي الشهير (امراة جحا، ابنه، حمارة).

ومن الجدير بالذكر أن الشعب العربي في نقده لجوانب الحياة الاجتماعية على لسان جحا، الذي سلك في ذلك مسلك الفكاهة، إنما كان يرى في ذلك التهكم الساخر ضرباً من الثأر السلمي أو القصاص العادل أو الجزاء الاجتماعي الذي تنتقم به الجماعة أو الأمة لنفسها من الخارجين على معاييرها ومثلها وقيمتها، بغية الدفاع عن الذات العامة، وحفاظاً على تماسكها، وتعويضاً لهويتها القومية. ذلك أن النواذر الجحوية بتركيزها على الجانب السلبي في الحياة والمجتمع، لا تنتقم أو تهجو فحسب، بل تعالج وتخفف من التوتر الداخلي، وتحد من مخاوف الجماعة أو الأمة، وتعيد اعتبار الذات للذات.

ومن اللافت للنظر، أن المأثور الجحوي بعامة، لم يكن وفقاً على النقد السياسي أو الاجتماعي فحسب، بل أدى وظائف أخرى، نفسية وجمالية،

بالضرورة. فالنواذر الجحوية ليست إلا تعبيراً عن واقع نفسي وخارجي معاً، في بنية واحدة متعاضدة، إنها هنا تسخر، تنتقد، تنتقم، تفرج، تسري، فهي تنفيس وتفرغ لشحنات انفعالية سالبة. وتأتي النواذر الجحوية - في وظائفها الجمالية والإمتاعية - تحقيقاً للجانب الباسم في مسرح الحياة، باعتبارها رواية هزلية كبرى كما يقال، وغايتها عندئذ التسلية والإمتاع، إما تحقيقاً لهذا الجانب الباسم من الحياة (ابتسم تبتسم لك الحياة)، وإما تسرية وترفيهاً وتفرجاً عن بعض كرب الحياة وضنك العيش (شر البلية ما يضحك). وبذلك تمنحنا هذه النواذر قدراً من “التطهير” النفسي الذي يزود المرء أو الجماعة بقوة التحمل والصبر والتفاؤل في خضم الإحباط الفردي أو الجمعي (القومي) وكأنها جرعة إنقاذية وتنشيطية غايتها “تطعيم” الناس ضد واقع محبط، وراهن جراح، وبذلك تضيء هذه النواذر الجحوية على الحياة والواقع قدراً من التجميل الخيالي والتطهير النفسي الذي يحتاجه الناس كثيراً⁽¹⁾.

مواقف من حياته:

ليس يعرفك إلا سليمان بن داود الذي حبسك:

تأذى أبو الغصن جحا بالريح مرة فقال يخاطبها: ليس يعرفك إلا سليمان ابن داود الذي حبسك حتى أكلت خراك⁽²⁾.

كل شيء لا تأخذه اليد لا يفقد:

وخرج يوماً من الحمام في يوم بارد فضربته الريح فمس خصيتيه فإذا إحدى بيضته قد تقلصت فرجع إلى الحمام وجعل يفتش الناس، فقالوا: ما

(1) انظر: الموسوعة العربية العالمية، الأعلام للزركلي، 2 / 112، الصحاح للجوهري: مادة: غصن، الفهرست لابن النديم، ص 435، أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي، ص 25، ميزان الاعتدال، 2 / 32، حياة الحيوان للدميري، 1 / 273، ثمرات الأوراق لابن حجة الحمري، 1 / 162، تبصير المنتبه لابن حجر، 2 / 558، سير أعلام النبلاء، 8 / 173.

(2) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص 45.

لك؟ فقال: قد سرقت إحدى بيضتي ثم إنه دفئ وحمى فرجعت البيضة فلما وجدها سجد شكرا لله وقال: كل شيء لا تأخذه اليد لا يفقد.

ويستريح من ضغطة القبر ومسألة منكر ونكير:

ومات جار له فأرسل إلى الحفار ليحفر له فجرى بينهما لجاج فى أجرة الحفر، فمضى حجا إلى السوق واشترى خشبة بدرهمين وجاء بها فسئل عنها فقال: إن الحفار لا يحفر بأقل من خمسة دراهم وقد اشترينا هذه الخشبة بدرهمين لنصلبه عليها ونريح ثلاثة دراهم ويستريح من ضغطة القبر ومسألة منكر ونكير.

وحكى أن حجا تبخر يوما فاحترقت ثيابه فغضب وقال: والله لا تبخرت إلا عريانا.

وهبت يوما ريح شديدة، فأقبل الناس يدعون الله ويتوبون فصاح حجا: يا قوم لا تعجلوا بالتوبة وإنما هي زوبعة وتسكن.

يحفر له آبار ونكبسه فيها:

وذكر أنه اجتمع على باب دار أبي حجا تراب كثير من هدم وغيره فقال أبوه: الآن يلزمني الجيران برمي هذا التراب واحتاج إلى مؤنة وما هو بالذي يصلح لضرب اللبن، فما أدري ما أعمل به، فقال له حجا: إذا ذهب عنك هذا المقدار، فليت شعري أي شيء تحسن فقال أبوه: فعلمنا أنت ما تصنع به، فقال يحفر له آبار ونكبسه فيها (1).

يخاف أن يطلب مني الأجرة:

واشترى يوما دقيقا وحمله على حمال فهرب بالدقيق، فلما كان بعد أيام رآه حجا فاستتر منه فقبل له: ما لك فعلت كذا، فقال: أخاف أن يطلب مني الأجرة.

باعه صاحبه بالبراءة من كل عيب:

(1) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص 46.

ووجهه أبوه ليشترى رأساً مشوياً فاشتراه وجلس في الطريق فأكل عينيه وأذنيه ولسانه ودماغه وحمل باقيه إلى أبيه، فقال: ويحك ما هذا؟ فقال: هو الرأس الذي طلبته قال فأين عيناه، قال: كان أعمى؟ قال: فأين أذناه؟ قال: كان أصم، قال: فأين لسانه؟ قال: كان أخرس، قال: فأين دماغه؟ قال: فكان أقرع، قال: ويحك رده وخذ بدله، قال: باعه صاحبه بالبراءة من كل عيب (1).

وحكى أن جحا دفن دراهم في الصحراء وجعل علامتها سحابة تظليها.

ومات أبوه فقيل له اذهب واشتر الكفن، فقال: أخاف أن أشتري الكفن فتقوتني الصلاة عليه.

وحكى أن المهدي أحضره ليمزح معه، فدعا بالنطع والسيف، فلما أقعد في النطع قال للسياف: انظر لا تصب محاجمي فإنني قد احتجمت.

ورأوه يوماً في السوق يعدو فقالوا: ما شأنك، قال: هل مرت بكم جارية رجل مخضوب اللحية.

ومر بقوم وفي كفه خوخ فقال: من أخبرني بما في كفي فله أكبر خوخة، فقالوا: خوخ، فقال: ما قال لكم هذا إلا من أمه زانية.

وسمع قائلاً يقول: ما أحسن القمر، فقال: أي والله خاصة في الليل.

لئلا يختلط الحنطة بالشعير:

وقال رجل: أتحسن الحساب بأصبعك؟ قال: نعم، قال: خذ جريبين حنطة فعدد الخنصر والبنصر، فقال له: خذ جريبين شعيراً، فعدد السبابة والإبهام وأقام الوسطى، فقال الرجل: لم أقمت الوسطى، قال: لئلا يختلط الحنطة بالشعير.

بمائة درهم:

(1) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص 46.

ومر يوماً بصبيان يلعبون بصقر ميت فاشتراه منهم بدرهم وحمله إلى البيت فقالت أمه: ويحك ما تصنع به وهو ميت، فقال لها: أسكتي فلو كان حياً ما طمعت في شرائه بمائة درهم (1).

أصحاب النذور يعطون لا يأخذون:

وقال جحا لأبي مسلم صاحب الدعوة: إني نذرت إن رأيتك أن أخذ منك ألف درهم. فقال: رأيت أصحاب النذور يعطون لا يأخذون، وأمر له بها.

يا بني لا تقم الصلاة فإني على غير وضوء:

وحكي عن جحا أن أباه قال له: دع ما أنت عليه من الجنون والمجون والخلاعة واتزن حتى أخطب لك بعض بنات أهل الثروة والشرف. فقال: نعم يا أبتاه، فتزّين وتبخّر وصار إلى مجمع الناس فقعده وهو صامت وقد حضر أشراف الناس وعظماؤهم، فقال له أبوه: تكلم يا بني، فقال: الحمد لله، أحمده وأستعينه حي على الصلاة حي على الفلاح. فقال أبوه: يا بني لا تقم الصلاة، فإني على غير وضوء.

سحابة في السماء كانت تظلمها:

ومن حمقه، أن موسى بن عيسى الهاشمي مر به يوماً وهو يحفر بظهر الكوفة موضعاً، فقال له: ما بالك يا أبا الغصن لأي شيء تحفر؟ فقال: إني دفنت في هذه الصحراء دراهم ولست أعتدي إلى مكانها. فقال له موسى: كان ينبغي أن تجعل عليها علامة، قال: لقد فعلت، قال: ماذا؟ قال: سحابة في السماء كانت تظلمها، ولست أدري موضع العلامة الآن.

هل كان لصاحبكم قرون:

ومن حمقه أيضاً أنه خرج يوماً بغلس، فعثر في دهليز منزله بقتيل، فألقاه في بئر هناك، فعلم به أبوه فأخرجه ودفنه، ثم خنق كبشاً وألقاه في

(1) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص 47.

البئر، ثم إن أهل القتيل طافوا في سكك الكوفة يبحثون عنه، فتلقاهم جحا وقال: في دارنا رجل مقتول فانظروا لعله صاحبكم، فغدوا إلى منزله، فأنزروه في البئر، فلما رأى الكباش، ناداهم هل كان لصاحبكم قرون. فضحكوا منه وانصرفوا.

أيكما أبو مسلم؟! :

ومن حمقه أيضاً أن أبا مسلم الخراساني، صاحب الدعوة، لما ورد الكوفة، قال لمن حوله: أيكم يعرف جحا فيدعوه إلي؟ فقال يقطين: أنا. فخرج ودعاه، فلما دخل لم يجد في المجلس غير أبي مسلم ويطقين، فقال جحا: يا يقطين أيكما أبو مسلم؟! :

المعارض مع أمّه:

جفا جحا أمه فقال: هذا جزائي وقد حملتك في بطني تسعة أشهر؟ فقال: ادخلي في استي حتى أحملك سنين وخلصيني.

وليس للثالث شيء:

قيل لجحا: أتعلمت الحساب؟ قال: نعم. فما يُشكل على شيء منه. قال له: أقسم أربعة دراهم على ثلاثة. فقال: لرجلين درهمان، درهمان، وليس للثالث شيء.

رأيت جنازة جارية حبشية:

وماتت لأبيه جارية حبشية: فبعث به إلى السوق ليشتري لها كفناً، فأبطأ عليه حتى أنفذ غيره، وحمل الكفن، وحملت جنازتها، فجاء جحا - وقد حُملت - فجعل يعدو في المقابر، ويقول: رأيت جنازة جارية حبشية، كفنها معي؟

في حاجة للبلغة:

وجمحت به يغلّة يوماً، فأخذت به في غير الطريق الذي أرادّه، فلقبه

صديق له. فقال: أين عزمْت يا أبا الغصن؟ فقال: في حاجةٍ للبعْلةِ (1).

بارك الله لنا في الموت وفيما بعد الموت:

ومرت به جنازة، فقال: بارك الله لنا في الموت وفيما بعد الموت. فقيل: إنها جنازة نُصراني. فقال: إذن لا بارك الله لنا في الموت، ولا فيما بعد الموت.

ما لكم؟:

وكانت لهم جارية يقال لها عميرة، فضربتها أمه ذات يوم، وصاحت الجارية واجتمع الجيران على الباب. فخرج إليهم، وقال: ما لكم؟ عافاكم الله. إنما هي أُمي تجلد عميرة.

فما سأل منه شيء (2):

وصلى يقوم - وفي كُمِّه جَرَوْ كلب - فلما ركع سقط الجرو، وصاح، وتنحنح. فالتفت إليهم، وقال: إنَّه سلوُفي عافاكم الله. وحمل جرة خضراء إلى السوق يبيعها. فقالوا: هي مثقوبة. فقال: ليس تسيل، فإنَّه كان فيها قُطنٌ لو الدتي. فما سأل منه شيء.

وأعطاه أبوه درهما يزئه، فطرحه في الكفة، وطرح في الكفة الأخرى سنجة درهمين، وهو يحسبهما سنجة درهم، فلم يستويا، فطرح سنجة الدرهم على رأس الدرهم، فكان أقل، فطرح حبتين أيضاً، ثم قال لأبيه: ليس في شيء، وينقص حبتين.

احفظ الباب:

وذهبت أمه في عرس، وتركته في البيت، وقالت له: احفظ الباب. فجلس إلى الظهر. فلما أبطأت عليه قام، فقلع الباب، وحمله على

(1) الأبي، نثر الدر، 5/ 207.

(2) تجلد عميرة: يكتئ بها العرب عن الاستمناء.

عَاتِقَهُ(1).

الموضع أقرب:

وأراد جحا الخروجَ إلى ضَيْعَةٍ، فَقِيلَ له: أَحْسَنَ اللهُ صَحَابَتَكَ: فقال:
الموضعُ أَقْرَبُ مِنْ ذَاكَ.

فأخْبَزُوهُ:

وَعُجِنَ في مَنْزِلِهِ، فَطَلَبُوا مِنْهُ حَطْبًا. فقال: إِنْ لَمْ يَكُنْ حَطْبٌ فَأَخْبِزُوهُ
فَطِيرًا.

كَانَ فِيهَا دِرْهَمٌ ثَقِيلٌ:

ولما حَذَقَ الْكِتَابَةَ وَالْحِسَابَ بَعَثَ بِهِ الْمَعْلَمَ مَعَ الصَّبِيَّانِ إِلَى أَبِيهِ. فقال
له أَبُوهُ كَمْ عَشْرِينَ فِي عَشْرِينَ؟ فقال: أَرْبَعِينَ وَدَانِقَيْنِ. فقال وَكَيْفَ صَارَ
فِيهِ دَانِقَيْنِ؟ قال: كَانَ فِيهَا دِرْهَمٌ ثَقِيلٌ.

رُؤُوسُ الْحَقِّ:

أَكَلَ جَحَا يَوْمًا مَعَ قَوْمِ رُؤُسَاءَ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْأَكْلِ دَعَا لِلْقَوْمِ، وَقَالَ:
أَطْعَمَكُمُ اللهُ مِنْ رُؤُوسِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

بَقَاءُ أُمِّهِ:

وَمَاتَتْ أُمُّهُ فَجَعَلَ يَبْكِي، وَيَقُولُ: رَحِمَكَ اللهُ فَلَقَدْ كَانَ بِأَبِيكَ مَفْتُوحًا،
وَمَتَاعَكَ مَبْدُولًا.

اسْكُتِي أَنَا أَبِي:

دَخَلَ الْبَيْتَ وَإِذَا جَارِيَةُ أَبِيهِ نَائِمَةٌ، فَاتَكَأَ عَلَيْهَا، فَانْتَبَهَتْ، وَقَالَتْ: مَنْ
ذَا؟ قال: اسْكُتِي أَنَا أَبِي(2).

حَتَّى يَضْطَلُّوا بِهِذِهِ النَّارَ:

(1) (الآبي، نثر الدر، 5/ 208).

(2) (الآبي، نثر الدر، 5/ 209).

وبات ليلةً مع صبيان له، فجعلوا يفسون. فقال لامرأته: هذا - والله - بلية. قالت دَعهم يفسون فإنه أدفاً لهم. فقام وخرى وسط البيت، ثم قال: أثبهي الصبيانَ حتى يصطَلُّوا بهذه النار.

الوجه المستطيل:

قيل له: ما لوجهك مستطيلاً؟ قال: ولدتُ في الصيف، ولولا أن الشتاء أدركه لسال وجهي.

أصل تينك:

وَكَانَ فِي دَارِهِمْ شَجَرَةٌ تَيْنٌ، وَكَانَتْ الدَّارُ لِأُمِّهِ. فَدَعَا أَبُوهُ قَوْمًا فَسَكَّرُوا، وَجَعَلُوا يَبُولُونَ فِي الْبُسْتَانِ. فَقَالَ لِأُمِّهِ: يَا أُمُّهُ: هُوَ ذِي يَبُولُونَ فِي أَصْلِ تَيْنِكَ.

لا تحملوها:

وَمَاتَتْ ابْنَةٌ لَهُ فَذَهَبَ لِيَشْتَرِيَ لَهَا كَفَنًا، فَلَمَّا بَلَغَ الْبَزَازِينَ رَجَعَ مَسْرَعًا فَقَالَ: لَا تَحْمِلُوهَا حَتَّى أَجِيءَ أَنَا.

في مجلة بني فلان:

وَمَرَّ فِي الْمِيدَانِ فَرَأَى قَصْرًا مُشْرِفًا، فَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَيَتَأَمَّلُهُ طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَ أَتَوْهُمْ أَنِّي رَأَيْتُهُ فِي مَجَلَّةِ بَنِي فُلَانٍ.

لكسرت أنفك:

وَدَخَلَ الْبُسْتَانَ فَتَعَلَّقَ ثَوْبُهُ بِشَجَرَةٍ، فَالْتَفَتَ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنَّكَ بَهِيمَةٌ لَكَسَرْتُ أَنْفَكَ.

ويطفو فوق الماء:

وَخَرَجَ يَوْمًا وَمَعَهُ أَنْاءٌ يَسْتَقِي فِيهِ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ، فَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ وَغَرِقَ فَقَعَدَ عَلَى شَطْرِ النَّهْرِ، فَمَرَّ بِهِ صَاحِبٌ لَهُ، فَقَالَ: مَا يُقْعِدُكَ هَا هُنَا؟ قَالَ: إِنَاءٌ لِي قَدْ غَرِقَ وَأَنَا أَتَنْتَظِرُ أَنْ يَنْتَفَخَ وَيَطْفُو فَوْقَ الْمَاءِ.

ومن أين لك خردل تأكله به:

واشترى يوماً نقائق فانقض عليه عقابٌ، وانتسفَ بعضَ النقائِقِ فطار به فنظر إليه، وقال: يا شقي. ومن أين لك خردلٌ تأكله به؟؟

بقي الطي:

وأسلمته أمه في الخياطين، فقالت له بعدَ حولين: تعلمت شيئاً؟ قال: نعم. تعلمت نصفَ العمل. قيل: وما تعلمت؟ قال: تعلمتُ النشرَ، بقي الطي.

خشيت أن أوجعه:

وتعلق بلص في بعض الليل، فصاح اللص: فُرحتي. فخلاهُ حتى مر، وقال: خشيتُ أن أوجعه (1).

إن صدقت الرؤيا مطرنا خرا:

كان جحا نائماً إلى جنب أمه، فضرطت فتشورت فقالت: يا بني رأيت رؤيا فيها رعد وبرق ودوي، فقال: يا أمي، إن صدقت الرؤيا مطرنا خرا (2).

أهل السجن يضربون الليل والنهار:

وذكروا عنده الضراط وقيل: هو شؤم فقال: وما شؤمه؟ قالوا: يبدد الجماعات، ويفرق الشمل، قال: فهذا باطل، أهل السجن يضربون الليل والنهار ولا يفترقون (3).

من له يحلف إذا كذبت:

قال ابن كناسة: كان جحا كوفياً، وكان مولى لبني أسد، وقد روى الحديث وحمل عنه؛ ومات صديق له، فظل يبكي خلف جنازته ويقول: من لي يحلف إذا كذبت، ومن لي يحثني على شرب الخمر إذا تبت، ومن لي يعطي عني في الفسوق إذا أفلست، لا ضيعني الله بعدك، ولا حرمني

(1) الآبي، نثر الدر، 5/ 210.

(2) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 1/ 181.

(3) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 1/ 246.

أجرك(1).

وأما ديوك الناس لا:

نام جحا مع أمه فضرطت، فأحبت أن تعلم ما عنده فقالت: يا أبا الغصن هل صاح الديك؟ فقال: أما ديكك فقد صاح، وأما ديوك الناس لا(2).

لا تساوي أربعة دراهم:

نام جحا مع أمه فضرطت، وأحبت أن تعلم ما عنده فقالت له: بكم اشترى أبوك هذه القطيفة؟ قال: بأربعين درهم، وإن بقي ضراطك فيها أصبحت لا تساوي أربعة دراهم(3).

الطريق يا حمصي!:

قال أبو الحسن: نظر جحا إلى رجل بين يديه يسير على بغلة، فقال للرجل: الطريق يا حمصي! فقال الرجل: ما يدريك أنني حمصي؟ قال: رأيت حر بغلتك، فإذا هو يشبه الحاء، ورأيت فقحتها فرأيتها تشبه الميم ورأيت ذنبها فإذا هو يشبه الصاد، فقلت: إنك حمصي(4).

* * *

(1) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 247/1.

(2) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 263/1.

(3) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 264/1.

(4) الجاحظ، البغال، 5/1.

أشعب بن جبير

أشعب بن جبير

أعلام الظرفاء

أشعب بن جبير

هو أشعب بن جبير واسمه شعيب وكنيته أبو العلاء كان يقال لأمه أم الخلدج وقيل: بل أم جميل وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر واسمها حميدة، عرف بالطامع، ويقال له ابن أم حميدة، ويكنى أبا العلاء وأبا القاسم: ظريف، من أهل المدينة. كان مولى لعبد الله بن الزبير. تأدب وروى الحديث، وكان يجيد الغناء.

وكان أبوه خرج مع المختار بن أبي عبيد وأسره مصعب فضرب عنقه صبراً وقال تخرج علي وأنت مولاي ونشأ أشعب بالمدينة في دور آل أبي طالب وتولت تربيته وكفلته عائشة بنت عثمان بن عفان.

وحكي عنه أنه حكى عن أمه أنها زنت فحلقت وطيف بها وكانت تنادي على نفسها من رأني فلا يزينين فقالت لها امرأة كانت تطلع عليها: يا فاعلة نهانا الله عز وجل عنه فعصيناه أو نطيعك وأنت مجلودة مخلوقة _____ة راکب_____ة على جمل (1).

يضرب المثل بطمعه. وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب. عاش عمراً طويلاً، قيل: أدرك زمن عثمان رضي الله عنه وسكن المدينة في أيامه. وقدم بغداد في أيام المنصور.

روى قليلاً عن: عكرمة، وسالم، وأبان بن عثمان، وروى عنه: معدي ابن سليمان، وأبو عاصم النبيل، وكان صاحب مزاح وتطفيل، ومع ذلك كذب عليه (2).

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 17 / 47 - 50.

(2) سير أعلام النبلاء، 7 / 66، الأغاني: 19 / 135 - 182، تاريخ بغداد: 7 / 37 - 44، الكامل لابن الأثير: 5 / 612، وفيات الأعيان: 2 / 471 - 475، نهاية الإرب: 4 / 24 - 36، تاريخ الإسلام: 6 / 167 - 170، ميزان الاعتدال: 1 / 258 - 262، عبر الذهبية: 1 / 222، فوات الوفيات: 1 / 197 - 201، البداية والنهاية: 111،

موافق من حياته:

خلتان لا تجتمعان في مؤمن:

قيل لأشعب: طلبت العلم وجالست الناس فلو جلست لنا لسمعنا منك، فقال: نعم، فجلس لهم فقالوا: حدثنا، فقال: سمعت عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: خلتان لا تجتمعان في مؤمن، ثم سكت فقالوا: ما الخلتان؟ فقال: نسي عكرمة واحدة ونسيت أنا الأخرى.

فذاك أريد:

قال الواقدي: لقيت أشعب يوماً فقال لي: يا ابن واقد وجدت ديناراً فكيف أصنع به قلت: تعرفه للناس، قال: سبحان الله، قلت: فما الرأي؟ قال: اشتري به قميصاً وأعرفه، قلت: إذن لا يعرفه أحد، قال: فذاك أريد.

أحسن النشر:

وقال الهيثم بن عبيد: أسلمته فاطمة بنت الحسين في البزازين، فقيل له: أين بلغت من معرفة البز فقال: أحسن النشر ولا أحسن أطوي وأرجو أن أتعلم الطي.

لعلمهم يهدون إلينا فيه:

ومر برجل يتخذ طبقاً فقال: اجعله واسعاً لعلمهم يهدون إلينا فيه فيكون كبيراً خيراً من أن يكون صغيراً⁽¹⁾.

وإنك لتعلم ما نريد:

خرج سالم بن عبد الله إلى ناحية من نواحي المدينة متنزهاً ومعه حرم. فبلغ أشعب خبره فوافى الموضع الذي هم فيه فصادف الباب مغلقاً

10 - 113، لسان الميزان: 1 / 450 - 454، شذرات الذهب: 1 / 236، تهذيب ابن

عساكر: 3 / 78 - 83.

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2 / 472.

فتسور الحائط فقال له سالم: ويحك بناتي وحرمي، فقال: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي
بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ} [هود: ٧٩]، فوجه إليه بطعام أكل منه وحمل
إلى منزله.

عجبت أن تفلح أو يفلح أبوك:

قال سليمان الشاذكوني: كان لي بني في المكتب فانصرف إلي يوماً
فقال: يا أبه ألا أحدثك بطريف فقال: هات، فقال: كنت أقرأ على المعلم أن
أبي يدعوك وأشعب الطامع عنده جالس، فلبس نعله وقال: امش بين يدي،
فقلت: إنما أقرأ عشري، فقال: عجبت أن تفلح أو يفلح أبوك.

عن أبي عاصم النبيل قال: سمعت أشعب يقول: ما زفت بالمدينة
امرأة قط إلى زوجها إلا كنست بيتي ورفعت ستري طمعاً في أن تهدي
إلي.

هل رأيت أطمع منك؟:

وقيل لأشعب: هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم، شاة كانت لي على
سطح فنظرت إلى قوس قزح فظننته حبل من طعام فأهوت إليه واثبة من
السطح فاندق عنقها.

ما فعلت ولكني أفعل:

وقدم على يزيد بن حاتم مصر فجلس في مجلسه من الناس، فدعا
يزيد بعض غلمانه وأسر له بشيء، فقام أشعب فقبل يده، فقال له: ولم
فعلت هذا قال: رأيته أسررت إلى غلامك بشيء فعلمت أنك قد أمرت لي
بصلة، فضحك منه وقال: ما فعلت ولكني أفعل، وأمر له بصلة.

لا آكل لحم أبداً:

وتغذى أشعب مع زياد بن عبيد الله الحارثي فجاءوه بلحم ناضج فقال
أشعب للخباز: ضعها بين يدي، فوضعها بين يديه، فقال زياد: من يصلي

بأهل السجن قالوا: ليس لهم إمام، فقال: أدخلوا أشعب يصلي بهم، قال: أو غير ذلك أصلح الله الأمير أحلف لا أكل لحم أبداً⁽¹⁾.

قبل أن يوحى الله إلى النحل:

وحكى المدائني قال: أتى أشعب بطوي عند بعض الولاة فأكل منها فلم

توافقه، ف قيل له: كيف تراها يا أشعب قال: امرأته طالق إن لم تكن عملت من قبل أن يوحى الله إلى النحل.

التسع خصال لك:

وحكى المدائني عن ابن خلف قال: حدثني رجل قال: قلت لأشعب: لو تحدثت عندي العشية، قال: أكره أن يجيء ثقيل، قلت: ليس غيرك وغيري، قال: فإذا صليت الظهر فأنا عندك، فصلى وجاء، فلما وضعت الجارية الطعام إذا صديق لي يدق الباب، قال: ألا ترى قد صرت إلى ما أكره، قلت: إن لك عندي عشر خصال، قال: فما هي قلت: أولها أنه لا يأكل مع ضيف، قال: التسع خصال لك، أدخله.

يسألون عن أحاديث الملوك ويعطون عطاء العبيد:

وحكى الهيثم بن عدي قال: لقيت أشعب، فقلت له: كيف ترى أهل زمانك هذا؟ قال: يسألون عن أحاديث الملوك ويعطون عطاء العبيد.

ما كنت فاعلاً بي شيئاً من ذلك:

وحكى المدائني قال: بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعدما طلق امرأته سعدى، فقال له: يا أشعب إن لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلغ رسالتى سعدى، فقال له: أحضر المال حتى أنظر إليه، فأحضر الوليد بدرة فوضعها أشعب على عنقه وقال: هات رسالتك يا أمير المؤمنين، قال: قل لها: يقول لك:

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2 / 473.

أسعدى هل إليك لنا سبيل :: وهل حتى القيامة من تلاق
بلى ولعل دهرًا أن يواقي :: بموت من حليلك أو طلاق
فأصبح شامتًا وتقر عيني :: ويجمع شملنا بعد افتراق
قال: فأتى أشعب الباب فأخبرت بمكانه فأمرت ففرش لها فرش
وجلست فأذنت له فدخل فأنشدها ما أمره، فقالت لخدمها: خذوا الفاسق،
فقال: يا سيدتي إنها بعشرة آلاف درهم، قالت: والله لأقتلنك أو تبليغه كما
تبليغي، قال: هاتي رسالتك جعلت فداك، قالت: قل له:

أبكي على لبي وأنت تركتها :: وقد ذهبت لبي فما أنت صانع
فأقبل أشعب فدخل على الوليد فأنشده البيت فقال: أوه! قتلنتي والله، ما
تراني صانعاً بك يا بن الزانية اختر إما أن أدليك في البئر منكساً أو أرمي
بك من فوق القصر منكساً أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة، فقال:
ما كنت فاعلاً بي شيئاً من ذلك، قال: ولم قال: لأنك لم تكن لتعذب عيني
قد نظرنا إلى سعدى، قال: صدقت يا بن الزانية، اخرج عني(1).

شجرة الموز:

قال ابن كليب: حدثت أشعب مرة فبكى فقلت: ما يبكيك؟ قال: أنا
بمنزلة شجرة الموز إذا نشأت ابنتها قطعت هي، وقد نشأت أنت في
موالي وأنا الآن أموت وأنا أبكي على نفسي(2).

خبر أشعب مع زيد بن عمرو بن عثمان زوج سكينه بنت الحسين :
عن المدائني قال: كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوج سكينه بنت
الحسين رضي الله تعالى عنه فعتب عليها يوماً، فخرج إلى مال له فذكر
أشعب أن سكينه دعتة فقالت له: إن ابن عثمان خرج عاتبا علي فاعلم لي
حاله قلت لا أستطيع أن أذهب إليه الساعة فقالت أنا أعطيك ثلاثين دينارا
فأعطتني إياها فأتيتها ليلاً فدخلت الدار فقال: انظروا من في الدار، فأتوه،

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2 / 474.

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2 / 475.

فقالوا: أشعب فنزل عن فرشه وصار إلى الأرض، فقال: أشعيب؟ قلت: نعم، قال: ما جاء بك؟ قلت: أرسلتني سكينه لأعلم خبرك أتذكرت منها ما تذكرت منك، وأنا أعلم أنك قد فعلت حين نزلت عن فرشك وصرت إلى الأرض، قال: دعني من هذا وغني:

عُوجا به فاستنطقاه فقد :: ذكّرني ما كنتُ لم أذكر
فغنيته فلم يطرب ثم قال: غني ويحك غير هذا، فإن أصبت ما في
نفسي فلك خلتي هذه وقد اشتريتها أنفا بثلاثمائة دينار فغنيته
أحوجه مع عفافه إلى صلابه شعري :: وأحوجني مع شهواني إلى رقة شعره
وتغنى أشعب بشعره فأجازه

خبر ابن سريج المغني مع سكينه بنت الحسين عليها السلام :

عن مصعب عن شيخ من المكيين قال: كان ابن سريج المغني قد
أصابته الريح الخبيثة، وآلى يميناً ألا يغني ونسك ولزم المسجد الحرام
حتى عوفي ثم خرج وفيه بقية من العلة، فأتى قبر النبي وموضع مصلاه
فلما قدم المدينة نزل على بعض إخوانه من أهل النسك والقراءة فكان أهل
الغناء يأتونه مسلمين عليه، فلا يأذن لهم في الجلوس والمحادثة، فأقام
بالمدينة حولا حتى لم يحس من علته بشيء، وأراد الشخصوص إلى مكة،
وبلغ ذلك سكينه بنت الحسين فاغتمت اغتماما شديدا، وضاق به ذرعها،
وكان أشعب يخدمها وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره، وقالت لأشعب:
ويلك إن ابن سريج شاخص وقد دخل المدينة منذ حول ولم أسمع من
غنائه قليلا ولا كثيرا ويعز ذلك علي فكيف الحيلة في الاستماع منه، ولو
صوتا واحدا، فقال لها أشعب: جعلت فداك وإني لك بذلك والرجل اليوم
زاهد ولا حيلة فيه فارفعي طمعك والحسي تورك تنفعك حلاوة فمك.

فأمرت بعض جواريتها فوطئن بطنه حتى كادت أن تخرج أمعاؤه
وخنقته حتى كادت نفسه أن تتلف، ثم أمرت به فسحب على وجهه، حتى
أخرج من الدار إخراجا عنيفا، فخرج على أسوأ الحالات، واغتم أشعب

غما شديدا وندم على ممارحتها في وقت لم ينبغ له ذلك، فأتى منزل ابن سريج ليلا فطرقة فقيل: من هذا؟ فقال أشعب: ففتحوا له فرأى على وجهه ولحيته التراب والدم سائلا من أنفه وجبهته على لحيته وثيابه ممزقة وبطنه وصدره وحلقه قد عصرها الدوس والخنق ومات الدم فيها، فنظر ابن سريج إلى منظر، فظيع هاله وراعه فقال له: ما هذا؟ ويحك فقص عليه القصة.

فقال ابن سريج: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا نزل بك والحمد لله الذي سلم نفسك لا تعودن إلى هذه أبدا.

قال أشعب فديتك هي مولاتي ولا بد لي منها، ولكن هل لك حيلة في أن تصير إليها وتغنيها، فيكون ذلك سببا لرضاها عني، قال ابن سريج: كلا والله لا يكون ذلك أبدا بعد أن تركته.

قال أشعب: قد قطعت ألمي ورفعت رزقي، وتركتني حيران بالمدينة لا يقبلني أحد وهي ساخطة علي، فאלله الله في وأنا أنشدك الله إلا تحملت هذا الإثم في فأبى عليه.

فلما رأى أشعب أن عزم ابن سريج قد تم على الامتناع، قال في نفسه: لا حيلة لي وهذا خارج وإن خرج هلكت فصرخ صرخة أذن أهل المدينة لها ونبه الجيران من رقادهم، وأقام الناس من فرشهم، ثم سكت فلم يدر الناس ما القصة عند خفوت الصوت بعد أن قد راعهم.

فقال له ابن سريج: ويلك ما هذا؟ قال: لنن لم تصر معي إليها لأصرخن صرخة أخرى لا يبقى بالمدينة أحد إلا صار بالباب، ثم لأفتحنه ولأرينهم ما بي ولأعلمهم أنك أردت تفعل كذا وكذا بفلان - يعني غلاما كان ابن سريج مشهورا به - فمنعتك وخلصت الغلام من يدك، حتى فتح الباب ومضى، ففعلت بي هذا غيظا وتأسفا، وأنت إنما أظهرت النسك والقراءة لتظفر بحاجتك منه، وكان أهل مكة والمدينة يعلمون حاله معه، فقال ابن سريج: اغرب أخزأك الله، قال أشعب والله الذي لا إله إلا هو،

وإلا فما أملك صدقة وامراته طالق ثلاثا وهو نحير في مقام إبراهيم والكعبة وبيت النار والقبر قبر أبي رغال، إن أنت لم تنهض معي في ليلتي هذه لأفعلن.

فلما رأى ابن سريج الجد منه، قال لصاحبه: ويحك أما ترى ما وقعنا فيه وكان صاحبه الذي نزل عنده ناسكا، فقال: لا أدري ما أقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث، وتذمم ابن سريج من الرجل، صاحب المنزل فقال لأشعب: اخرج من منزل الرجل، فقال: رجلي مع رجلك فخرجنا، فلما صاروا في بعض الطريق قال ابن سريج لأشعب، امض عني، قال: والله لئن لم تفعل ما قلت لأصيحن الساعة حتى يجتمع الناس ولأقولن إنك أخذت مني سوارا من ذهب لسكينة على أن تجيئها فتغنيها سرا، وإنك كابرنتي عليه وجحدتني وفعلت بي هذا الفعل، فوقع ابن سريج فيما حيلة له فيه فقال: أمض لا بارك الله فيك فمضى معه، فلما صار إلى باب سكينة قرع الباب، فقيل: من هذا؟ فقال: أشعب قد جاء بابن سريج ففتح الباب لهما ودخلا إلى حجرة خارجة عن دار سكينة فجلسا، ساعة ثم أذن لهما فدخلا إلى سكينة، فقالت: يا عبيد ما هذا الجفاء، قال: قد علمت بأبي أنت ما كان مني، قالت: أجل فتحدثا ساعة وقص عليها ما صنع به أشعب، فضحكت، وقالت: لقد أذهب ما كان في قلبي عليه، وأمرت لأشعب بعشرين ديناراً وكسوة، ثم قال لها ابن سريج: أتأذنين بأبي أنت، قالت: وأين، قال: المنزل، قالت: برئت من جدي إن برحت داري ثلاثا وبرئت من جدي إن أنت لم تغن إن خرجت من داري شهرا وبرئت من جدي إن أقمت في داري شهرا، إن لم أضربك لكل يوم تقيم فيه عشرة، وبرئت من جدي إن حنثت في يميني أو شفعت فيك أحدا.

فقال أبو عبيد وا سخنة عيناه، وا ذهاب دنياه، وا فضيحتاه ثم اندفع يغني: (أستعينُ الذي بكفِّيه نفعي :: ورَجائي على التي قَتَلْتَنِي) فقالت له سكينة: فهل عندك يا عبيد من صبر، ثم أخرجت حلي من

ذهب كان في عضدها وزنه أربعون مثقالا، فرمت به إليه، ثم قالت: أقسمت عليك لما أدخلته في يدك ففعل ذلك، ثم قالت لأشعب: اذهب إلى عزة، فأقرئها مني السلام، وأعلمها أن عبيدا عندنا فلتأتنا متفضلة بالزيارة، فأتاها أشعب فأعلمها فأسرعت المجيء، فتحدثوا باقي ليلتهم، ثم أمرت عبيدا وأشعب فخرجوا فناما في حجرة مواليتها.

فلما أصبحت هيئ لهم غداؤهم، وأذنت لابن سريج، فدخل فتغدى قريبا منها مع أشعب ومواليها، وقعدت هي مع عزة وخاصة جواريتها، فلما فرغوا من الغداء قالت: يا عز إن رأيت أن تغنينا فافعلي قالت: إي وعيشك فتغنت لحنها في شعر عنتره العبسي:

(حُيِّتْ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ :: أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثِمِ)
(إِنْ كُنْتُ أَرْمَعْتُ الْفِرَاقَ فَإِنَّمَا :: رُمِّتَ رِكَابُكُمْ بَلِيلٍ مُظْلِمِ)

فقال ابن سريج: أحسنت والله يا عزة وأخرجت سكينة الحلي الآخر من يدها فرمته إلى عزة وقالت: صيري هذا في يدك، ففعلت ثم قالت لعبيد: هات غننا فقال: حسبك ما سمعت البارحة فقالت: لا بد أن تغنينا في كل يوم لحننا فلما رأى ابن سريج أنه لا يقدر على الامتناع مما تسأله غنى:

قالت مَنْ أُنْتُ عَلَى ذُكْرٍ - فقلت لها :: أنا الذي سَأَفُهُ لِلْحَيْنِ مَقْدَارُ
قد حَانَ مِنْكَ - فلا تَبْعُدْ بِكَ الدَّارَ - :: بَيْنَ وَفِي الْبَيْنِ لِلْمَتَّبُولِ إِضْرَارُ

ثم قالت لعزة في اليوم الثاني غني فغنت لحنها في شعر الحارث بن خالد:

وَقَرَّتْ بِهَا عَيْنِي وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَهَا :: كَثِيرَ الْبُكَاءِ مُشَفِّقًا مِنْ صُدُودِهَا
وَبِشْرَةِ خَوْذٍ مِثْلَ تَشَالٍ بَيْعَةٍ :: تَظِلُّ النَّصَارَى حَوْلَهُ يَوْمَ عِيدِهَا

قال ابن سريج: والله ما سمعت مثل هذا قط حسنا ولا طيبا.

ثم قالت لابن سريج هات فاندفع يغني

أَرْقُتُ فَلَمْ أَنْمُ طَرَبًا :: وَبِتَ مُسَهَّدًا نَصْرَبًا

لَطِيفٍ أَحَبَّ خَلَقَ اللَّهُ :: إِنْ سَأَلْنَا وَإِنْ غَضِبْنَا
فَلَمْ أَرَدْ مَقَالَتَهُ :: وَلَمْ أَكُ عَاتِباً عَتَباً
وَلَكِنْ صَرَّمْتُ حَبْلِي :: فَأَمْسَى الْحَبْلُ مُنْقَضِياً
فَقَالَتْ سَكِينَةُ: قَدْ عَلِمْتَ مَا أَرَدْتَ بِهَذَا وَقَدْ شَفَعْنَاكَ وَلَمْ نَرُدَّكَ، وَإِنَّمَا
كَانَتْ يَمِينِي عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَاذْهَبْ فِي حِفْظِ اللَّهِ وَكَلَاةِهِ.

ثم قالت لعزة إذا شئت ودعت لها بحلة ولا بن سريج بمثلها فانصرفت عزة
وأقام ابن سريج حتى انقضت ليلته وانصرف فمضى من وجهه إلى مكة
راجعا(1).

ولو لم أقطع الحروف لماتت فرحاً:

قال أشعب تعلقت بأستار الكعبة فقلت: اللهم أذهب عني الحرص
والطلب إلى الناس فمررت بالقرشيين وغيرهم، فلم يعطني أحد شيئاً
فجئت إلى أمي فقالت: مالك قد جئت خائباً، فأخبرتها، فقالت: لا والله لا
تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك، فرجعت فقلت: يا رب أفلني، ثم رجعت
فلم أمر بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطوني ووهب لي غلام فجئت إلى
أمي بحمار أحمل عليه من كل شيء، فقالت ما هذا الغلام؟ فخفت أن
أخبرها بالقصة فتموت فرحاً، فقلت: وهبوا لي، قالت: أي شيء، قلت:
غين، قالت: أي شيء غين؟ قلت: لام، قالت: وأي شيء لام؟ قلت: ألف
قالت: وأي شيء ألف؟ قلت: ميم، قالت: وأي شيء ميم؟ قلت: غلام
فغشي عليها، ولو لم أقطع الحروف لماتت فرحاً(2).

وما أصنع به وهو في بطنك؟!:

حدث الأصمعي قال: ولي الخليفة العباسي المنصور زياد بن عبد الله
الحارثي علي مكة والمدينة قال أشعب: فلقيته بالجحفة فسلمت عليه قال
فحضر الغداء وأهدي إليه جدي فطبخه مضيرة، وحشيت القبة قال فأكلت

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 17 / 47 - 50.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19 / 149.

أكلًا أتملح به، وأنا أعرف صاحبي ثم أتى بالقبة فشققتها فصاح الطباخ إنا لله شق القبة، قال: فانقطعت فلما فرغت، قال: يا أشعب هذا رمضان قد حضر ولا بد أن تصلي بأهل السجن، قلت: والله ما أحفظ من كتاب الله إلا ما أقيم به صلاتي، قال: لا بد منه، قال: قلت أو لا أكل جدًا مضيرة، قال: وما أصنع به وهو في بطنك، قال: قلت الطريق بعيد أريد أن أرجع إلى المدينة، قال: يا غلام هات ريشة ذنب ديك، قال أشعب: والجحفة أطول بلاد الله ريشة ذنب ديك قال فأدخلت في حلقي، فتقيأت ما أكلت، ثم قال: لي ما رأيك؟ قال: قلت لا أقيم ببلدة يصاح فيها شق القبة، قال: لك وظيفة على السلطان وأكره أن أكسرهما عليك فقل ولا تشطط قال قلت نصف درهم أجرة حمار يبلغني المدينة قال أنصفت وأعطانيه (1).

فضحتني في الناس:

حدث عبد الله بن شعيب قال: جاء أشعب إلى أبي بكر بن يحيى من آل الزبير فشكا إليه فأمر له بصاع من تمر وكانت حال أشعب رثة، فقال له أبو بكر بن يحيى: ويحك يا أشعب أنت في سنك وشهرتك تجيء في هذه الحال فتضع نفسك فتعطى مثل هذا اذهب فادخل الحمام، فاخضب لحيتك قال أشعب ففعلت ثم جئته فألبسني ثياب صوف له وقال: اذهب الآن فاطلب قال: فذهبت إلى هشام بن الوليد، صاحب البغلة من آل أبي ربيعة، وكان رجلاً شريفاً موسراً فشكا إليه، فأمر له بعشرين ديناراً، فقبضها أشعب، وخرج إلى المسجد وطقق كلما جلس في حلقة، يقول أبو بكر بن يحيى جزاه الله عني خيراً أعرف الناس بمسألة فعل بي وفعل فيقص قصته، فبلغ ذلك أبا بكر فقال: يا عدو نفسه فضحتني في الناس أفكان هذا جزائي (2).

من الطمع!

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19/ 152.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19/ 153.

قال محمد بن القاسم: كان لأشعب خرق في بابه فينام، ويخرج يده من الخرق ويطمع أن يجيء إنسان فيطرح في يديه شيئاً من الطمع.
دية ماذا؟!

قال محمد بن القاسم: صلى أشعب يوماً إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان، وكان مروان عظيم الخلق والعجيزة، فأفلتت منه ريح عند نهوضه لها صوت، فانصرف أشعب من الصلاة، فوهم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح، فلما انصرف مروان إلى منزله، جاءه أشعب فقال له الدية، فقال: دية ماذا؟! فقال: دية الضرطة التي تحملتها عنك، والله وإلا شهرتك فلم يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً.

رعبتني رعبك الله:

قال يحيى بن محمد بن أبي قتيلة: غذا أشعب جديا بلبن زوجته وغيرها حتى بلغ الغاية قال: ومن مبالغته في ذلك أن قال لزوجته: أي ابنة وردان إني أحب أن ترضعيه بلبنك قال: ففعلت، قال: ثم جاء به إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال: بالله إنه لابني قد رضع بلبن زوجتي، وقد حبوتك، به ولم أر أحداً يستأهله سواك، قال فنظر إسماعيل إلى فتنة من الفتن، فأمر به فذبح وسمط فأقبل عليه أشعب، فقال: المكافأة، فقال: ما عندي والله اليوم شيء ونحن من تعرف، وذلك غير فائت لك، فلما يؤس منه قام من عنده، فدخل على أبيه جعفر بن محمد، ثم اندفع يشهق حتى التقت أضلاعه، ثم قال: أخلني، قال: ما معنا أحد يسمع ولا عين عليك، قال: وثب ابنك إسماعيل على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه، قال: فارتاع جعفر، وصاح: ويلك وفيم وتريد ماذا؟ قال: أما ما أريد فوالله ما لي في إسماعيل حيلة، ولا يسمع هذا سامع أبداً بعدك، فجزاه خيراً وأدخله منزله وأخرج إليه مائتي دينار، وقال له: خذ هذه ولك عندنا ما تحب، قال: وخرج إلى إسماعيل لا يبصر ما يطأ عليه، فإذا به مترسل في مجلسه، فلما رأى وجه أبيه نكره، وقام إليه، فقال: يا إسماعيل أو فعلتها بأشعب،

قتلت ولده؟ قال: فاستضحك وقال: جاءني بجدي من صفته كذا، وخبره الخبر، فأخبره أبوه ما كان منه، وصار إليه، قال: فكان جعفر يقول لأشعب: رعبتني رعبك الله، فيقول روعة ابنك، والله إياي في الجدي أكبر من روعتك، أنت في المائتي الدينار (1).

فما أنت صانع؟

عن أشعب قال: أتيت خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ليلة أسأله، فقال لي: أنت على طريقة لا أعطي على مثلها، قلت: بلى، جعلت فداءك، فقال: قم فإن قدر شيء فسيكون، قال: ففقت فإنني لفي بعض سكك المدينة إذ لقيني رجل، فقال: يا أشعب إن كان الله قد ساق إليك رزقاً، فما أنت صانع؟ قلت: أشكر الله وأشكر من فعله، قال: كم عيالك؟ فأخبرته قال: قد أمرت أن أجري عليك وعلى عيالك ما كنت حياً، قال: من أمرك؟ قال: لا أخبرك ما كانت هذه فوق هذه، يريد السماء، وأشار إليها، قال: قلت: إن هذا معروف يشكر، قال: الذي أمرني لم يرد شكرك وهو يتمنى ألا يصل مثلك، قال: فمكنت أخذ ذلك إلى أن توفي خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، قال: فشهدته قريش وحفل له الناس، قال: فشهدته فلقيني ذلك الرجل فقال: يا أشعب انتف رأسك ولحيتك هذا والله صاحبك الذي كان يجري عليك ما كنت أعطيك وكان والله يتمنى مبادعة مثلك، قال: فحملة والله الكرم إذ سألته أن فعل بك ما فعل، قال عمير: قال أشعب: فعلت بنفسي والله حينئذٍ ما حل وحرم.

إذا ناجيت ربك فناجه بوجه طلق:

قال الزبير بن بكار قال: كان أشعب يوماً في المسجد يدعو وقد قبض وجهه فصيره كالصبرة المجموعة فرآه عامر بن عبد الله بن الزبير فحصبه وناداه: يا أشعب إذا ناجيت ربك فناجه بوجه طلق، قال: فأرخی

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19/ 159.

لحيه حتى وقع على زوره قال فأعرض عنه عامر، وقال: ولا كل هذا (1).

فهو أحب إلي:

قال أحمد بن يحيى: قالت صديقة أشعب لأشعب هب لي خاتمك أذكرك به قال اذكريني أني منعك إياه فهو أحب إلي.

هذا عملك الخبيث:

قال أشعب لأمه: رأيتك في النوم مطلية بعسل، وأنا مطلي بعذرة، فقالت: يا فاسق هذا عملك الخبيث كساكه الله عز و جل، قال: إن في الرؤيا شيئاً آخر، قالت: ما هو؟ قال: رأيتني أطلعك وأنت تلطعيني، قالت: لعنك الله يا فاسق (2).

اشربه أنت من الطمع:

أخبر المدائني قال: كان أشعب يتحدث إلى امرأة بالمدينة حتى عرف ذلك فقالت لها جاراتها يوماً: لو سألته شيئاً فإنه موسر، فلما جاء قالت: إن جاراتي ليقلن لي ما يصلك بشيء، فخرج نافراً من منزلها، فلم يقربها شهرين، ثم إنه جاء ذات يوم فجلس على الباب، فأخرجت إليه قدحاً ملآن ماء، فقالت: اشرب هذا من الفزع فقال: اشربه أنت من الطمع.

قد أخذني القولنج:

دخل أشعب يوماً على الحسين بن علي، وعنده أعرابي قبيح المنظر مختلف الخلقة فسبح أشعب حين رآه، وقال للحسين عليه السلام: بأبي أنت وأمي أتأذن لي أن أسلح عليه، فقال الأعرابي: ما شئت ومع الأعرابي قوس وكنانة ففوق له سهماً، وقال: والله لئن فعلت لتكونن آخر

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19/ 160.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19/ 162.

سلحة سلتها، قال أشعب للحسين: جعلت فداك قد أخذني القولنج (1).

الأسماء التي عرضت على آدم:

ذكر أشعب بالمدينة رجلاً قبيح الاسم فقيل له: يا أبا العلاء أتعرف فلاناً قال: ليس هذا من الأسماء التي عرضت على آدم.

عمر الأبد:

سمع أشعب حبي المدينية تقول: اللهم لا تمتني حتى تغفر لي ذنوبي، فقال لها: يا فاسقة أنت لم تسألي الله المغفرة إنما سألته عمر الأبد - يريد أنه لا يغفر لها أبداً.

أعتق ما أملك:

ساوم أشعب رجلاً بقوس عربية، فقال الرجل: لا أنقصها عن دينار، قال أشعب: أعتق ما أملك لو أنها إذا رمي بها طائر في جو السماء ووقع مشوياً بين رغيفين ما أخذتها بدينار فأبى رشد يؤنس منه؟ (2).

سالم قد فتح باب صدقة عمر:

سأل سالم بن عبد الله أشعب عن طعمه، قال: قلت: لصبياني مرة هذا سالم قد فتح باب صدقة عمر، فانطلقوا يعطكم تمرأ فمضوا، فلما أبطؤوا ظننت أن الأمر كما قلت فاتبعتهم.

عرقوب رب البيت :

بينما أشعب يوماً يتغدى إذ دخلت جارة له ومع أشعب امرأته تأكل فدعاها ليتغدى فجاءت الجارة، فأخذت العرقوب بما عليه قال: وأهل المدينة يسمونه عرقوب رب البيت قال: فقام أشعب، فخرج ثم عاد فدق الباب فقالت له امرأته: يا سخين العين، مالك؟ قال: أدخل، قالت: أتستأذن أنت وأنت رب البيت، قال: لو كنت رب البيت ما كانت العرقوب بين

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19 / 163.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19 / 164.

يدي هذه (1).

ثم قام فانصرف:

حدث عبد الله بن محمد بن أبي سلمة قال جاء أشعب إلى مجلس أصحابنا فجلس فيه فمرت جارية لأحدهم بحزمة عراجين من صدقة عمر، فقال له أشعب: فديتك أنا محتاج إلى حطب فمر لي بهذه الحزمة قال: لا ولكن أعطيك نصفها على أن تحدثني بحديث ديباجة الحرم، فكشف أشعب ثوبه عن استه واستوفز، وجعل يخنس ويقول: إن لهذا زماناً، وجعلت خصيته تخطان الأرض ثم قال: أعطاني والله فلان في حديث ديباجة الحرم عشرين ديناراً، وأعطاني فلان كذا، وأعطاني فلان كذا، حتى عد أموالاً، وأنت الآن تطلبها مني بنصف حزمة عراجين ثم قام فانصرف.

يقرقر مثل الدجاجة:

دخل رجل من قريش على سكيئة بنت الحسين عليهما السلام، قال: فإذا أنا بأشعب متفحج جالس تحت السرير، فلما رأيته جعل يقرقر مثل الدجاجة فجعلت أنظر إليه، وأعجب فقالت: مالك تنتظر إلى هذا، قلت: إنه لعجب، قالت: إنه لخبيث قد أفسد علينا أمورنا بغباوته، فحضنته بيض دجاج، ثم أقسمت أنه لا يقوم عنه حتى ينفق (2).

كلباً يتبعني أربعة أميال على مضغ العلك:

وروى عن أحمد بن الحسن البزار، وجدت بخط ابن الوشاء عن أبي الوشاء عن الكديمي عن أبي عاصم، قال: قيل: لأشعب الطامع، رأيت أحداً قط أطمع منك قال: نعم كلباً يتبعني أربعة أميال على مضغ العلك.

لا تعشينا:

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19/ 165.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19/ 168.

اجتازت جنازة الصريمية المغنية بأشعب، وهو جالس في وقوم من قریش فبكى عليها، ثم قال: ذهب اليوم الغناء كله، وعلى أنها الزانية كانت لا رحمها الله شر خلق الله، فقيل: يا أشعب ليس بين بكائك عليها ولعنك إياها فصل في كلامك، قال: نعم كنا نجيبها الفاجرة بكبش، فيطبخ لنا في دارها، ثم لا تعشينا يشهد الله إلا بسلق.

أشعب والغازي :

بلغ أشعب أن الغازي قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره، وأن جماعة قد استطابوه، فرقبه حتى علم أنه في مجلس من مجالس قریش يحادثهم ويضحكهم فصار إليه، ثم قال له: قد بلغني أنك قد نحوت نحوي، وشغلت عني من كان يألّفني، فإن كنت مثلي فافعل كما أفعل، ثم غضن وجهه وعرضه وشنجه حتى صار عرضه أكثر من طوله وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها، ثم أرسل وجهه وقال له: افعل هكذا وطول وجهه، حتى كاد ذقنه يجوز صدره، وصار كأنه وجه الناظر في سيفه، ثم نزع ثيابه وتحادب، فصار في ظهره حدة كسنام البعير وصار طوله مقدار شبر أو أكثر ثم نزع سراويله، وجعل يمد جلد خصييه حتى حك بهما الأرض، ثم خلاهم

من يده، ومشى وجعل يخنس وهما يخطان الأرض، ثم قام فتطاول وتمدد، وتمطى حتى صار أطول ما يكون من الرجال فضحك والله القوم حتى أغمي عليهم، وقطع الغازي فما تكلم بنادرة ولا زاد على أن يقول: يا أبا العلاء لا أعلود ما تكره إنما أنا تلميذك وخريجك ثم أنصرف أشعب وتركه(1).

نصفها حق ونصفها باطل:

وقال أشعب: رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل. قالوا له: كيف

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 19/ 170.

ذلك؟ قال: رأيتني أحمل بدرة نقود، فمن شدة ثقلها علي كنت أقطع في ثيابي، ثم انتبهت، فإذا أنا مقطوع الثياب ولا بدرة.
لكثرة شكرك الله:

وضرب الحجاج أعرابياً سبعمائة سوط، وهو يقول عند كل سوط. شكراً لك يا رب. فلقبه أشعب، فقال: أتدري لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط؟ قال: ما أدري. قال: لكثرة شكرك الله. يقول الله: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧]، فقال الأعرابي:
يا رب لا شكراً فلا تزديني :: أسأت في شكرك فاعف عني
باعد ثواب الشاكرين مني

فأنا أوخرتك ما شئت ولا أسلفك:

وسأل رجل من أشعب أن يسلفه ويؤخره، فقال: هاتان حاجتان، فإذا قضيت إحداهما فقد أنصفت. قال له الرجل: رضيت قال: فأنا أوخرتك ما شئت ولا أسلفك.

يحترق تحتها من دفن فيها:

أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي القعقاع. قال: رأيت أشعب في السوق يبيع قطيفة، ويقول للمشتري: أريد أن أبرأ إليك من عيب. قال: وما ذاك؟ قال: يحترق تحتها من دفن فيها.

من أقواله:

- قال أشعب: من بال ولم يضطر كتب من الكاظمين الغيظ.

- وقيل له: ما بلغ من طمعك؟ قال: لم أنظر إلى اثنين يتساران إلا حسبت أنهما يأمران لي بشيء.

ألم ينهكم سليمان بن داود أن تخرجوا بالنهار:

ونظر أشعب إلى رجل قبيح الوجه، فقال: ألم ينهكم سليمان بن داود أن تخرجوا بالنهار.

لعل يوماً يهْدِي إلي فيه شيء:

ومر أشعب برجل نجار يعمل طبقاً فقال له: زد فيه طوقاً واحداً
تتفضل به علي. قال: وما يدخل عليك من ذلك؟ قال: لعل يوماً يهْدِي إلي
فيه شيء.

قال الأصمعي: أخبرني هارون بن زكريا عن أشعب قال: أدركت الناس
يقولون: قتل عثمان. قال الأصمعي: وعاش أشعب إلى زمان المهدي
ورأيتُه(1).

إلا وفي نفسك خيرٌ تصنعه بي:

وقيل له: ما بلغ من طمعك؟ قال: لم تَقُلْ هذا إلا وفي نفسك خيرٌ
تصنعه بي.

احلف أنه لم يُوص لي بشي قبل موته:

ومن عجيب أخباره أنه لم يمت شريف قط من أهل المدينة إلا استعدى
أشعب على وصيته، أو وارثه، وقال له: احلف أنه لم يُوص لي بشي قبل
موته.

إنك لمطاعة!!:

قيل: بغت أم أشعب، فضربت، وحُلقت، وحملت على بغير يُطاف بها،
وهي تقول: من رأني فلا يزنين. فأشرفت عليها ظريفة من أهل المدينة:
فقالت لها: إنك لمطاعة!! نهانا الله عنه، فما ندعه، وندعه لقولك؟

لا أذوق بصليةً أبدا:

كان زياد بن عبد الله الحارثي على شرطة المدينة، وكان مبخلاً على
الطعام فدعا أشعب في شهر رمضان ليفطر عنده، فقدّمت إليه في أول
ليلة بصلية معفودة، كانت تُعجبه، فجعل أشعب يُمعن فيها - وزياد يلحمه -
فلما فرغوا من الأكل قال زياد: ما أظن أن لأهل السجن إماماً يصلي

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 3/ 52.

به -
في هذا الشهر فليصل بهم أشعب. فقال أشعب: لو غير ذلك - أصلحك الله -
قال: وما هو؟ قال: أحلف أني لا أذوق بصلية أبدا. فخبج زباد،
وتعافل عنه.

ولا تصدقين بالنفاس:

قال أشعب: جاءتني جارية بدينار، وقالت: هذه ودیعة عندك. فجعلته
بين ثئی الفراش. فجاءت بعد أيام فقالت: بأبي الدينار فقلت: ارفعي
الفراش، وحُذي ولدّة. وكنت تركتُ إلى جنبه درهماً فتركت الدينار.
وأخذت الدرهم وعادت بعد أيام فوجدت معه درهماً آخر، فأخذته.
وعادت في الثالثة كذلك. فلما رأيتهَا في الرابعة بكيت. فقالت: ما
يُبكيك؟ قلت: مات دينارُك في النَّفاس. قالت: وكيف يكون للدينار نفاس؟
قلت: يا فاسقة تُصدقين بالولادة، ولا تصدقين بالنفاس!!

فغدوتُ في أثرهم:

سأل سالم بن عبد الله بن عمر أشعب عن طمعه، فقال: قلتُ لصبيان
مرّة: اذهبوا. هذا سالم قد فتح بيت صدقة عمر حتى يُطعمكم تمرّاً. فلمّا
احتبسوا ظننتُ انه كما قلتُ لهم فغدوتُ في أثرهم.
وقيل أيضاً: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما رأيتُ عروساً بالمدينة تُزفُ
إلا كنستُ بيتي، ورششته طمعاً في أن تُزفَ إليّ.

ولكن يشتره بعضُ الأشراف:

ووقف على رجل خيْزُراني - وكان يعمل طبقا - فقال له: وسعه قليلاً.
قال الخيْزُراني: وما تُريد بذلك؟ كأنك تُريد أن تشتريه؟ قال: لا، ولكن
يشتره بعضُ الأشراف، فيهدي إلي فيه شيئاً.

ما لا تطيبُ نفسي بتركه:

وقال له ابنُ أبي عتيق: أما تستحيى - وعندك ما أرى - من أن تسأل

الناس؟ قال: معي من لطف المسألة مالا تطيب نفسي بتركه.

أصطلي بناره:

وجلس يوماً في الشتاء إلى رجل من ولد عقبة بن أبي معيط، فمر به حسن بن حسن، فقال: ما يُقعدك إلى جنب هذا؟ قال: أصطلي بناره.

حتى يخرج بينهما مزامير داود:

ولما مات ابن عائشة المغني جعل أشعب يبكي، ويقول: قلت لكم زوجوا ابن عائشة من الشماسية حتى يخرج بينهما مزامير داود، فلم تفعلوا وكان لا يُغني حذر من قدر (1).

ولقد حسدّه على ذلك:

وقيل له: هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم. كلب أم حومل، تبغني فرسخين، وأنا أمضع كئندراً. ولقد حسدته على ذلك.

لأنه لم يُخالطها رياءً:

وخَفَفَ الصلاة مرةً، فقال له بعض أهل المسجد: خَفَفْتَ الصلاة جداً!! قال: لأنه لم يُخالطها رياءً.

وَقَعَ عند غير شاکر:

وقال له رجل: ضاع معروف عندك. قال: لأنه جاء من غير محتسب ثم وَقَعَ عند غير شاکر.

فمن أشبهت أنت؟:

قال رجل لأشعب - وكان صديق أبيه - يا بني. كان أبوك عظيم اللحية، فمن أشبهت أنت؟ قال: أشبهت أُمي (2).

ولو لا أن يتحدث الناس لأجزلت لك الجائزة:

(1) الأبي، نثر الدر، 1 / 430.

(2) الأبي، نثر الدر، 1 / 431.

وروى ابن عساكر أن أشعب غنى يوماً لسالم بن عبد الله بن عمر قول بعض الشعراء:

مضين بها والبدر يشبه وجهها :: مطهرة الأثواب والدين وافر لها حسب زاك وعرض مهذب :: وعن كل مكروه من الأمر زاجر من الخفرات البيض لم تلق ريبة :: ولم يستملها عن تقى الله شاعر فقال له سالم: أحسنت فزدنا. فغناه:

ألت بنا والليل داج كأنه :: جناح غراب عنه قد نفص القطرا فقلت أعطار ثوى في رحالنا :: وما علمت ليلي سوى ريحها عطرا فقال له: أحسنت ولو لا أن يتحدث الناس لأجزلت لك الجائزة، وإنك من الأمر لبعكان.

فقيم قعودك وقد خرج الناس؟:

عن الأصمعي، قال: قدم جرير المدينة فأتاه الشعراء وغيرهم، وأتاه أشعب فيهم. فسلموا عليه وحادثوه ساعةً وخرجوا، وبقي أشعب. فقال له جرير: أراك قبيحاً وأراك لنيم الحسب، فقيم قعودك وقد خرج الناس؟ فقال له: أصلحك الله، إنه لم يدخل عليك اليوم أحدٌ أنفع لك مني، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنني أخذ رقيق شعرك فأزينه بحسن صوتي. فقال له جرير: فقل. فاندفع يغنيه:

يا أخت ناجية السلام عليكم :: قبل الرحيل وقبل لوم العذل لو كنت أعلم أن آخر عهدكم :: يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل قال: فاستخف جريراً الطرب لغنائه بشعره حتى زحف إليه واعتنقه وقبل بين عينيه، وسأله عن حوائجه ففضاها له⁽¹⁾.

ولكن خذ هذا العود فلعلك تعود:

وكان أشعب يختلف إلى قينة بالمدينة، فجلس عندها يوماً يطارحها

(1) العقد الفريد، 2 / 408.

الغناء، فلما أراد الخروج قال لها: ناوليني خاتمك أذكرك به. قالت: إنه ذهب، وأخاف أن تذهب، ولكن خذ هذا العود فلعلك تعود. وناولته عوداً من الأرض.

فبدر إليه أشعب فمزقه:

ودخل أشعب على والي المدينة، فحضر طعامه، وكان له جدي على مائدته يتحاماه كل من حضر، فبدر إليه أشعب فمزقه، فقال له: يا أشعب، إن أهل السجن ليس لهم إمام يصلي بهم فإن رأيت أن تكون لهم إماماً تصلي بهم، فإن في ذلك أجراً. فقال: والله ما أحب هذا الأجر ولك زوجتي طالق إن أكلت لحم جدي عندك حتى ألقى الله.

فهي أدركت أباك وأكلته:

وبينما قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيتاناً إذ استأذن عليهم أشعب، فقال أحدهم: إن من شأن أشعب البسط إلى أجل الطعام، فاجعلوا كبار هذه الحيتان في قصعة بناحية، ويأكل معنا الصغار، ففعلوا. وأذن له، فقالوا له: كيف رأيك في الحيتان؟ فقال: والله إن لي عليها لحرذاً شديداً وحنقاً، لأن أبي مات في البحر وأكلته الحيتان. قالوا له: فدونك خذ بثأر أبيك. فجلس ومد يده إلى حوت منها صغير، ثم وضعه عند أذنه، وقد نظر إلى القصعة التي فيها الحيتان في زاوية المجلس، فقال: أتدرون ما يقول لي هذا الحوت؟ قالوا: لا ندري. قال: إنه يقول: إنه لم يحضر موت أبي ولم يدركه لأن سنه يصغر عن ذلك، ولكن قال لي: عليك بتلك الكبار التي في زاوية البيت، فهي أدركت أباك وأكلته⁽¹⁾.

عمر هذا الجدي بعد أن ذبح وشوي أطول منه قبل ذلك:

حكى عن أشعب أنه حضر إعداراً صنعه بعض ولاة المدينة، وكان

مبخلاً، فدعا الناس ثلاثة أيام وهو يجمعهم على مائدة عليها جدي مشوي، فيحوم الناس حوله، ولا يمسه منهم أحد لعلمهم ببخله، وأشعب في كل يوم يحضر ويرى الجدي، فقال في اليوم الثالث: زوجته طالق إن لم يكن عمر هذا الجدي بعد أن ذبح وشوي أطول منه قبل ذلك(1).

ما فعلت ولكني أفعَل:

قدم أشعب المشهور في الطمع على يزيد وهو بمصر فجلس بمجلسه ودعا بغلامه فساره فقام أشعب فقبل يده فقال له يزيد: لم فعلت هذا فقال: إني رأيتك تسارر غلامك فظننت أنك قد أمرت لي بشيء فضحك منه وقال: ما فعلت ولكني أفعَل. ووصله وأحسن إليه.

مالك قد جئت خائباً؟:

قال أشعب: تعلقت بأستار الكعبة فقلت: اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس، فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئاً. فجئت إلى أُمي، فقالت: مالك قد جئت خائباً؟ فأخبرتها بذلك، فقالت: والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك فرجعت فجعلت أقول: يا رب أقلني، ثم رجعت، فما مررت بمجلس لقريش ولا غيرهم إلا أعطوني.

لعل الشيطان يتشبه بك:

وقال مصعب بن عثمان: لقي أشعب سالم بن عبد الله بن عمر، فقال له: يا أشعب، هل لك في هريس أعد لنا؟ قال: نعم، بأبي أنت وأمي. فمضى أشعب إلى منزله، فقالت له امرأته: قد وجه عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك، قال: ويحك إن لسالم بن عبد الله هريسة قد دعاني إليها، وعبد الله ابن عمرو في يدي متى شئت، وسالم إنما دعوته للناس فلتة، وليس لي بد من المضي إليه. قالت: إذا يغضب عبد الله. قال أكل عنده ثم

(1) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1418هـ - 1998م، 257/1.

أصـير إلـى
عبد الله. فجاء إلى منزل سالم فجعل يأكل أكل متعالي. فقال له: كل يا أشعب، وابعث ما فضل عنك إلى منزلك. قال: ذلك أردت، بأبي أنت وأمي. قال: فقال: يا غلام، احمل هذا إلى منزله، فحملة ومشى أشعب معه. فقالت امرأته: ثكلتك أمك، قد حلف عبد الله لا يكلمك شهراً، قال: دعيني وإياه، هاتي شيئاً من زعفران، فأعطته، فأخذه ودخل الحمام، فمسحه على وجهه وبدنه، وجلس في الحمام حتى صفره، وخرج متوطأ على عصا يردد حتى أتى دار عبد الله بن عمرو بن عثمان. فلما رآه حاجبه قال: ويحك بلغت بك العلة ما أرى. ودخل فأعلم صاحبه، فأذن له. فلما دخل عليه، إذا سلم بن عبد الله عنده، فجعل يزيد في الرعدة، ويقارب الخطو، وجلس وما كاد أن يستقل. فقال عبد الله: ظلمناك يا أشعب في غضبنا عليك. فقال له سالم: ويلك مالك؟ ألم تكن عندي أنفاً وأكلت هريسة قال: لقد شبه لك، لا حول ولا قوة إلا بالله. قال: لعل الشيطان يتشبه بك. قال أشعب: علي وعلي إن كنت رأيتك منذ شهر. فقال له عبد الله: اعزب ويلك عن خالي أتبهته لا أم لك قال: ما قلت إلا حقاً. قال: بحياتي اصدقني وأنت آمن من غضبي.

قال: وحياتك لقد صدق، وحدثه بالقصة، فضحك حتى استلقى على قفاه (1).

بل أعطوه مائة دينار:

عن ابن أشعب عن أبيه، قال: دعي ذات يوم بالمغنين إلى الوليد بن يزيد، وكنت نازلاً معهم، فقلت للرسول: خذني فيهم، قال: لم أوامر بك، إنما أمرت بإحضار المغنين، وأنت بطل لا تدخل في جملتهم. فقلت له: أنا والله أحسن غناء منهم، ثم اندفعت فغنيت. فقال: لقد سمعت حسناً، ولكن أخاف. قلت: لا خوف عليك، ولك من ذلك شرط. قال: وما هو؟

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 4/ 33.

قلت: كل ما أصبت فلك شطره، فأشهد علي الجماعة، ومضينا حتى دخلنا على الوليد، وهو لقس النفس، فغناه المغنون في كل فن فلم يتحرك ولم ينشط. فقام الأبحر إلى الخلاء، وكان خبيثاً داهياً، فسأل الخادم عن خبره، فقال: بينه وبين امرأته شر، لأنه عشق أختها فغضبت عليه، وهو إلى أختها أميل، وقد عزم على طلاقها، وحلف ألا يذكرها أبداً بمراسلة أو مخاطبة، فخرج على هذه الحال من عندها. فعاد الأبحر إلينا، وجلس ثم اندفع يغني:

فبيني فأني لا أبالي وأيقني :: أصدع باق حاكم أم تصوبا
ألم تعلمي أي عزوف عن الهوى :: إذا صاحي من غير شيء تغضبا
فطرب الوليد وارتاح، وقال للأبحر: أصبت والله يا عبيد ما في نفسي، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشرب حتى سكر، ولم يحظ أحد بشيء سوى الأبحر. فلما أيقنت بانقضاء المجلس وثبت فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر من يضربني مائة سوط الساعة بحضرتك فضحك. ثم قال: قبحك الله وما السبب في ذلك؟ فأخبرته بقصتي مع الرسول، وقلت له: إنه بدأني بالمكروه في أول يومه فاتصل علي إلى آخره، فأريد أن أضرب مائة سوط ويضرب بعدي مثلها.

فقال: لقد لطفت، بل أعطوه مائة دينار، وأعطوا الرسول خمسين ديناراً من مالنا عوض الخمسين التي أراد أخذها من أشعب، فقبضتها وانصرفت(1).

أتدري في أي شيء أموت؟

قال ابن زبنج: كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأعبثهم، فبينما نحن ذات يوم عنده وعنده أشعب، إذ أقبل أعرابي معه جمل، والأعرابي أشقر أزرق أزعر يتلظى كأنه أفعى، والشر بين في وجهه، ما يدنو منه أحد إلا شتمه ونهره، فقال أبان: هذا والله من البادية، ادعوه لي، فدعوه له

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 4/ 35.

وقيل: إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك، فأتاه فسلم عليه، فسأله أبان بن عثمان عن نسبه، فانتسب له. فقال له أبان: حياك الله يا خال، اجلس، فجلس. فقال له: إني أطلب جملاً مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهي بهذه الصفة وهذه الهامة والصورة والورك والأخفاف، والحمد لله الذي جعل ظفري به عند من أحبه، أتبيعه؟ فقال: نعم أيها الأمير. قال: فإني قد بذلت لك به مائة دينار، فطمع الأعرابي وسر بذلك وانتفخ، وبان الطمع في وجهه. فأقبل أبان على أشعب ثم قال له: ويلك يا أشعب إن خالي هذا من أهلك وأقاربك يعني: في الطمع فأوسع له مما عندك، قال: نعم، بأبي أنت وزيادة. فقال له أبان: يا خال، إنما زدتك في الثمن على بصيرة أن الجمل يساوي ستين ديناراً، ولكني بذلت لك مائة دينار لقلة النقد عندنا، وإني أعطيك عروضاً (أشياء) تساوي مائة دينار، فزاد طمع الأعرابي وقال: قد قبلت ذلك أيها الأمير. وأسر أبان إلى أشعب، فأخرج شيئاً مغطى، فقال له: أخرج ما جئت به، فأخرج جرد عمامة تساوي أربعة دراهم. فقال له: قومها يا أشعب. فقال: عمامة الأمير تساوي أربعة دراهم. فقال له: قومها يا أشعب. فقال: عمامة الأمير يشهد فيها الأعياد والجمع ويلقي فيها الخلفاء خمسون ديناراً. قال: ضعها بين يديه، وقال لابن زبنج: أثبت قيمتها، فكتب ذلك، ووضعت العمامة بين يدي الأعرابي، فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً، ولم يقدر على الكلام. قال:

هات قلنسوتي، فأخرج قلنسوة طويلة خلقاً قد علاها الوسخ والدهن وتخرقت تساوي نصف درهم. قال: قوم، فقال: قلنسوة الأمير تعلو هامته، ويصلي فيها الصلوات الخمس، ويجلس فيها للحكم ثلاثون ديناراً. قال: أثبت، فأثبت ذلك، ووضعت القلنسوة بين يدي الأعرابي فأربد وجهه وجحظت عيناه وهم بالوثوب، ثم تماسك وهو مقلقل. ثم قال لأشعب: هات ما عندك، فأخرج خفين خلقين قد نقبا وتقشرا وتفتتا، فقال: قوم، فقال: خفا الأمير يطأ بهما الروضة، ويعلو بهما منبر النبي صلى الله عليه وسلم

أربعون ديناراً، فقال: ضعهما بين يدي. ثم قال للأعرابي: أضمم إليك متاعك، وقال لبعض الأعوان: امض مع الأعرابي واقبض ما بقي لنا عليه من ثمن المتاع، وهو عشرون ديناراً. فوثب الأعرابي فأخذ القماش فضرب به وجوه القوم لا يألو في شدة الرمي، ثم قال له: أتدري في أي شيء أموت؟ قال: لا، قال: لم أدرك أباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولد مثلك ثم نهض كالمجنون حتى أخذ برأس بعيه، وضحك أبان حتى سقط، وضحك من كان معه. فكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له: هلم إلي يا بن الخبيثة، حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قومت، فيهرب منه أشعب(1).

فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تهلكيني:

وقال المدائني: حدثني شيخ من أهل المدينة قال: كانت امرأة شديدة العين، لا تنتظر إلى شيء فتستحسنه إلا عانتها، فدخلت على أشعب وهو في الموت، وهو يقول لابنته: يا بنية، إذا أنا مت فلا تتدبيني، والناس يسمعونك، وتقولين: وا أبتاه، أندبك للصوم والصلاة، للفقهاء والقرآن، فيكذب الناس ويلعنوني. ثم التفت فرأى المرأة، فغطى وجهه بكفه وقال لها: يا فلانة، بالله إن كنت استحسنيت شيئاً مما أنا فيه، فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تهلكيني، فغضبت المرأة وقالت: سخنت عينك وفي أي شيء أنت مما يستحسن؟ أنت في آخر رفق قال: قد علمت، ولكن قلت لئلا تكوني قد استحسنيت خفة الموت علي وسهلة النزاع، فيشتد ما أنا فيه. فخرجت من عنده وهي تسبه، وضحك من كان حوله من كلامه ومات(2).

من أين وقعت على هذا؟:

قال أشعب: ولي المدينة رجل من ولد عامر بن لؤي، وكان أبخل

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 4/ 36.

(2) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 4/ 37.

الناس وأنكدهم، وأغداه الله بي يطلبني في ليلة ونهاره، فإذا هربت منه هجم على منزلي بالشرط، وأن أضحكه، ولا أسكت ولا أنام، ثم لا يطعمني ولا يعطيني شيئاً، ولقيت منه جهداً عظيماً وبلاء شديداً، وحضر الحج فقال لي: يا أشعب كن معي، قلت: بأبي أنت وأمي، أنا عليل وليست لي في الحج نية فقال: عليه وعليه، وقال: إن الكعبة بيت النار لئن لم تخرج معي لأودعك الحبس حتى أقدم، فخرجت معه مكرهاً، فلما نزلنا المنزل أظهر أنه صائم، ونام حتى تشاغلته أكل ما في سفرته، وأمر غلامه أن يطعمني رغيفين بملح، فجئت وعندي أنه صائم، ولم أزل منتظراً إلى المغرب أتوقع إفطاره، فلما صليت المغرب قلت لغلامه: ما ينتظر بالأكل؟ قال: قد أكل منذ زمان، قلت: أو لم يكن صائماً؟ قال: لا، قلت: أفأطوى أنا؟ قال: قد أعد لك ما تأكله فكل، وأخرج إلي رغيفين والملح، فأكلتهما وبت ميتاً جوعاً، وأصبحت فسرنا حتى نزلنا المنزل، فقال لغلامه: ابتع لنا لحماً بدرهم، فابتاعه، فقال: كذب لي قطعاً، ففعل، فأكله ونصب القدر، فلما اغبرت قال: اغرف لي منها قطعاً ففعل، وأكلها ثم قال: اطرح فيها دقة وأطعمني منها، ففعل، ثم قال: ألق توابلها وأطعمني منها، ففعل، وأنا جالس أنظر إليه لا يدعوني، فلما استوفي اللحم كله قال: يا غلام أطعم أشعب، فرمى إلي برغيفين، فجئت إلى القدر فإذا ليس فيها إلا مرق وعظام، فأكلت الرغيفين، وأخرج له جراباً فيه فاكهة يابسة، فأخذ منها حفنة فأكلها، وبقي في كفه كف لوز بقشره، ولم تكن له فيه حيلة، فرمى به إلي وقال: كل هذا يا أشعب، فذهبت أكسر واحدة منه فإذا ضرسي قد انكسرت منها قطعة فسقطت بين يدي، وتباعدت أطلب حجراً أكسر به فوجدته فضربت به لوزة فطفرت علم الله مقدار رمية حجر وعدوت في طلبها، فبينما أنا في ذلك إذ أقبل بنو مصعب، يعني ثابتاً وإخوته، يلبنون بتلك الحلوقة الجهورية، فصحت بهم: الغوث الغوث بالله وبكم يا آل الزبير، الحقوني أدركوني، فركضوا إلي،

فلما رأوني قالوا: مالك ويلك؟ قلت: خذوني معكم تخلصوني من الموت، فحملوني معهم، فجعلت أرفرف بيدي كما يفعل الفرخ إذا طلب الزق من أبيه، فقالوا: مالك ويلك؟ قلت: ليس هذا موضع الحديث، زقوني زقوني ما معكم، فقد مت ضراً وجوعاً منذ ثلاث، فأطعموني حتى تراجعتم نفسي وحملوني معهم في محمل ثم قالوا: أخبرنا بقصتك، فحدثتهم وأريتهم ضرسي المكسورة، فجعلوا يضحكون ويصفقون فقالوا: ويحك من أين وقعت على هذا؟ هذا من أبخل خلق الله وأدناهم نفساً. فحلفت بالطلاق أني لا أدخل المدينة ما دام له بها سلطان، فلم أدخلها حتى عزل⁽¹⁾.

إذن نوفرهما عليك:

قال الوليد لأشعب: تمن؟ فقال أشعب: يتمنى أمير المؤمنين ثم أتمنى؟ فقال الوليد: إنما أردت أن تغلبني، إني أتمنى ضعفي ما تتمنى، فقال أشعب: إني أتمنى كفلين من العذاب، قال: إذن نوفرهما عليك.

هذا يحرق الفؤاد:

قال أشعب: بلغني مكان عبد الله بن عمر في مال له يتصدق بثمرته. فركبت إليه بأصحابي ووافيته في ماله، فقلت: يا بن أمير المؤمنين، ويا ابن الفاروق أوقر لي بعيري هذا تمرأ، فقال: أمن المهاجرين أنت؟ قلت: اللهم لا، قال: أفمن الأنصار؟ قلت: اللهم لا، قال: أفمن التابعين بإحسان؟ فقلت: أرجو، فقال لي: إن يحق رجائك أفمن أبناء السبيل أنت؟ قلت: لا، قال: فعلام أوقر لك بعيرك تمرأ؟ قلت: لأنني سائل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن أتك السائل على فرس فلا ترده، قال: لو شئنا أن نقول لك إنه قال: "إن أتك على فرس" ولم يقل أتك على بعير، لقلنا، ولكن أمسك ذلك لاستغنائي عنه لأنني قلت لأبي عمر بن

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1/ 252.

الخطاب رضي الله تعالى عنه: إذا أتاني سائل على فرس أعطيه؟ قال: إنني سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما سألتني عنه، فقال: نعم، إذا لم تصب راجلاً؛ ونحن أيها الرجل نصيب رجالة، فعلام أعطيك وأنت على بعير؟ فقلت له: بحق أبيك الفاروق وبحق الله عز وجل وبحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما وقرت لي بعيري. فقال عبد الله: أنا أوقره لك تمراً، وحق الله وحق رسوله لأن عاودت استحلافي لا أبررت لك قسمك، ولو أنك اقتصرت على إحلافي بحق أبي في ثمرة أعطيكها لما أنفذت قسمك لأنني سمعت أبي يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تشدوا الرحال إلى مسجد لرجاء الثواب إلا إلى المسجد الحرام ومسجدي يشرب"، ولا يبر أحد قسم مستحله إلا أن يستحله بحق الله وحق رسوله. ثم قال للسودان في ذلك المال: أوقروا بعيره تمراً. قال: فلما أخذ السودان في حشو الغرائر قلت: إن السودان أهل طرب، وإن أطربتهم أجادوا حشو غرائري. فقلت: يا بن الفاروق أتأذن لي في الغناء فأغنيك؟ فقال لي: أنت ورائك. فاندفعت في النصب، فقال لي: هذا الغناء الذي لم نزل نعرفه، ثم غنيته صوتاً لطويس:

خليلي ما أخفي من الحب باطن :: ودمني بما قلت الغداة شهيد
قال، فقال لي عبد الله: يا هنه، لقد جددت في هذا الغناء ما لم يكن.
قال: ثم غنيته لابن سريج قوله:

يا عين جودي بالدموع السفاح :: وابكي على قتلى قريش البطاح
فقال لي: يا أشعب، هذا يحرق الفؤاد، أراد: هذا يحرق الفؤاد، لأنه كان
ألشع لا يبين الرء ولا اللام؛ قال أشعب: فكان لا يراني بعد ذلك إلا
استعادي هذا الصوت (1).

أظننت أنه يذبحك؟:

ودعا الحسن بن الحسن علي أشعب فأقام عنده، وكان عند الحسن شاة،

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 2 / 488.

فقال لأشعب: أنا أشتهي أن أكل من كبد هذه الشاة، فقال له أشعب: بأبي أنت وأمي. أعطنيها وأنا أذبح لك أسمن شاة بالمدينة، فقال له: أخبرك أني أشتهي كبد هذه الشاة وتقول لي أسمن شاة بالمدينة؟ اذبح يا غلام، فذبحها وشوي له من كبدها وأطايبها فأكل. وقال من غد: يا أشعب، أنا أشتهي من كبد نجيبى هذا لنجيب عنده ثمنه ألوف دراهم فقال له أشعب: في ثمن هذا والله غناي، فأعطينيه وأنا والله أطعمك من كبد كل جزور بالمدينة. فقال: أخبرك أني أشتهي كبد هذا وتطعمني من غيره؟ يا غلام، انحر، فنحر النجيب وشوى كبده فأكلا. فلما كان اليوم الثالث قال له: يا أشعب، أنا والله أشتهي أن أكل من كبذك؟ قال: سبحان الله! أتأكل أكباد الناس؟ قال: قد أخبرتك، فوثب أشعب فرمى بنفسه من درجة عالية فانكسرت رجله، فقيل له: ويلك، أظننت أنه يذبحك؟ فقال: والله لو أن كبدي وجميع أكباد العالمين اشتهاها لأكلها. وإنما فعل الحسن ما فعل حيلة على أشعب وتوطئة للبعث به(1).

هما جورب وقلنسوة:

قال أشعب لفقيه: ما تقول في صلاة صليتها في ثوبين؟ قال: هي جائزة في ثوب فكيف في ثوبين؟ قال: هما جورب وقلنسوة.

لله دركم يا أهل مكة، ماذا أعطيتم!:

قال إسحاق بن يحيى بن طلحة: قدم جرير بن الخطفي المدينة ونحن يومئذ شبان، فطلب الشعراء فاحتشدنا له ومعنا أشعب، فبينما نحن عنده إذ قام لحاجة وأقمنا لم نبرح، ويجيء الأحوص بن محمد الشاعر من قباء على حمار، فقال: أي هذا؟ قلنا: قد قام لحاجة فما حاجتك إليه؟ قال: أريد والله أن أعلمه أن الفرزدق أشرف منه وأشعر، قلنا له: ويحك، لا تعرض له فانصرف. وخرج جرير، فلم يك بأسرع من أن أقبل الأحوص، فوقف عليه فقال: السلام عليك، فقال جرير: وعليك السلام، فقال: يا بن الخطفي، الفرزدق أشرف منك وأشعر، قال جرير: من هذا أخزاه الله!

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 3/ 21.

قلنا: الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، فقال: نعم، هذا الخبيث ابن الطيب، أنت القائل: من الطويل: يَقْرُ بَعِينِي مَا يَقْرُ بَعَيْنَهَا :: وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتْ فقال: نعم، قال: فإنه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر، أفقر ذاك بعينك؟ وكان الأحوص يرمي بالحلاق، فانصرف فبعث إليه بتمر وفاكهة. وأقبلنا على جرير نسأله وأشعب عند الباب وجرير في مؤخر البيت، فألح عليه أشعب يسأله، فقال: والله إنني لأراك أقبحهم وجهاً، وأراك الأمهم حسباً، قد أبرمتني منذ اليوم، فقال: إنني والله أنفعهم وخيرهم لك، فانتبه جرير وقال: ويحك، وكيف ذاك؟ قال: إنني أملح شعرك وأجيد مقاطعه ومبادئه، قال: قل، ويحك! فاندفع أشعب فتغنى بلحن لابن سريج في شعره:

يَا أُخْتَ نَاجِيَةَ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ :: قَبْلَ الرِّحِيلِ وَقَبْلَ لَوْمِ الْعُدْلِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ :: يَوْمَ الرِّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ يُفْعَلْ
فطرب جرير وجعل يزحف حتى مست ركبته ركبته، وقال: لعمري لقد صدقت، إنك لأنفعهم لي، وقد حسنته وأجدته وزينته، أحسنت والله! ووصله وكساه. فلما رأينا إعجاب جرير بذلك الصوت قال له بعض أهل المجلس: فكيف لو سمعت واضع هذا الغناء؟ قال: وإن له لواضعاً غير هذا؟ قلنا: نعم، قال: وأين هو؟ قلنا: بمكة، قال: فلست بمفارق حجازكم حتى أبلغه. فمضى ومضى معه جماعة ممن يرغب في طلب الشعر في صحابته وكنت فيهم. فقدمنا مكة فأتيناها بأجمعنا فإذا هو في فتية من قريش كأنهم المها مع ظرف كثير، فرحبوا وأذنوا وسألوا عن الحاجة، فأخبرناهم الخبر، فرحبوا بجرير وأذنوه وسروا بمكانه، وأعظم عبيد بن سريج موضع جرير وقال: سل ما تريد جعلت فداك، قال: أريد أن تغنيني لحناً سمعته بالمدينة أزعجني إليك، قال: وما هو؟ قال:

يَا أُخْتَ نَاجِيَةَ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ

فغناه ابن سريج وببده قضيب يوقع به وينكت، فو الله ما سمعنا شيئاً قط أحسن من ذلك، فقال جرير: لله دركم يا أهل مكة، ماذا أعطيتم! والله لو أن نازعاً نزع إليكم ليقم بين أظهركم يسمع هذا صباح مساء لكان أعظم الناس حظاً ونصيباً، ومع هذا بيت الله الحرام، ووجوهكم الحسان، ورقة ألسنتكم وحسن شاركتكم، وكثرة فوائدكم⁽¹⁾.

ووفى عبد الله لأشعب بالمائة دينار:

وقال إسحق: حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: كان عبد الله بن عمرو بن عثمان يلي صدقات عثمان بن عفان رضي الله عنه وأحباسه وأوقافه وله أخٌ من أبيه يقال له عثمان بن عمرو ويلقب ب(خرا الزنج) سفيه مخنث مهتوك، ف قيل له: ويلك أخوك من الجلالة والفضل على ما قد علّمه الناس، وهو يلي صدقات جدّك، وأنت سفيه مهتوك، فلو لزمتم المسجد واستقام مذهبك، جُعِلت لك يدٌ مع أخيك، ولعلها كانت تقضي إليك بعده، وجعل قومٌ يحسدون عبد الله ويغرون أخاه بذكر هذا، وكان عبد الله أجمل أهل زمانه وكان يلقب بـ “قبة الديباج”، فذكر الماجشون قال: كان الناس يختلفون إليه وإلى عبد الله بن عبد الله بن عباس وهما بالمسجد يتأملون حسنهما ويزعمون أنهما أجمل أهل زمانهما فلزم “خرا الزنج” المسجد والصلاة والجماعة والقراءة حتى عُرف بالخير، ثم خاصم أخاه عبد الله عند القاضي وكان القاضي سيئ الرأي في عبد الله فوجد “خرا الزنج” أن يدخل يده مع عبد الله في الوقف، ولم يأمنه عبد الله أن يفعل، للذي بينهما من الخلاف، فضاق به أمره، وكان يمزح مع أشعب، وجاءه أشعب فرآه مغموماً، فقال: ما لك يا سيدي يا بن الشهيد، فعرفّه، فقال: إن احتلت الآن لتصرفه عن رأيه فلك مائة دينار، فإنه يقبل منك لما بينك وبينه، فقال له أشعب: كفيئك، وجاء أشعب حتى أتاه في المسجد فقال له: ويلك ما هذا الشؤم الذي ألزمته نفسك، ما لك

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 3/ 65.

وللصلاة والقراءة ولزوم المسجد، تركت اللهو والطرب والغناء وشرب النبيذ والأكبار والنايات والطبول، فقال له: “ خرا الزنج “ : ويلك أنا أخاصم عبد الله أخي في الوقف وقد وعدني القاضي أن يدخل يدي مع يده، فإذا فعل رميت بهذا كله وعدت إلى كل شيء تعرف فلا تغنم، قال: فاحتل عليّ في يوم واحدٍ تذكّرني به أيامنا، قال: والله ما عند في هذا الوقت شيءٌ، قال له أشعب: فأنا أستلف لك من فلان التاجر مائة دينار، قال: فافعل ذلك، فمضى أشعب إلى التاجر فقال: قد علمت أن “ خرا الزنج “ يأخذ منك الدرهم بعشرة، وغداً يدخل القاضي يده مع أخيه فلا يذهب لك عليه درهم واحد، فقد احتاج إلى مائة دينار تعامله عليها، فعرف التاجر الخبر بما ذاع عن القاضي فأعطاه المال وخرج “ خرا الزنج “ إلى قصره بالعريضة وأمر بفسطاط فضرب له هناك، وقال لأشعب: ويلك هل علم بنا أحد، قال: لا وحق أبيك الطيب، قال: اذهبوا لنا كذا، واطبخوا لنا كذا، فقال أشعب: يا سيدي أي شيء تأكل إلى أن يدرك هذا الطعام؟ فإن: انتظاره يطول علينا، قال: ما تشتهي، قال: الرؤوس، قال: ويلك إن بعثت غلاماً لي إلى السوق في ابتياع الرؤوس لم آمن أن يسأل أحدٌ عنا فيخبر بموضعنا ويتصل بالقاضي فلا يتم ما نؤمله فقال له أشعب: فأنا يا سيدي أتلف وأتيك بكل ما تحتاج إليه من غير أن يعلم أحد، قال: فدونك فركب دابةً وركض إلى السوق فأرهب السوق واشترى كل رأس فيه، وجعل أهل السوق ينكرون ذلك لكثرة ما اشترى منها، فيقال له: ويلك يا أشعب ما تصنع بهذه كلها فيقول: لابن الشهيد، لأنه أخرجنا إلى النزهة في قصره بالعريضة ومعنا الأكبار والطبول والنايات والعيدان والمخانيث وكل شيء طيب فملاً به الدنيا، ومرت أشعب بعبد الله بن عمرو فقال له: وافني وقت كذا بمن قدرت عليه من العدول إلى قصر أخيك بالعريضة؛ ووافي أشعب بالرؤوس فقال: يا سيدي ما علم بنا أحدٌ من خلق الله، فقال: أحسنت ولطفت، فأكلوا وقدموا النبيذ وتضمّخوا بالخلق

ولبسوا المصبغات والحلي والشنوف؛ ثم أرسل عبد الله إلى أهل المسجد وأهل الفضل ووجوه الناس فقال: إن أخي عثمان تحامل عليّ في حائط بيني وبينه ولست آمن أن يقع بيننا اختلاف فأحبّ أن تحضروا معي حتى تحملوني وإياه على الحق. فأسرع الناس معه وجعل " خرا الزنج " يقول لأشعب: ويلك غنّني، فيغنيه من أجود أغاني الناس، لابن سريج ومعبد ومالك ابن أبي السمح و " خرا الزنج " يقول له: دعني من هذا يا ابن الفاعلة ويعطف على من معه من المخانيث ويقول: شدوا طبولكم وانفخوا في السريانات وغنوا معي، وارهبوا الأكبار والطبول والسريانات، وجعلوا يغنون معه:

يا أم حوفزانية :: هي لنا الأمانة
فما زالوا على هذا حتى هجم عليهم عبد الله بن عمرو ومن معه من الفقهاء والعدول وفي عنق عثمان وهو خرا الزنج كبير، وفي عنق أشعب طبل وقد سكرا، فقال عبد الله للعدول: هذا الذي يريد القاضي أن يدخل يده معي في الوقف، فقال القوم: كلا والله، ما ذلك له، ولا هذا الرجل بأهل أن يؤمن على نفسه فكيف يؤمن على مال غيره، قبّح الله هذا.
فالتفت

" خرا الزنج " إلى أشعب وقال: ماذا صنعت يا بن الزاني، قتلني الله إن لم أقتلك فقال أشعب: يا مشؤوم، قد علمتك أنك متحوفز إلى النار حين جعلت تقترح عليّ يا أم حوفزانية، وقال للقوم: احملوني معكم وإلا قتلني، وجعل يحدثهم حديثه وهم يضحكون و " خرا الزنج " يعدو خلف دوابهم ويصيح: ردّوا عليّ نديمي والقوم يلعنونه ويخنثونه حتى دخلوا المدينة فلقوا القاضي فأعلموه ما رأوا ولاموه في أمر عبد الله فعاد إلى إجلاله وتعظيمه وطرده " خرا الزنج " وإبعاده ووفى عبد الله لأشعب بالمائة دينار(1).

(1) الرقيق القيرواني، قطب السرور في اوصاف الخمر، ص 39.

أبو العيناء

أبو العيناء

أعلام الظرفاء

أبو العيناء

هو أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان، الهاشمي بالولاء، الضرير، مولى أبي جعفر المنصور، المعروف بأبي العيناء صاحب النوادر والشعر والأدب؛ أصله من اليمامة ومولده بالأهواز ومنشؤه بالبصرة، وبها طلب الحديث وكسب الأدب، وسمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري والعتبي وغيرهم، وكان من أحفظ الناس وأفصحهم لساناً، وكان من ظرفاء العالم، وفيه من اللسان وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن أحد من نظرائه، وله أخبار حسان وأشعار ملاح مع أبي علي الضرير.

وكانت ولادته سنة إحدى وتسعين ومائة بالأهواز، ونشأ بالبصرة وكف بصره وقد بلغ أربعين سنة. وكان جده الأكبر لقي علي بن أبي طالب فأعياه في المخاطبة معه فدعا عليه بالعمى له ولولده، فكل من عمي من ولد جد أبي العيناء في فهو صحيح النسب فيهم، هكذا قاله أبو سعيد الطلحي. وخرج من البصرة وهو بصير وقدم سر من رأى فاعتلت عيناه فعمي وسكن بغداد مدة وعاد إلى البصرة، وتوفي بها في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين، وقيل اثنتين وثمانين ومائتين. وقال ابنه جعفر: توفي أبي لعشر ليال خلون من جمادى الأولى، ومولده سنة تسعين ومائة، والله أعلم، رحمه الله تعالى.

ولقب بأبي العيناء لأنه قال لأبي زيد الأنصاري: كيف تصغر عينا فقال: عيينا يا أبا العيناء، فبقي عليه (1).

(1) انظر: معجم الأدباء، 286/18، نكت الهميان، ص 265، ميزان الاعتدال، 4/ 13، عبر الذهبي، 2/ 69، لسان الميزان، 5/ 344، معجم المرزباني، ص 402، تاريخ بغداد، 3/ 170، الديارات، ص 52، الوافي، 4/ 341، طبقات ابن المعتز، ص 415، الفهرست، ص 125، المنتظم، 5/ 156، الشذرات، 2/ 180، وفيات الأعيان، 4/ 343 - 349.

مواقف من حياته:

فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير:

وحضر أبو العيناء يوما مجلس بعض الوزراء، فتفاوضوا حديث البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود، فقال الوزير لأبي العيناء - وكان قد بالغ في وصفهم وما كانوا عليه من البذل والإفضال -: قد أكثرت من ذكرهم ووصفك إياهم، وإنما هذا تصنيف الوراقين، وكذب المؤلفين. فقال له أبو العيناء: فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير فسكت الوزير، وعجب الحاضرون من إقدامه عليه.

فما كان فيهم رشيد:

شكا أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير سوء الحال، فقال له: أليس قد كتبنا إلى إبراهيم في أمرك قال: نعم، قد كتبت إلى رجل قد قصر من همته طول الفقر، وذل الأسر، ومعاناة الدهر، فأخفق سعيي وخابت طلبتي، فقال عبيد الله: أنت اخترته، فقال: وما علي أيها الوزير في ذلك وقد اختار موسى قومه سبعين رجلا فما كان فيهم رشيد، واختار النبي صلى الله عليه وسلم، عبد الله بن سعد بن أبي سرح كاتباً فرجع إلى المشركين مرتداً، واختار علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا موسى الأشعري حاكماً له فحكم عليه.

لم أكن مع اللص فأخبرك:

دخل أبو العيناء على أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير يوماً فقال له ما الذي أخرجك عنا يا أبا العيناء فقال: سرق حماري، فقال: وكيف سرق قال: لم أكن مع اللص فأخبرك، قال: فهلا أتيتنا على غيره، قال: قعد بي عن الشراء قلة يساري وكرهت ذلة المكاري (الأجرة)، ومنة العواري.

ولست منهم:

وخاصم علويا فقال له العلوي: تخاصمني وأنت تقول كل يوم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، فقال: لكني أقول: الطيبين الطاهرين، ولست منهم.

ما كنت أظن هذا النسل إلا قد انقطع:

ووقف عليه رجل من العامة فلما أحس به قال: من هذا قال: رجل من بني آدم، فقال: أبو العيناء: مرحبا بك أطل الله بقاءك، ماكنت أظن هذا النسل إلا قد انقطع.

لكل جديدة لذة:

وصار يوما إلى باب صاعد بن مخلد فاستأذن عليه، فقيل: هو مشغول بالصلاة، فقال: لكل جديدة لذة، وكان صاعد قبل الوزارة نصرانيا.

ما لي لا أسمع الصراخ عليه:

ومر بباب عبد الله بن منصور وهو مريض وقد صلح، فقال لغلامه: كيف خبره فقال: كما تحبين فقال: ما لي لا أسمع الصراخ عليه.

فتركتني رحمة:

ودعا سائلا ليعشيه فلم يدع شيئا إلا أكله، فقال: يا هذا دعوتك رحمة بك فاتركتني رحمة بي⁽¹⁾.

تشركني في الفعل، وتفردني بالتعجب:

ولقيه بعض أصحابه في السحر، فجعل يتعجب من بكوره، فقال أبو العيناء: أراك تشركني في الفعل، وتفردني بالتعجب.

لولا أنه ضرير:

وذكر له أن المتوكل قال: لولا أنه ضرير لنادمناه، فقال: إن أعفاني من رؤية الأهله وقراءة نقوش الفصوص فأنا أصلح للمنادمة.

(1) وفيات الأعيان، 4/ 344.

إلى متى تمدح وتهجو؟:

وقيل له: إلى متى تمدح وتهجو؟ فقال: ما دام المحسن محسنا والمسيء مسيئا، بل أعود بالله أن أكون كالعقرب التي تلسع النبي والذمي.

ذهب بصره فعظمت حيلته:

وكان بينه وبين ابن مكرم مداعبات، فسمع ابن مكرم رجلا يقول: من ذهب بصره قلت حيلته، فقال: ما أغفلك عن أبي العيناء! ذهب بصره فعظمت حيلته.

وبها غلبت أبا الصقر بالأمس:

ودخل على ابن ثوابة عقيب كلام جرى بينه وبين أبي الصقر أربى ابن ثوابة عليه فيه، فقال له: بلغني ماجرى بينك وبين أبي الصقر، وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم يجد عزا فيضيعه، ولا مجدا فينقصه، وبعد فإنه عاف لحماك أن يأكل، وسفك دمك أن يسفكه، فقال ابن ثوابة: وما أنت والدخول بيني وبين هؤلاء يامكدي فقال: لاتنكر على ابن ثمانين قد ذهب بصره وجفاه سلطانه أن يعول على إخوانه فيأخذ من أموالهم، ولكن أشد من هذا من يستنزل الماء من أصلاب الرجال فيستفرغه في جوفه، فيقطع أنسابهم ويعظم أوزارهم، فقال ابن ثوابة: ماتساب اثنان إلا غلب الأملهما، فقال أبو العيناء: وبها غلبت أبا الصقر بالأمس، فأسكتته(1).

ماؤها أجاج وحرها عذاب:

ودخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ست وأربعين ومائتين فقال له: ما تقول في دارنا هذه فقال: إن الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك، فاستحسن كلامه، ثم قال:

(1) وفيات الأعيان، 4/ 345.

كيف شربك للخمر قال: أعجز عن قليله وأفتضح عنده كثيره، فقال له: دع هذا عنك ونادمناء، فقال: أنا رجل مكفوف، وكل من في مجلسك يخدمك، وأنا أحتاج أن أخدم ولست آمن من أن تنظر إلي بعين راض، وقلبك علي غضبان، أو بعين غضبان وقلبك راض، ومتى لم أميز بين هذين هلكت، فأختار العافية على التعرض للبلاء، فقال: بلغنا عنك بذاء في لسانك، فقال: يا أمير المؤمنين، قد مدح الله تعالى وذم، فقال: {نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص: ٤٤]، وقال عز وجل: {هَمَزَ مَشَاءَ نَمِيمٍ} (١١) مَنَعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ [الفلم: ١١ - ١٢]، وقال الشاعر:

إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقاً :: ولم أشتم النكس اللئيم المذمماً
ففيهم عرفت الخير والشر باسمه :: وشق لي الله المسامع والفما
قال: فمن أين أنت، قال: من البصرة، قال: فما تقول فيها قال ماؤها
أجاج وحرها عذاب، وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم.

أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس:

ولما سلم نجاح بن سلمة إلى موسى بن عبد الله الأصبهاني ليستأدي ما عليه من الأموال عاقبه فتلف في مطالبته، وذلك في يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائتين، وفي تلك الليلة بلغ المعتز

بالله ابن المتوكل الخبر، فاجتمع بعض الرؤساء بأبي العيناء، فقال له: ما عندك من خبر نجاح ابن سلمة فقال أبو العيناء: {فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ} [القصص: ١٥]، فبلغت كلمته موسى فلقبه في الطريق فتهدده، فقال له أبو العيناء: {أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ} [القصص: ١٩] (١).

الآجال آفات الآمال:

وكتب إلى بعض الرؤساء وقد وعده بشيء فلم ينجزه: ثقني بك

تمنعني من استبطائك، وعلمي بشغلك يدعوني إلى إذكارك، ولست آمن، مع استحكام ثقتي بطولك والمعرفة بعلو همتك، اخترام الأجل، فإن الآجال آفات الآمال، فسح الله في أجلك، وبلغك منتهى أملك، والسلام.

من أسأله مثلك قليل:

وروي عنه أنه قال: كنت يوماً جالسا عند أبي الحكم إذ أتاه رجل فقال له: وعدتني وعدا فإن رأيت أن تنجزه، فقال: ما أذكره، فقال: إن لم تذكره فلأن من تعده مثلي كثير، وأنا لا أنساه، لأن من أسأله مثلك قليل، فقال: أحسنت لله أبوك، وقضى حاجته.

لا أستقل قليلك ولا أستكثر كثيرك :

حدثني أبو سليمان العكبري قال: دخل أبو العيناء على الحسن بن سهل فشكا ضيقته. فأمر له بخمسة آلاف درهم فقال: أصلح الله الوزير لا أستقل قليلك ولا أستكثر كثيرك، قال له: ولم؟ قال: لا أستكثر كثيرك لأنك أكثر منه، ولا أستقل قليلك لأنه أكثر من كثير غيرك. فأعجب بكلامه وقال: اكتبوه وزيّدوا خمسة آلاف آخر.

مولى القوم منهم:

قال المتوكل يوماً لأبي العيناء: بلغني أنك مأبون⁽¹⁾، فقال له: يا أمير المؤمنين، مولى القوم منهم. وكان أبو العيناء من موالى بني العباس.

هذا والله شر:

حدثني زهير بن حرب الجرجاني قال: قال لي أبو العيناء: كان لي عم لا يُعرف إلا بأبي. وكان ينفر من ذلك ويشدد عليه ولا ينفعه شيئاً. فلما مات أبي صار لا يعرف إلا بي فقال: هذا والله شر، ليتنا بقينا على الأمر

(1) مأبون: هو المَعِيب هو المَعِيب، والأُبْنَةُ معناها في كلام العرب العيب ويقال أُبْنْتُ الرجل أبْنُهُ أبْنًا إذا عَيْبَهُ ويقال في حسب فلان أبْنَةُ أي عيب وهو من قولهم عود مأبون إذا كانت فيه أبْنَةُ وهي العقدة يُعَاب.

الأول.

الولد للفراش وللعاهر الحجر:

ولد لأبي العيناء غلام، فصار إليه ابن مكرم وكان يجري بينهما أبداً مزاح وظرف، فلما أراد ابن مكرم الانصراف، أخرج من كفه حجراً فوضعه بين يدي أبي العيناء من حيث لا يدري ثم خرج، ووقعت يد أبي العيناء عليه فقال لغلامه: من وضع هذا الحجر هاهنا؟ قال: ابن مكرم. قال: أخزاه الله، إنما عرض بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الولد للفراش وللعاهر الحجر" (1).

أبو العيناء وابن أبي داود:

وقال أبو العيناء لابن أبي داود إن قوماً من أهل البصرة قدموا إلى سر من رأى يدا على فقال: {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح: ١٠]، فقلت: إن لهم مكراً، فقال: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر: ٤٣]، فقلت: إنهم كثير قال: {كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩]، تم الجزء الثالث ويليه ذيل الجمهرة. هو مشغول:

ووقف أبو العيناء على باب إبراهيم بن رباح فقيل: هو مشغول. فقال: إذا شغل بكأس يميناه، وبحر يسراه، وانتسب إلى أب لا يعرف أباه، لم يحفل بحجاب من أتاه.

في أي باب هذا؟:

ودخل على إبراهيم بن المدبر وعنده الفضل اليزيدي معلم ولده وإبراهيم جالس. فقال للمعلم: في أي باب هذا؟ قال في باب الفاعل والمفعول به. فقال: هذا بابي وباب الوالدة أعزها الله. فغضب اليزيدي

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، 3/ 150.

التي ما بين جبة ودراعة :

دخل أبو العيناء على ابن منارة الكاتب وعنده أبو عبد الله بن المرزبان. فقال لابن منارة: أحب أن أعبث بأبي العيناء. فقال له: لا تقوم به. فأبى إلا العبث به، فلما جلس أبو العيناء قال له: يا أبا عبد الله؛ لم لبست جباعة؟ قال: وما الجباعة؟ قال: التي ما بين جبة ودراعة. قال أبو العيناء: لأنك صفيديم. قال: وما صفيديم؟ قال: الذي هو ما بين صفعان ونديم.

كتاب أبي العيناء إلى أبي الصقر:

وكتب إلى أبي الصقر كتاباً متضمنه: أنا أعز الله الوزير طليقك من الفقر، ونقيذك من البؤس، أخذت بيدي من عثرة الدهر، وكبوة الفقر؛ وعلى أية حال حين نفدت الأولياء والأشكال، والإخوان والأمثال الذي يفهمون في غير تعب؛ وهم الناس كانوا غيائاً للناس، فحللت عقدة الخلّة، ورددت إلي بعد النفور النعمة، وكتبت إلى الطائي كتاباً، فكأنما كان منه إليك، أتيتته وقد استصعبت علي الأمور، وأحاطت بي النوائب، فكثرت من بشره، وأعطى من ماله أكرمه، ومن بر أحكمه، ولم يزل مكرماً لي مدة ما أقمت، ومثقالاً لي من فوائده لما ودعت؛ حكمني في ماله فتحكمت، وأنت تعرف جوري إذا تمكنت، وزادني من طوله فشكرت؛ فأحسن الله جزاءك، وأعظم حباءك، وقدمني أمامك، وأعاذني من فقدك وحمامك، وقد أنفقت علي ما ملكك الله، وأنفقت من الشكر ما يسر الله لي. والله عز وجل يقول: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧]؛ فالحمد لله الذي جعلك اليد العليا، والرتبة السامية؛ لا أزال الله عن هذه الأمة ما بسط لها من عدلك، وبث فيها من رفدك.

أول من أظهر العقوق لوالديه:

قال أبو العيناء: أنا أول من أظهر العقوق بالبصرة لوالديه. قال أبي: إن الله قد قرن طاعته بطاعتي؛ فقال: {أَشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ} [لقمان: ١٤]. فقلت: يا أبت؛ إن الله أمني عليك ولم يأمنك علي. فقال: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ مَلَاقٍ تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} [الأنعام: ١٥١].

بين أبي علي البصير وأبي العيناء:

قال أبو علي البصير لأبي العيناء: في أي وقت ولدت من النهار؟ قال: طلوع الشمس. قال: فلذلك خرجت مكدياً؛ لأنه وقت انتشار المساكين. فقال له أبو العيناء: بيني وبينك مناسبة العمى، قال: كلا! إني من عميان الدواب، وأنت من عميان العصا.

ولا أعدم أنصاراً من الأحرار:

بلغت أبا علي البصير عن أبي العيناء قوارص (1) بظهر الغيب؛ فكتب إليه: أستاذك الله في بقائك؛ وأستمته بإخائك، وأستحفظه النعمى عندك. رب مزح أعزك الله قد بعث جداً، وجور قد أحدث قصداً، ورب أمر صغير خطره، قد أعقب أمراً كبيراً آخرهن ونحن باستزادتنا بعهدك، ومحاماتنا على ودك، وتمسكنا بعرا الأسباب التي بيننا وبينك، واحتراسنا من جنابة الدهر علينا فيك، لا نقصر على الاستظهار بالحجة، والإبلاغ في المَعذرة، دون استقراغ المجهود، وبلوغ الغاية في التأني، والحيلة في استرجاع ما شذ عنا منك، وإبطال ما نمت به الأخبار إلينا عنك، من تحليك بنا في العيب، وتناولت إيانا في الغيب، فلا يزال أخ لك مد الله في عمرك تعد له، على نفسك، وثوقه لك وعليك، قد ساقط إلي أحاديث عنك بطبائعها صلاح القلوب قليلاً بها بقاء المودة، سريعة في حل عقدتها وقطع مودتها، أحاديث، أكره لنفسي بدأها ولك عاقبتها، وكنت لا أزال أرد ما يرد علي منها بتأول لفظك وحسن الظن بمعناك، والتماس العذر

(1) أمور وكلام.

لك على ضيق مخرجه، وصعوبة مطلبه؛ وأغلب رأيي لهواك، وأقف غضبي على عتباك، وأحفظ قصدك إلي متصلاً بما بلغني عنك؛ إلى حرم بيني وبينك، لا يجب حفظها علي دونك، حتى عاد تعريضك تصريحاً، وتمريضك تصحيحاً، وفي نسبته في صحتي إلى العمى، وفي حلمي إلى الضعف، إلى أن يؤس الصديق من نصري، لما رأى من إغضائي في أمر نفسي، وقد بقي مع فضلة من أداتي أنت تملكها دوني، فإن صنتها لي ووفرتها على من أساء الاختيار؛ ولا أعدم أنصاراً من الأحرار، أسعد بمؤازرتهم ومكاشفتهم، وأستغني بنفسي عنهم.

وقد كتبت في هذا المعنى بأبيات هي لما قبلها ولما يكون بعدها، فرأيك في تفهمها نفعك الله بها:

أبلغ أبا العيناء إن لا قيته :: قولاً يكون لدائه حسماً
نبئت أنك في المغيب تسبني :: وإذا التقينا كنت لي سلماً
فتروم هجوي جاهداً ونقيصتي :: سفهاً أراه باديأً حلماً
لا تغنم لحمي فليس بأكله :: واعلم بأنك واجدٌ لحماً
إني أعيذك أن تكون رميَّةً :: لسهام رامٍ إن رمى أصمى⁽¹⁾

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى:

وقال له المتوكل: إبراهيم بن نوح النصراني واجد عليك. فقال: ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، وقال له: إن جماعة الكتاب يلومونك. فقال:

إذا رضيت عني كرام عشيرتي :: فلا زال غضباناً عليّ لئامها
قل للحمار الذي فوقك:

وزحمه رجل على حمار بالجسر، فضرب بيده على أذن الحمار. وقال: يا إنسان، قل للحمار الذي فوقك يقول: الطريق!

(1) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص 93.

هما الخمر والميسر:

وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق فقال: لو كان في بني إسرائيل ونزل ذبح البقرة ما ذبح غيره. قيل: فأخوه عمر؟ قال: كسرأب بقيلة يحسبه الظمان ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً. قيل: فما تقول في محمد بن مكرم والعباس بن رستم؟ قال: هما الخمر والميسر إثمهما أكبر من نفعهما.

وقال له ابن مكرم: إن ابن الكلبي تعجبه الرائحة الخبيثة، قال: يا سيدي؛ لو وجدك لترشفك.

ودعا ضريراً يعشيه فلم يدع شيئاً إلا أكله. فقال له: يا هذا؛ دعوتك رحمة، فصيرتني رحمة.

قدر أو قبر؟:

وقدم إليه أبو عيسى بن المتوكل سكباجة (طعام من لحم)، فجعل لا تقع يده إلا على عظم. فقال: جعلت فداك، هذه قدر أو قبر؟ (1).

بين أبي العيناء وابن الزيات:

دخل أبو العيناء على محمد بن عبد الملك الزيات الوزير، فجعل لا يكلمه إلا بأطرافه. فقال: إن من حق نعمة الله عليك، لما قد أهلك له في هذه الحال التي أنت عليها، أن تجعل البسطة لأهل الحاجة إليك؛ فبقضاء الحاجات تدوم النعم.

فقال محمد: أما إنني أعرفك فضولياً كثير الكلام، أوترى أن طول لسانك يمنع مع أن أودبك إذا زللت؛ وأمر به إلى الحبس.

فكتب إليه من الحبس: قد علمت أن الحبس لم يكن تقدم إليك، ولكنك أحببت أن تريني مقدار قدرتك علي؛ لأن كل جديد يستلذ؛ ولا بأس أن تريني من عفوك مثلما أريتنا من قدرتك، فأمر بإطلاقه.

(1) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص 108.

وانقطع عنه مدةً فلقيه، فحبس محمد بن عبد الملك دابته عليه. فقال: ما لي لا أراك يا أبا عبد الله تواصلنا حسب إيجابنا لك؟ فقال له أبو العيناء: أما المعرفة بعنايتك فمناكرة، ولكنني أحسب الذي جدد استبطاءك فراغ حبسك ممن كان فيه، فأحببت أن تغمرني فيه.

دابة أبي العيناء:

حمل عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبا العيناء على دابة، فأخذها منه ابنه، وقال: أبعث إليك بخير منها، فتأخر عنه ذلك، فلقيه. فقال: ما خبرك؟ فقال؛ بخير، يا من أبوه يحمل وهو يرجل. فقال: أنا أنفذ إليك بغلاً فارهاً بغير تأخر؛ فتأخر عنه ثم لقيه. فقال: كيف حالك يا أبا عبد الله؟ قال: راجل (ماشي علي رجلي) أصلحك الله! فضحك وأنفذ إليه بغلاً زعم أبو العيناء أنه غير فاره، فكتب إلى أبيه: أعلم الوزير أعزه الله! أن أبا علي محمداً أراد أن يبرني فعقني، وأن يركبني فأرجلني، أمر لي بدابة تقف للنثرة، وتعثر بالبعرة، كالقضيبي اليابس عجفاً، والعاشق المجهود دنفاً؛ قد أذكرت الرواة عروة العذري، والمجنون العامري، مساعد أعلاه لأسفله، حباقه مقرون بسعاله؛ فلو أمسك لترجيت، ولو أفرد لتعزيت، ولكنه يجمعهما علي في الطريق المعمور، والمجلس المشهور، كأنه خطيب مرشد، أو شاعر منشد، تضحك من فعله النسوان، ويتناغي من أجله الصبيان، فمن صائح يصيح داوه بالطباشير، وقائل يقول: نقوا له الشعر، قد حفظ الأشعار، وروى الأخبار، ولحق العلماء بالأمصار؛ فلو أعين بنطق، لروى بحق وصدق، عن جابر الجعفي، وعامر الشعبي؛ وإنما أتيت من كاتبه الأعور، الذي إن اختار لنفسه أطاب وأكثر، وإن اختار لغيره أخبث وأنزr، فإن رأى الوزير أن يبدلني عنه، ويرحني منه، بمركوب يضحكني كما ضحك مني، يمحو بحسنه وفراسته، ما سطره العيب بقبحه ودمايته؛ ولست أذكر أمر سرجه ولجامه؛ لأن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه، أو ينقض ما يمضيه.

فوجه إليه عبيد الله ببرذون من برادينه بسرجه ولجامه؛ ثم اجتمع مع عبيد الله عند ابنه. فقال عبيد الله: شكوت دابة محمد وقد أخبرني أنه يشتريه الآن منك بمائة دينار، وما كان هذا ثمنه لا يشتكى! فقال: أعز الله الوزير لو لم أكذب مستزيداً، لم أنصرف مستفيداً، وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز: الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين. فضحك عبيد الله؛ وقال: يا أبا عبد الله؛ حجتك الداحضة بملاحظتك وظرفك أبلغ من حجة غيرك البالغة.

جواب لأبي العيناء:

قال: حدثنا أبو الحسين، قال: رأيت لأبي العيناء، خادمين، خصيين، أسودين، يقودانه بفيل له: كيف اتخذت خصيين أسودين؟ فقال: حتى لا يتهما بي، ولا أتهم بهما.

أبو العيناء لا ينسى ما حفظ:

حدث أبو الحسين، قال: قدم أبو العيناء البصرة، في سنة نيف وثمانين، بعد الغيبة الطويلة، التي غاب عنها، وخدمته للخلفاء، والوزراء، بسر من رأى. وكان أبو خليفة، إذ ذاك، عالم البصرة، بالحديث، والأخبار، واللغة، والنحو، ومحمد بن جعفر بن بسام، قاضيها، وكان له محل من الأدب، واللغة، والشعر، كبير، وكنت منقطعاً إليه، ملازماً له، أدرس عليه الفقه، فكان أول من ائتمنني، ورفع شأنني.

فقال لي: يا أبا الحسين، قد قدم أبو العيناء، وأحب أن أجمع بينه وبين أبي خليفة، وننظر أثرهما. فقلت: علي ذلك. قال: فمضيت، ولقيت أبا العيناء، وعقدت عليه وعداً للحضور، عند ابن بسام، وعلى أبي خليفة، فاجتمعوا. فأخذ أبو العيناء، في الرواية عن الأصمعي، ومشاهداته مع المتوكل، وابن أبي دؤاد، وفلان، وفلان، والشعراء.

قال: فأسكت أبو خليفة، فلم ينجر معه، ولم يلحق به. قال: فأتينا على

أبي العيناء، وقرظناه.

فقال: يا أيها القاضي، أنا لا أنسى ما كنت أحفظه منذ أربعين سنة.

أبو العيناء وأحمد بن الحسن بن المثنى:

حدث أبو عبيد محمد بن علي الآجري، قال: كنت عند أبي العيناء، لما قدم البصرة، سنة نيف وثمانين، بتسبيبات له على عمالها، وكان معنا أصحاب الحديث. فقيل له: قد دخل إليك ابن المثنى، فقام، وقدر، أن أبا علي الحسن بن المثنى، قصده. فقال له بعض الحاضرين: إنه أحمد بن الحسن بن المثنى، فجلس، قبل أن يقرب منه أبو الحسين. ثم استندى أبا الحسين، وأكرمه، وسأله عن خبر أبيه، فأخبره بوفاته، فترحم عليه، وقال: أنا أسن منه. فسألناه عن مقدار الزيادة، فقال: لا أدري، كنت يوماً في مجلس موسى بن إسحاق القاضي بالبصرة، وقد اجتاز بنا، وكان أصحاب الحديث حضوراً، وكان موسى لا يطيق أن يدخل مجلسه غلام أمرد، ليسمع الحديث، فحين رآه موسى، صاح: يا غلام، أخرج. فقلنا له: أعز الله القاضي، هذا ابن أخيك، أبو علي بن المثنى. قال: فرفعه، وقدمه.

أبو العيناء في دار الوائقي أمير البصرة:

حدث بعض الشيوخ: إن أبا العيناء، قصد دار الوائقي، وهو الأمير بالبصرة - إذ ذاك -، فأجلس في الدهليز ساعة، إلى أن استؤذن له. وجرى الحديث، فقال رجل، في حديث اقتضى ذلك، يا أبا العيناء، أنت صائم اليوم؟ فقال: أما في هذه الدار، فنعم.

فكتب صاحب الخبر، إلى الوائقي، بذلك، فأذن له في الحال، واعتذر إليه، من إجلاس البوابين له في الدهليز، وأنكر ذلك عليهم.

منافرة بين ضريرين:

قال: واجتمع أبو العيناء، وأبو علي البصير، يوماً في مجلس، فاستطال عليه أبو العيناء، فقال له أبو علي: نحن جميعاً ضريران، فما

هذا التطاول؟ فقال: ولا سواء، أنت من عميان العصا، وأنا من عميان المواكب.

أبو العيناء يرثي الحسن بن سهل:

حدث جعفر بن أبي العيناء، قال: لما مات الحسن بن سهل، قال أبي: والله لئن أتعب المادحين، لقد أطال بكاء الباكين، ولقد أصيبت به الأيام، وخرست بموته الأقلام، ولقد كان بقية وفي الناس بقية، فكيف اليوم، وقد بادت البرية.

إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون:

وقال له يوماً المتوكل: إن سعيد بن عبد الملك يضحك منك، فقال: “ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون “.

ومر على دار عدو له؛ فقال: ما خبر أبي محمد؟ فقالوا: كما تحب. قال: فما بالي لا أسمع الرنة والصراخ؟.

أخاف أن أحملك عليه فتقطعني ولا أراك:

ووعده ابن المدبر بدابة، فلما طالبه قال: أخاف أن أحملك عليه فتقطعني ولا أراك. فقال: عدني أن تضم إليه حماراً لأواظب مقتضياً.

اذكريني بالمنع:

وقالت له قينة: هب لي خاتمك أذكرك به. فقال: اذكريني بالمنع.

أنت أيضاً يا أعمى:

وقالت له قينة (جارية): أنت أيضاً يا أعمى فقال لها: ما أستعين على وجهك بشيء أصلح من العمى.

أحطت بما لم تحط به:

وقال ابن السكيت يوماً: تراك أحطت بما لم أحط به. قال: ما أنكرت؛ فوالله لقد قال الهدد، وهو أخس طائر لسليمان: “ أحطت بما لم تحط به

“.

فبردها بشعرك:

وقال: - وقدم إلى مائدة - عليها أبو هفان وأبو العيناء - فالودج، فقال أبو هفان: لهذه أحر من مكانك في جهنم. فقال أبو العيناء: إن كانت هذه حارة فبردها بشعرك.

لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً:

وقال له صاعداً يوماً: ما الذي أخرجك عنا؟ قال: بنيتي. قال: وكيف؟ قال: قالت: يا أبة؛ قد كنت تغدو من عندنا فتأتني بالخلعة السرية والجائزة السنية، ثم أنت الآن تغدو مسدفاً، وترجع معتماً، فإلى من؟ قلت: إلى أبي العلاء ذي الوزارتين. قالت: أعطيك؟ قلت: لا. قالت: أيشفعك؟ قلت: لا. قالت: أفيرفع مجلسك؟ قلت: لا. فقالت: يا أبة، "لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً".

وقال له عبد الله بن سليمان: إن الأخبار المذكورة في السخاء وكثرة العطاء أكثرها تصنيف الوراقين، وأكاذيبهم قال: ولم لا يكذبون على الوزير أيده الله.

على ظهرك إذا نزلت:

وقال له محمد بن مكرم: لهممت أن أمر غلامي بدوس بطنك. فقال: الذي تخلفه على عيالك إذا ركبت، أو الذي تحمله على ظهرك إذا نزلت؟

أنت ابنة ثلاثين سنة منذ ثلاثين سنة:

وقال يوماً لقينة: كم تعدين؟ قالت: ثلاثين سنة. قال: أنت ابنة ثلاثين سنة منذ ثلاثين سنة.

إلى من تختلف اليوم؟:

وقيل له: إلى من تختلف اليوم؟ قال: إلى من يختلف عليه.

قد أبلعتك دجلة والفرات:

وقال له بعض من ناظره: أبلغني ريقي؛ فقال: قد أبلغتك دجلة والفرات.

ما تقول في ابني وهب؟:

وقيل له: ما تقول في ابني وهب؟ قال: “وما يستوي البحران هذا عذبُ فراتٍ سائغٌ شرابه وهذا ملحٌ أجاجٌ” سليمان أفضل. قيل: وكيف؟ قال: “أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراطٍ مستقيم” (1).

ولكن تجمع بينهما بالترك:

وقال له ابن مكرم: مذهبي الجمع بين الصلاتين. قال: صدقت، ولكن تجمع بينهما بالترك.

أهذا المنزل؟:

وقال له ابن بدر يوماً وهو على بابه: أهذا المنزل؟ قال: نعم، فإن أردت أن ترى سوء أثرك فانزل.

إن أنكر الأصوات لصوت الحمير:

قال له أبو الجماز: كيف ترى غنائي؟ قال: كما قال الله عز وجل: “إن أنكر الأصوات لصوت الحمير”.

ركوب أصغر أولادك:

ولقى أبا الجماز يوماً على حمار صغير؛ فقال: لقد ساءني حين اضطررك الدهر إلى ركوب أصغر أولادك.

وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه:

وقال لعلي بن الجهم: إنما تبغض علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لأنه كان يقتل الفاعل والمفعول، وأنت أحدهما. قال له: يا مخنث. فقال: “وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه”.

إذا فرغت لم أحتج إليك:

وقال له بعضهم: إني لا أرتضي نيتك. فقال: أجل؛ لأنني أعتقد الإسلام.

وقال له عبيد الله بن يحيى بن سليمان: اعذرني، فإني مشغول. فقال: إذا فرغت لم أحتج إليك.

وأخبر أن ابنه أعتق عبده؛ فقال: إن جاز له هذا فليطلق على أمه الزانية.

وقال له رجلٌ من بني هاشم: بلغني أنك بغاء. قال: ولم أنكرت ذاك مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مولى القوم منهم؟". قال: إنك دعي فينا. قال: بغائي صحح نسبي فيكم.

هذه علامتي فيمن أعتني به:

وسأل الجاحظ كتاباً إلى محمد بن عبد الملك في شفاعته لصاحب له؛ فكتب الكتاب، وناولَه الرجل، فعاد به إلى أبي العيناء، وقال: قد أسعف. قال: فهل قرأته؟ قال: لا؛ لأنه مختوم. قال: ويحك، فض طينة أولى من حمل ظنة، لا يكون صحيفة المتلمس؛ ففض الكتاب؛ فإذا فيه: موصل كتابي سألني فيه أبو العيناء، وقد عرفت سفهه وبذاء لسانه، وما أراه لمعروفك أهلاً، فإن أحسنت إليه فلا تحسبه علي يداً، وإن لم تحسن لم أعتده عليك ذنباً والسلام.

فركب أبو العيناء إلى الجاحظ. وقال له: قد قرأت الكتاب يا أبا عثمان، فحجل الجاحظ، وقال: يا أبا العيناء، هذه علامتي فيمن أعتني به. قال: فإذا بلغك أن صاحبي قد شتمك فاعلم أنه علامته فيمن شكر معروفه. وأكل عند ابن مكرم، فسقي على المائدة ثلاث شربات باردة، ثم استسقى فسقى شربة حارة؛ فقال: لعل مزملتكم تعتريها حمى الربع.

وأنت سائل كل باب

وأنت سائل كل باب:

وممن انتصف من أبي العيناء محمد بن مكرم، فإنه صادفه ساجداً وهو يقول: يا رب سائلك ببابك. فقال: تمتن على الله بأنك سائله وأنت سائل كل باب.

طالت أليانه:

صحب رجلٌ مفلسٌ جماعةً فقسموا له قسمة، فاشتري دابةً وكسوةً، فكان إذا حلف يقول: وإلا فدابتي حبيسٌ وثيابي صدقة. ثم قسموا له قسمة أخرى؛ فاشتري داراً وخادماً، فكان إذا حلف يقول: وإلا فدابتي حبيسٌ وثيابي صدقةً وغلامي حرٌّ، وداري مقبرة. فقال أبو العيناء: طالت أليانه ابن الزانية(1).

كسب الكناسين لا يكون له بركة:

كان لمحمد بن مكرم غلامٌ يتعشقه، وكان يرمي به؛ فدخل أبو العيناء يوماً إليه؛ فقال له: يا أبا العيناء، أما ترى غلامي سديفاً مع إكرامي له، وفعلي به ومحبتي له، وكثرة ما أصله به من الأموال، وينتفع بجاهي، ولا يشكر لي ذلك، ولا تظهر عليه النعمة، ولا يرى عنده دينارٌ ولا درهم. قال أبو العيناء: نعم يا سيدي كسب الكناسين لا يكون له بركة.

صور نفسك:

وقال الكافي له: كيف أكتب اللؤم، بلام أو لامين؟ فقال صور نفسك.

لا تلمني يا أمير المؤمنين:

ودخل إلى المتوكل، فقدم إليه طعام؛ فغمس أبو العيناء لقمته في خل كان حامضاً، فأكلها وتأذى بالحموضة، وفطن المتوكل فجعل يضحك فقال: لا تلمني يا أمير المؤمنين، فقد محت الإيمان في قلبي.

يشتهي أن أرى الشيطان:

(1) الأبي، نثر الدر، 1 / 230.

وقال له السدري: أشتهي أن أرى الشيطان. فقال: انظر في المرأة.

ما هذا الذي أراك تفعله؟

قال أبو العيناء: رأيت محمد بن مكرم يصلي صلواته كلها ركعتين ركعتين؛ فقلت: يا محمد، ما هذا الذي أراك تفعله؟ قال: عزمت وحياتك على الخروج إلى قم إلى عند أبي.

ليعلم الناس نعمة الله عليهم:

ونظر إلى رجل قبيح الوجه؛ فقال: كأنما خلق هذا الرجل ليعلم الناس نعمة الله عليهم.

سماعون للكذب أكالون للسحت:

وقدم صديق له من بعض الأعمال السلطانية؛ فدعاه إلى منزله وأطعمه وجعل الرجل يكثر الكذب، فالتفت أبو العيناء إلى من كان معه فقال: نحن كما قال الله تعالى: " سماعون للكذب أكالون للسحت ".

وقيل له: كيف حمدك لفلان؟ فقال: أحمده للؤم الزمان، فأما عن حسن اختيار فلا.

ودار الضرب في سراويلي؟

وقال أبو العيناء: قلت لغلام ابن مكرم - ومعه دراهم - : من أين لك هذه الدراهم؟ فقال: ألي تقول هذا ودار الضرب في سراويلي؟

وتدعني امرأتك أن أصوم:

قال ابن مكرم لأبي العيناء: أحسبك لا تصوم شهر رمضان. فقال: ويحك. وتدعني امرأتك أن أصوم.

وتصدق أنت صبيان دربكم:

قال أبو العيناء: مررت يوماً في دربٍ بسر من رأى. فقال لي غلام: يا مولاي؛ في الدرب حملٌ سمين، والدرب خالٍ، فأمرته أن يأخذه، وغطيته بطيلساني، وصرت به إلى منزلي؛ فلما كان الغد جاءتني رقعة

من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها: جعلت فداك، ضاع لنا بالأمس في الدرب حمل؛ فأخبرني صبيان دربنا أنت سرقتك؛ فتأمر برده متفضلاً. قال أبو العيناء: فكتبت إليه: يا سبحان الله ما أعجب هذا الأمر مشايخ دربنا يزعمون أنك بغاءٌ وأكذبهم أنا، ولا أصدقهم، وتصدق أنت صبيان دربكم أنني أنا سرقت الحمل.

قال: فسكت وما عاودني بشيء.

كادت هذه القدر أن تكون نسباً وصهرًا:

قال أبو العيناء: أنا أواكل الناس منذ ثلاثين سنة، ما أثرني إنسانٌ على نفسه بباذنجانةٍ مضيرة قط.

وأكل مرة ديكبراقة، وغسل يده عدة مرات فلم تنق؛ فقال: كادت هذه القدر أن تكون نسباً وصهرًا.

شهد عليك أنتن عضو فيك:

قال يوماً لابن ثوبة: إذا شهدت على الناس ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون شهد عليك أنتن عضو فيك.

هذا والدق سواء:

قال بعض الهاشميين لأبي العيناء: بلغني أنك تخبأ العصا. قال: وهو ذا تدعونها تظهر حتى أخبأها أنا.

ودق عليه إنسانٌ الباب فقال: من هذا؟ قال: أنا. قال: هذا والدق سواء.

إنما يعطيه من كفر به:

وقال أبو العيناء: أدخل على المتوكل رجلٌ قد تنبأ؛ فقال له: ما علامة نبوتك؟ قال: أن يدفع إلي أحدكم امرأته؛ فإني أحبلها في الحال. فقال يا أبا العيناء: هل لك أن تعطيه بعض الأهل؟ فقلت: إنما يعطيه من كفر به؛ فضحك وخلاه.

هذا العنوان، فكتاب من أنت؟:

ولقيه رجلاً من إخوانه فقال له: أطال الله بقاءك، وأدام عزك وتأييدك وسعادتك، فقال أبو العيناء: هذا العنوان، فكتاب من أنت؟.

إن الشهود عليك كثيرٌ:

وقال له يوماً عبيد الله بن يحيى الوزير - في أمر شهد عليه فيه بشهادة؛ فقال أبو العيناء: لو كان هذا في غير دولتك لتمنيت له دولتك. فقال: إن الشهود عليك كثيرٌ. قال: أكثر منهم الذين شهدوا عليك بإغلاء السعر والزيادة فيه؛ فإن صدقتهم علي فصدقهم عليك.

ويوم القيامة كل نفس بما كسبت رهينةٌ:

وقال له يوماً: أعز الله الوزير نحن في عطلتك مرحومون، وفي وزارتك محرومون. ويوم القيامة كل نفس بما كسبت رهينةٌ(1).

ففي شغله أريد لقاءه:

وصار يوماً إلى باب عبيد الله؛ فقال له سعدٌ حاجبه: هو مشغول يا أبا عبد الله. فقال: ففي شغله أريد لقاءه. قال: ليس إلى ذلك سبيل. فقال له: رزقكم الله العود إلى البيت الحرام وانصرف. فقال سعد: دعا علينا لعنه الله، والله إن كنا بمكة إلا حيث نفينا.

لأنه لا يثق بالمدعو:

قال أبو العيناء، هنأت عبيد الله بن يحيى يوماً بالعيد، ودعوت له دعاءً طويلاً؛ فقال لي الحسن بن مخلد: حسبك يا أبا عبد الله؛ فقلت: يا أبا الحسن، أعزك الله. إن أبا محمد يستثقل الدعاء لأنه لا يثق بالمدعو.

تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى:

وقال له عبيد الله: ما دعاك إلى الوقعة في موسى بن عبد الملك بحضرة أمير المؤمنين؟ فقال: إني والله ما استعذبت الوقعة فيه حتى ذممت لك سريرته.

ودخل عليه يوماً وعنده نجاح بن سلمة، وأحمد بن إسرائيل وهما يسارانه؛ فقال: يا أبا الحسن: “ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ”؛ فقال نجاح: كذبت يا عدو الله؛ فقال: {لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [٦٧] [الأنعام: ٦٧].

ولكن متمرغ فسقك:

ودخل إلى نجاح بن سلمة؛ فقال: لا تدنس حصير صلاتي قبحك الله. فقال أبو العيناء له: لا. ولكن متمرغ فسقك.

لميئةٌ مجهزةٌ أصلح من عافيةٍ على يد ابن عتاب:

وسقط نجاحٌ عن دابته؛ فوثب إليه إبراهيم بن عتاب، فأخذه من الأرض؛ فقال أبو العيناء: يا أبا الفضل، لميئةٌ مجهزةٌ أصلح من عافيةٍ على يد ابن عتاب.

يحتاج عقلك إلى صمتٍ يستره:

وقال يوماً لابن ثوابة: يحتاج عقلك إلى صمتٍ يستره، ونطقك إلى عقلٍ يسدده.

لو رآك لترشفك:

وقال له ابن مكرم: كان ابن الكلبي صاحب البريد يحب أن يشم الخراء فقال: لو رآك لترشفك.

فكيف عقل والدتك؟:

وقال ابن مكرم يوماً: ما في الدنيا أعقل من القحبة؛ لأنها تطعم أطايب الطعام، وتسقي أذى الشراب وتأخذ دراهم وتتلف. فقال له أبو العيناء: فكيف عقل والدتك؟

من طالب السلطان احتاج إلى ثلاث خلال:

وعرضت له حاجةٌ إلى الوزير بغا، فلقيه، فقال: ألق الفتح بن خاقان فلقيه فوعده، ثم لقيه فوعده؛ فلما كان في المرة الثالثة ألقاه على سبيل

ضجر فقال: أما علمت أن من طالب السلطان احتاج إلى ثلاث خلال؟ فقال: وما هن؟ أعز الله الأمير. قال: عقلٌ وصبرٌ ومالٌ. فقال أبو العيناء: ولو كان لي عقلٌ لعقلت عن الله أمره ونهيه، ولو كان لي صبرٌ لصبرت منتظراً لرزقي أن يأتيني، ولو كان لي مالٌ لاستغنيت به عن تأميل الأمير، والوقوف ببابه.

فحاجتي إذا صيفية:

وسأل أحمد بن صالح حاجة فوعده، ثم اقتضاه إياها فقال: حال دونها هذا المطر والوحل؛ فقال أبو العيناء: فحاجتي إذا صيفية. تأبى نعماك أن أجده:

ودخل على عبد الرحمن بن خاقان - وكان شاتياً - فقال له عبد الرحمن: كيف ترى هذا البرد يا أبا عبد الله؟ فقال: تأبى نعماك أن أجده. إذا رضي عشنا في نوافل فضله:

وكان بحضرة عبيد الله بن سليمان؛ فأقبل الطائي فعرف مجيئه، فقال: هذا رجلٌ إذا رضي عشنا في نوافل فضله، وإذا غضب تقوتنا بقايا بره. فمن صدقه حرمانٌ فكيف يكون كذبه؟:

وسأل إبراهيم بن ميمون حاجة فدفعه عنها، واعتذر إليه وأعلمه أنه قد صدقه؛ فقال له: قد والله سرنى صدقك؛ لعوز الصدق عنك، فمن صدقه حرمانٌ فكيف يكون كذبه؟.

وقال لبعضهم: أعطيتني برك تفاريق، وعقوقك جملة.

وقال له رجلٌ: كان أبوك أكمل منك؛ فقال: إن أبي كنت أنا به، ولم يك بي، فهو أولى بالكمال مني.

وقال في رجلين فسد ما بينهما: تنازعا ثوب العقوق، متى صدعاه صدع الزجاجة ما لها من جابر.

لرأيت عبداً لك لا ترضاني عبداً له:

قال: قال لي المتوكل: امض إلى موسى بن عبد الملك. واعتذر، ولا تعرفه أني وجهتك. فقلت له: تستكتمني بحضرة ألف؟ قال: إنما عليك أن تنفذ كما تؤمر به. قلت: وعلي أن أحترس مما أخاف منه.

وقال له المتوكل: أكان أبوك مثلك في البيان؟ قال: والله يا أمير المؤمنين لو رأيته لرأيت عبداً لك لا ترضاني عبداً له.

إن الدهر كله غد:

ووعده أبو الصقر شيئاً وقال له: غداً؛ فقال أبو العيناء: إن الدهر كله غد، فهل عندك موعد مخلى من المعاريض؟ قال له رجلٌ قد حضر: قد استعمل المعاريض قومٌ صالحون: حدثنا فلانٌ عن فلانٍ..، فقال أبو العيناء: من هذا المتحدث في حرماننا بالأسانيد؟

لم ترض بذبحها حتى تذكيته:

وداس رجلٌ نبئاً له وقال: باسم الله. فقال: لم ترض بذبحها حتى تذكيته.

وداس آخر يده، وقال: باسم الله. فقال: البقرة تذبح ويقول ذابحها: باسم الله.

وشكا إليه رجلٌ ابنه؛ فقال أبو العيناء: لقد دخل في العدد وخرج من العدد(1).

إني بك لعارف:

واعترضه يوماً أحمد بن سعيد، فسلم عليه؛ فقال أبو العيناء: من أنت؟ قال: أحمد بن سعيد؛ فقال: إني بك لعارف، ولكن عهدي بصوتك يرتفع إلي من أسفل، فماله ينحدر علي من علو؟ قال: لأنني راكب. قال: لا إله إلا الله. لعهدي بك وأنت في طمرين لو أقسمت على الله في رغيـف لأعضك بما تكره.

وقال يوماً لعبيد الله بن سليمان: إلى كم يرفعني الوزير، ولا يرفع بي رأساً؟.

وقال له يوماً: كيف حالك؟ فقال: أنت الحال، فإذا صلحت صلحت. وقربه يوماً؛ فقال: تقريب الولي وحرمان العدو.

وعجلت إليك رب لترضى:

وقيل: لا تعجل، فإن العجلة من الشيطان؛ فقال: لو كان كذلك لما قال موسى عليه السلام: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى} [طه: ٨٤].

قال ابن وثاب لأبي العيناء يوماً: أنا والله أحبك بكليتي. فقال أبو العيناء: إلا عضوً واحدً منك أيدك الله؛ فبلغ ذلك ابن أبي دواد، فقال: قد وفق في التحديد عليه.

وقبل يد سليمان بن وهب؛ فقال: أنا أرفعك عن هذا. فقال أبو العيناء: أترفعني عما يرتفع الناس إليه؟.

وقيل له: ما تقول في مالك بن طوق؟ فقال: لو كان في زمان بني إسرائيل، ثم نزلت آية البقرة ما ذبحوا غيره.

وسأله المتوكل عن ميمون بن إبراهيم صاحب البريد، فقال: يد تسرق، واست تضرط، مثله مثل يهودي سرق نصف جزيته، فله إقدام بما أدى، وإحجام بما أبقي، إساءته عمد، وإحسانه تكلف.

وتكلم ابن ثوبة يوماً فتقعر ثم لحن؛ فقال له أبو العيناء: تقعرت حتى خفتك، ثم تكشفت حتى عفئك.

قال يوماً لجارية مغنية: أنا أشتي أن أتزوجك. قالت: ذاك يوم عماك. قال: يا ستي؛ فالساعة بالنقد فقد سبق الشرط - يعني: العمى.

إلا دعوة مظلوم:

بات أبو العيناء عند ابن مكرم، فجعل ابن مكرم يفسو عليه، فقام أبو العيناء وصعد السرير، فارتفع إليه فساؤه، فصعد السطح فبلغته رائحته،

فقال: يا بن الفاعلة، ما فساؤك إلا دعوة مظلوم.
منذ ثلاثين سنة:

وذكر أبو العيناء للعباس بن رستم، فقال: ليس تهضمه معدتي، وتأدى ذلك إلى أبي العيناء؛ فقال: قل له: إن كان من تحب يجب أن تهضمه معدتك فيجب أن تكون قد سلحت أباك وأمك منذ ثلاثين سنة⁽¹⁾.
هذه المسورة:

وكان أبو العيناء في مجلس، وإلى جنبه مغنٌ باردٌ، فأقبل على أبي العيناء وقال: يا سيدي كم بيننا وبين الشتاء؟ قال: هذه المسورة.
لأنك كما أنت وضوء:

دعا أبو العيناء بعض أصدقائه، فقال: أتوضأ وأجئك. فقال: أخشى ألا ترجع إن ذهبت تتوضأ. قال: ولم؟ قال: لأنك كما أنت وضوء.
فرددناه إلى أمه كي تقرأ عينها:

أهدى أبو علي البصير إلى أبي العيناء كيرينجات، وكتب عليها:
{ اَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ٤٦ } [الحجر: ٤٦]، فردها وكتب عليها: { فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ
أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا } [القصص: ١٣].

الأمور ليست إليهم:

وقال لرجل: ما بال الأحمق يرزق والأديب يحرم؟ فقال: إن هذه الدنيا لدار اختبار، فأحب الرازق أن يعلمهم أن الأمور ليست إليهم.

قيل له: كيف تركت فلاناً مع قومه؟ قال: { يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ
الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠ } [النساء: ١٢٠].

وقت انتشار السؤال:

وقال له أبو علي البصير: في أي وقت ولدت؟ قال: قبل طلوع

الشمس، قال: لذلك خرجت سائلاً؛ لأنه وقت انتشار السؤال.

وقال أبو العيناء لرئيس كان عنده وهو يخفض كلامه: كأنك قد طفل بك في منزلك.

وذكر ولد عيسى بن موسى، فقال: كأن أنفهم قبورٌ نصبت على غير القبلة.

أعزه الله؟:

ودخل على إسماعيل القاضي، وجعل يرد عليه إذا غلط أعزه الله؟، كأنك أحطت بما لم يحط به، فقال: نعم، لم لا أرد على القاضي؟، وقد رد الهدد على سليمان؛ فقال: "أحطت بما لم تحط به: وأنا أعلم من الهدد، وسليمان أعلم من القاضي.

بما يشبهك:

وقال رجل: ما أنتن إبطك قال: نلقاك - أعزك الله - بما يشبهك.

أسوةً بآل محمد صلى الله عليه وسلم :

وقال له رجلٌ من ولد سعيد بن مسلم: إن أبي يبغضك. فقال: يا بني؛ إن لي أسوةً بآل محمد صلى الله عليه وسلم.

فلم أنت مطلق؟:

قال أبو العيناء: سمعت جارا لي أحمقٌ وهو يقول لجار له: والله لهما أن أوكل بك من يصفع رقبتك، ويخرج هذه الجفون من أقصى حجر بخراسان.

ودخل إلى ابن مكرم؛ فقال له: كيف أنت؟ قال: كما تحب؛ فقال: فلم أنت مطلق؟.

من رسائل أبي العيناء وكلامه المستحسن:

كتب إلى أبي الوليد بن أبي دواد: جعلت فداك، مسنا وأهلنا الضر، وبضاعتنا المودة والشكر؛ فإن تعطنا أكن كما قال الشاعر:

أنا الشهاب الذي يحمي دياركم :: لا يحمد الدهر إلا ضوءه يقدر.
وإن لم تفعل فلسنا ممن يلمزك في الصدقات؛ (فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) { [التوبة: ٥٨].

قال ابن مكرم: من زعم أن عبد الحميد أكتب من أبي العيناء إذا أحس بكرم أو شرع في طمع فقد وهم.

كتب إلى عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمد، وهما مطالبان بمال، يبيعان له ما يملكان من عقار وأثاث، وعبد وأمة. وأعطى بخادم أسود لعبيد الله خمسون ديناراً؛ فكتب إليه أبو العيناء: قد علمت - أطال الله بقاءك - أن الكريم المنكوب أجدى على الأحرار من اللئيم الموفور لأن اللئيم يزيد مع النعمة لوماً، ولا تزيد محنة الكريم إلا كرماء، هذا متكل على رازقه، وهذا يسيء الظن بخالقه. وعبدك إلى ملك كافور فقير، وثمنه على ما اتصل به يسير؛ فإن سمحت فتلك منك عادتي، وإن أمرت بأخذ ثمنه فمالك منه مادتي. أدام الله لنا دولتك، واستقبل بالنعمة نكبتك، وأدام عزك وكرامتك.

فوهب الخادم إليه.

قال أبو العيناء: قال ملكٌ لبنيه: صفوا لي شهواتكم من النساء. فقال الأكبر: تعجبني القدود والخدود والنهود. وقال الأوسط: تعجبني الأطراف والأعطاف والأرداف. وقال الأصغر: تعجبني الشعور والثغور والنحور⁽¹⁾.

كلامٌ لأبي العيناء في الكتاب والشعراء :

كان بين أبي العيناء وبين إبراهيم بن رباح خلة ومودة وصداقة قديمة؛ فلما نكب مع الكتاب في أول خلافة الواثق أنشأ أبو العيناء كلاماً حكاها عن بعض الأعراب؛ فلما وصل إلى الواثق وقرئ عليه. قال: واضع هذا

الكلام ما أراد به غير إبراهيم بن رباح، وكان أحد أسباب الرضا عنه. ونسخة الكلام: قال: لقيت أعرابياً من أهل البادية، فقلت: ما عندك من خبر البلاد؟ قال: قتل أرضاً عالمها. قلت: فما عندك من خبر الخليفة؟ قال: تبجح في عزةٍ فضرب بجرانه، وأخذ الدرهم من مصره، وأرعف كل قلم خيانتة.

قلت: فما عندك من خبر ابن أبي دواد؟ قال: عضلةٌ لا تطاق، وجندلةٌ لا ترام، ينتحى بالمدى لنحره فتحور، وتنصب له الحبائل حتى يقول: الآن، ثم يضبر ضبرة الذئب، ويتملس تملس الضب، والخليفة يحنو عليه، والعراق يأخذ بضبعيه.

قلت: فما عندك من خبر عمر بن فرج؟ فقال: ضخامٌ حضجر وعضوبٌ هزبر، قد أهدفه القوم لبغيهم، وانتضوا له عن قسيهم، وأحر له بمثل مصرع من يصرع منهم.

قلت: فما عندك من خبر ابن الزيات؟ قال: ذاك رجلٌ وسع الورى بشره، وبطن بالأمر خبره، فله في كل يوم صريعٌ لا تظهر فيه آثار مخلبٍ ولا نابٍ، إلا بتسديد الرأي.

قلت: فما عندك من خبر إبراهيم بن رباح؟ قال: ذاك رجلٌ أوبقه كرمه، وإن يفز للكرام قدحٌ فأحر بمنجاته، ومعه دعاءٌ لا يخلذه، وفوقه خليفةٌ لا يظلمه.

قلت: فما عندك من خبر نجاح بن سلمة؟ قال: لا دره من خافض أوتادٍ، يقد كأنه لهب نارٍ، له في الفينة بعد الفينة جلسة عند الخليفة كحسوة طائر، أو كخلسة سارق، يقوم عنها، وقد أفاد نعماً، وأوقع نقماً.

قلت: فما عندك من خبر الفضل بن مروان؟ قال: ذاك رجلٌ حشر بعد ما قبر، فله نشرة الأحياء، وفيه خفوت الموتى.

قلت: فما عندك من خبر أبي الوزير فقال: إخاله كبش الزنادقة. ألا

ترى أن الخليفة إذا أهمله خضم فرتع، حتى إذا أمر بنقضه أمطر فأمرع؟.

قلت: فما عندك من خبر أحمد بن الخصيب؟ فقال: أحمد أكل أكلة نهم؛ فأخلف خلفه بشم.

قلت: فما عندك من خبر المعلى بن أيوب؟ قال: ذاك رجلٌ قد من صخرة، فصبره صبرها، ومسه مسها.

قلت: فما عندك من خبر أحمد بن إسرائيل؟ قال: كتومٌ غرورٌ، وجلدٌ صبورٌ، له جلد نمر، كلما قدوا له إهاباً أنشأ الله له إهاباً.

قلت: فما عندك من خبر عبد الله بن يعقوب؟ قال: “أمواتٌ غير أحياءٍ وما يشعرون أيان يبعثون”.

قلت: فما عندك من خبر سليمان بن وهب؟ فقال: ذاك رجلٌ اتخذه السلطان أخاً، فاتخذ نفسه للسلطان عبداً.

قلت: فما عندك من خبر أخيه الحسن؟ فقال: شد ما استنوقت مسألتك ذاك حرمةً حبست بجريرة المجرم، ليس في القوم في خلٍّ ولا خمر، هيهات:

كتب الحبس والخراج عليهم :: وعلى المحصنات جر الذبول
قال: قلت: أين منزلك فأؤمك؟ قال: ما لي منزلٌ. إنما أستتر في الليل إذا التبس، وأظهر في النهار إذا تنفس.

كلامٌ لأبي العيناء في ذم الوزراء:

وهذا كلامٌ لأبي العيناء، نسبه إلى جماعةٍ من كتاب الحضرة وغيرهم في ذم أحمد بن الخصيب وزير المستعين، قال: ذكر عند أبي العباس محمد

عبد الله بن طاهر أحمد بن الخصيب؛ فقال: ما زال يخرق ولا يرقع، وما زلت منذ ارتفع، أتذكر الذي فيه وقع. وذكر بغا؛ فقال: أبطرتة النعمة،

فعاجلته النعمة.

وذكر جعفر بن عبد الواحد فقال: أحسن حسناته سيئة، وأصغر سيئاته كبيرة.

وذكر هارون بن عيسى فقال: كانت دولته دولة المجانين خرجت من الدنيا والدين.

وذكر عبد الله بن محمد بن داود الهاشمي المعروف بآترجة، فقال: بعد من الشرف فتحامل عليه، وقرب من ضلّ فمال إليه.

وذكر إسحاق بن إبراهيم المصعبي؛ فقال: ما كان أتم شرته، إن دنوت منه غرك، وإن بعدت منه ضرك.

وذكر وصيف فقال: ترك العقلاء على يأس من مرتبته، والجهال على رجاء لدرجته، وذكره موسى بن بغا؛ فقال: لولا أن القدر يغشي البصر ما نهى بيننا ولا أمر.

وذكر صالح بن وصيف؛ فقال: تجبر وتكبر وتذمر ودبر فدمر.

وذكر سليمان بن يحيى فقال: لم تتم له نعمة؛ لأنه لم تكن في الخير همة.

وذكر الفضل بن عباس فقال: إن لم يكن تاريخ البلاء فما أعظم البلوى.

وذكر الفضل بن مروان قال: فما أجهل من يستجهله أولم يخبر بأمر يجهله؟.

وذكر عيسى بن فرخان شاه؛ فقال: أعقل منه مجنون، وأحسن منه معدوم⁽¹⁾.

وذكر إسحاق بن منصور؛ فقال: لو طلب العافية لوجدها، ما أدبرت

(1) الأبي، نثر الدر، 1 / 235.

عنه حتى أدبر عنها.

وذكر الحسن بن مخلد، فقال: لئن كان دخل مدخلا لا يشبهه لقد خرج مخرجاً يشبهه.

وذكر أحمد بن إسرائيل؛ فقال: كنا إذا عصيناه عرضنا بأنفسنا، وإذا أطعناه فسد تدبيرنا.

وذكر داود بن محمد الطوسي. فقال: ما أحسن قط إلا غلطاً، ولا أساء إلا تعمداً.

وذكر المعلى، فقال: ما أعجب ما نكب ونعمته أعجب من نكبته. وذكر ميمون بن إبراهيم، فقال: لو تأمل رجل أفعاله فاجتنبها، لاستغنى عن الآداب أن يطلبها.

وذكر ابن أبي الشوارب، فقال: كان يحمد المحسنين، ويجتنب أفعالهم، ويذم المسيئين، ويعمل أعمالهم.

وذكر خالد بن صبيح، فقال: هو كما قال فلان: ملأ يساره سلحا، وبسط يمينه سطحا، وقال: انظروا في سطحي، وإلا لطختكم بسلحي.

وذكر شجاع بن القاسم، فقال: الحزم ما فعلنا، ولو لم نعاجله لعاجلنا. وذكر داود بن الجراح، فقال: كان لا يرضى أحداً ولا يرضاه أحد، فضروه إذ لم يرضوه، ولم يضرهم إذ لم يرضهم.

وذكر أحمد بن صالح، فقال: كان لا يغتم إلا لما فاته من الشر، ولا يسر إلا بما فاته من الخير.

وذكر محمد بن نجاح، فقال: لئن كانت النعمة عظمت على قوم خرجت عنهم، لقد عظمت المصيبة على قوم نزلت فيهم.

وذكر علي بن يحيى، فقال: لم يكن له أول يرجع إليه، ولا آخر يعول عليه، ولا عقل فيذكر عاقل لديه.

وذكر علي بن الحسن الإسكاف، فقال: كان الجاهل يغبطنا بتكرمته،

والعاقِل يرحمنا من سوء عشرته.

وذكر ابن محمد بن فيروز، فقال: حظٌ في السحاب، وعقلٌ في التراب.
وذكر محمد بن موسى بن شاکر المنجم، فقال: قبحه الله إن ذكرت له
ذا فضلٍ تنقصه لما فيه من ضده، أو ذكرت ذا نقص تولاه لما فيه من
شكله.

وذكر يزيد المهلبی، فقال: كانت يده تمنع، ونفسه لا تشبع، ويرتع ولا
يرتع.

وذكر ابن طالوت، فقال: كان العقل مأسوراً في سلطانه، فلما سيره
أطلق من لسانه.

وذكر محمد بن علي بن عصمة، فقال: ما كان أقرب وليه مما يكره،
وعدوه مما يحب.

وذكر ابن جبل؛ فقال: ما زال ينقص ولا يزيد، ويتوعد حتى حل به
الوعيد.

وذكره عبد الله بن محمد، فقال: لو أقام لسرنا؛ فأما إذ سار فقد أقمنا.

وذكره ابن حمدون؛ فقال: لئن فضحتہ القدرة لقد جملته النكبة.

وذكره ابن أبي الأصبع، فقال: ما علمت خدمة الشياطين، إلا أيسر من
خدمة المجانين؛ كان غضبه علينا إذا أطعناه أشد من غضبه إذا خالفناه.

وذكره إبراهيم بن رباح؛ فقال: كان لا يفهم ولا يفهم، وينقض ما يبرم.

وذكر سعيد بن حميد؛ فقال: كان إذا أصاب أحجم، وإذا أخطأ صمم.

وذكر سعيد بن عبد الملك، فقال: كان يخافه الناصح، ولا يأمنه
الغاش، ولا يبالي أن يراه الله مسيئاً.

وفي علم الله ما كفاك:

عزى أبو العيناء ابن الرضا رضي الله عنهما عن ابنه؛ فقال له: أنت

تجل عن وصيتنا، ونحن نقل عن عظتك. وفي علم الله ما كفاك، وفي ثواب الله ما عزاك(1).

عقم والله البيان:

وكتب إلى عبيد الله بن سليمان: أنا وولدي وعيالي زرغ من زرعك؛ إن سقيته راع وزكا، وإن جفوته ذبل وذوى. وقد مسني منك جفاء بعد بر، وإغفال بعد تعهد، حتى شمت عدو، وتكلم حاسد، ولعبت بي ظنون رجال، وشديداً عادةً منتزعة وعزاه عن أبيه، فقال: عقم والله البيان، وخرست الأقلام، ووهى النظام.

أحمد الله على ما تأتت إليه أحوالك:

وكتب إلى عيسى بن فرخان شاه: أنا أحمد الله على ما تأتت إليه أحوالك، ولئن كانت أخطأت فيك النعمة، لقد أصابت فيك النقمة، ولئن أبدت الأيام مقابحها بالإقبال عليك، لقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك.

ولكني رأيت الحزم أخذ العاجل:

وكتب إلى صديق له تولى ناحية: أما بعد؛ فإني لا أعظك بموعظة الله؛ لأنك غني عنها، ولا أربك في الآخرة؛ لمعرفتي بزهدك فيها. ولكني أقول كما قال الشاعر:

أحاربن عمر قد وليت ولايةً :: فكن جرذاً فيها تخون وتسرق
وكاثر تميماً بالغنى، إن للغنى :: لساناً به المرء الهيوبه ينطق
واعلم أن الخيانة فطنة، والأمانة خرق، والجمع كيس، والمنع صرامة، وليست كل يوم ولاية، فاذا ذكر أيام العطلة، ولا تحقرن صغيراً، فمن الذود إلى الذود إبل، والولاية رقدة، فتنبه، قبل أن تنبه وأخو السلطان أعمى، عن قليل سوف يبصر. وما هذه الوصية التي أوصى بها يعقوب

بنيه، ولكني رأيت الحزم أخذ العاجل، وترك الآجل.

أمل كاذبٌ:

وكتب إلى عيسى بن فرخان شاه: أصبحت منك بين أمرين عجيبين؛ إن غبت عنا - ولا يغيبنك الله - لزمنا الخوف، واستخف بنا الناس، ولاحظونا بالوعيد، وسدوا علينا أبواب المنافع؛ فإذا ظهرت فققرٌ حاضر، وأمل كاذبٌ، وحرمانٌ شامل، كنت أسألك كذا فاستكثرته، وما ظننتك تستكثر. هذا الولي مؤمل بي إليك، فكيف لولدك الذي غذى بعمتك وتخرج في دواوينك، فوالله ما كان أملٌ سواك، ولا خطر من مكاره الدنيا شيءٌ فأخطرتك بقلبي إلا هان وخف عندي.

ويزيدك إذا زدت:

وكتب إلى بعضهم: نحن أعز الله الأمير إذا سألنا الناس كف الأذى سألناك بذل الندي، وإذا سألناهم العدل، سألناك الفضل، وإذا سررناهم بسط العذر سررناك باستدعاء البر.

وكتب في فصل: قد آمن الله خائفك من ظلمك، وسألك من بخلك، والعائد بك من مالك، والمستزيد لك من علمك، وإن الله لم يزل يعطيك إذا أعطيت، ويزيدك إذا زدت.

لو حدثت أحداً حدثتك:

قال أبو العيناء: أتيت عبد الله بن داود الخريبي؛ فقال: ما جاء بك؟ فقلت: طلب الحديث، قال: اذهب فتحفظ القرآن، قلت: قد حفظت القرآن. قال: فاقرا: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ} [يونس: ٧١]. قال: فقرأت العشر، قال: فاذهب الآن وتعلم الفرائض. قال: قلت: قد تعلمت الجد والصلب والكبد، قال: فأیما أقرب إليك: ابن أخيك أو ابن عمك؟ قال: قلت: ابن أخي، قال: ولم؟ قلت: لأن أخي من أبي، وعمي من جدي. قال: اذهب الآن وتعلم العربية. قلت: علمت ذاك قبل هذين. قال: فلم؟ قال عمر بن

الخطاب: يا لله، يا للمسلمين. قال: قلت: فتح تلك للاستغاثة، وكسر هذه للاستنصار. قال: لو حدثت أحداً حدثتك.

حتى تكون فوق من أنت دونه:

سب رجلٌ من العلوية أبا العيناء، فقال له أبو العيناء: ما أحوج شرفك إلى من تصونه حتى تكون فوق من أنت دونه(1).

ناد عليه بالبراءة ممّا فيه:

قال علي بن سليمان الأخفش سمعت أبا العيناء يقول: كنت يوماً في الوراقين إذ رأيت منادياً مغفلاً في يده مصحف مخلّق الأداة، فقلت له: ناد عليه بالبراءة ممّا فيه وأنا أعني أداته فأقبل ينادي بذلك، فاجتمع أهل السوق والمارة على المنادي، وقالوا له: يا عدوّ الله تنادي على مصحف بالبراءة ممّا فيه قال وأوقعوا به فقال لهم ذلك الرجل القاعد أمرني بذلك، فتركوا المنادي وأقبلوا عليّ ورفعوني إلى الوالي، وكتب في أمري إلى السلطان فأمر بحملي فحملت مستوثقاً مني واتصل خبري بابن أبي داود، فلم يزل يتلطف في أمري حتى خلصني.

أنا لم أعلم إنني اشتريت جالينوس:

قال أبو العيناء كان سبب خروجي من البصرة وانتقالي عنها أنني مررت بسوق النّخاسين يوماً فرأيت غلاماً ينادي عليه وقد بلغ ثلاثين ديناراً وهو يساوي ثلاث مئة دينار فاشتريته وكنت أبني داراً فدفعت إليه عشرين ديناراً على أن ينفقها على الصّناع، فجاءني بعد أيام يسيرة فقال: قد نفذت النّفقة قلت: هات حسابك فرفع حساباً بعشرة دنانير، قلت: فأين الباقي، قال: اشتريت به ثوباً مصمتاً وقطعته، قلت: ومن أمرك بهذا، قال: يا مولاي لا تعجل، فإن أهل المروءات والأقدار لا يعيبون على غلمانهم، إذا فعلوا فعلاً يعود بالزّين على مواليتهم، فقلت في نفسي: أنا اشتريت

(1) (الآبي، نثر الدر، 1 / 237).

الأصمعي، ولم أعلم، قال: وكانت في نفسي امرأة أردت أن أتزوجها سرّاً من ابنة عمي فقلت له يوماً: أفيك خير؟ قال: إي لعمرى فأطلعته على الخبر، فقال: أنا نعم العون لك فتزوجت، ودفعت إليه ديناراً، فقلت له: اشتر لنا كذا وكذا، ويكون فيما تشتريه سمكٌ هازبي فمضى ورجع وقد اشترى ما أردت إلا أنه اشترى سمكاً مارماهى فغاضني، فقلت: أليس أمرتك أن تشتري هازبي، قال: بلى، ولكني رأيت بقراط يقول إنّ الهازبي يولد السّوداء ويصف المارماهى، ويقول: إنّهُ أقلّ غائلة، فقلت: أنا لم أعلم إني اشتريت جالينوس، وقمت إليه فضربته عشر مقارع، فلمّا فرغت من ضربه أخذني، وأخذ المقرعة، وضربني سبع مقارع، وقال: يا مولاي الأدب ثلاث والسبع فضلٌ، ولذلك قصاصٌ فضربتك هذه السبع، خوفاً عليك من القصاص يوم القيامة، فغاضني جدّاً فرميته، فشجحته، فمضى من وقته إلى ابنة عمي فقَالَ لَهَا: يا مولاتي: الدين النصيحة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من غشنا فليس منا: وأنا أعلمك أنّ مولاي قد تزوّج.

واستكتمني فلمّا قلت له لا بدّ من إعلام مولاتي ضربني بالمقارع، وشجّني فمنعني بنت عمّي من دخول الدار، وحالت بيني وبين ما فيها، فلم أر الأمر يصلح إلا بأن طلقت المرأة التي تزوّجتها، فصلح أمري مع ابنة عمّي، وسمّيت الغلام النّاصح فلم يتهياً لي أن أكلمه، فقلت: أعتقه وأستريح لعله أن يمضي عني فأعتقته فلزمني قال: الآن وجب حقك عليّ ثمّ إنّهُ أراد الحجّ فجهّزته وزودته وخرج فغاب عليّ عشرين يوماً، ثمّ رجع فقلت له: لم رجعت قال قطع الطريق وفكرت فإذا الله تعالى يقول: ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وكنت غير مستطيع وفكرت فإذا حقك عليّ أوجب، فرجعت، ثمّ أراد الغزو فجهّزته فشخص، فلمّا غاب عني بعث كل ما أملكه بالبصرة من عقارٍ

وغيره، وخرجت عنها خوفاً أن يرجع⁽¹⁾.

وإذ هو عز و جل:

قال أبو العيناء: حضرت مجلس بعض المحدثين المغفلين فأسند حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عن الله عن رجل فقلت: من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله فإذا هو قد صحفه وإذ هو عز و جل.

احفظ مكاني حتى أجيء:

عن أبي العيناء قال: كان المدني في الصف من وراء الإمام فذكر الإمام شيئاً فقطع الصلاة، وقدم المدني ليؤمهم، فوقف طويلاً، فلما أعيأ الناس سبحوا له وهو لا يتحرك، فنحوه وقدموا غيره فعاتبوه، فقال: ظننته يقول لي احفظ مكاني حتى أجيء⁽²⁾.

يعرض أقوال النحويين على رجل يموت:

وعن أبي العيناء عن العطري الشاعر أنه دخل إلى رجل عندنا بالبصرة وهو يجود بنفسه، فقال له: يا فلان قل لا إله إلا الله وإن شئت، فقل: لا إله إلا الله، والأولى أحب إلى سيئويه، ثم اتبع أبو العيناء ذلك بأن قال: سمعتم ابن الفاعلة يعرض أقوال النحويين على رجل يموت⁽³⁾.

ولدت أيام البراغيت:

قال أبو العيناء: كنت بحمص فمات لجار لي بنت فقيل له: كم لها، قال: ما أدري ولكنها ولدت أيام البراغيت.

يا أبا العيناء ما هذا؟:

قال أبو العيناء: أنشدني المعتصم بعقب مدح جرى لبغداد:

سقاني بعينه كأس الهوى :: فظلت وبني منه مثل اللمم

(1) ابن الجوزي، أخبار الظراف والمتماجنين، ص 91.

(2) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص 111.

(3) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص 120.

بعيني مهـاة شـقيقة :: وشنب عذاب وفرع أحـم
قال أبو العيناء: فتوهمت أنه يعني سر من رأى ويكني عنها بذلك
الكلام، فقلت: يا أمير المؤمنين قال مروان في جدك قريش: الأبلج ذو
البهاء غيث العفاة غد الأنواء وهم زمام الدولة الزهراء. فقال: قل يا أبا
عبد الله في مدح بني هاشم لك ولغيرك فلقد أصبت مقالاً، فأنشدته لمروان
بن أبي حفصة:

إلى ملكٍ مثل بدر الدجى :: عظيم الفناء رفيع الدعم
قريع نزار غداة الفخار :: ولو شئتُ قلتُ جميع الأمم
له كفُّ جودٍ تفيد الغنى :: وكفُّ تبيد بسيف النِّم
فقال: زدني، فأنشدته:

انتجعي يا ناق ملك غالب :: قريش بطحاء أولي الأهاضب
والرأس ممدودٌ على المناكب :: مدَّ القباطي على المشاجب
فقال: زدني، فأنشدته:

يا قطب رجراجة الملحاء :: ومنزل البدر من السماء
فقال: حسبك يا أبا عبد الله. ثم التفت إلى جارية بين يديه فقال: عشر
بدر ووصيفة وفرساً ومملوكاً وخمسين ثوباً الساعة، فجيء بذلك كله،
فأعطاه إياه وانصرف. فقال له الناس: يا أبا العيناء ما هذا؟ قال: مال الله
على يد عبد الله، الحمد لله والشكر لأمر المؤمنين ما دامت السماء وما
حملت مقلتي الماء.

الطينة الملعونة والدعوة المشؤومة:

وقيل لأبي العيناء: ما بال العمى قد صار في صغاركم وكباركم حتى
إنه يلحق الطفل منكم؟ فقال: نعم الطينة الملعونة والدعوة المشؤومة،
وذلك أنه سلم بعض الخلفاء رجلاً من آل أبي طالب إلى جدنا الأكبر
فقتله، ودعا عليه فلحقنا دعوته فما تراه فهو من تلك الدعوة.

قد أحسنت في إساءتها:

وعرضت على المتوكل جارية شاعرة فقال أبو العيناء يستجيزها: أحمد الله كثيراً، فقالت: حيث أنشأك ضريراً، فقال: يا أمير المؤمنين قد أحسنت في إساءتها فاشترها.

أنت الحال:

وقال عبد الله بن يحيى لأبي العيناء كيف الحال قال: أنت الحال، فانظر كيف أنت لنا، فأمر له بمال جزيل، وأحسن صلته.

لا أكثر الله في المسلمين مثله:

وقال أبو العيناء رأيت جارية مع النخاس وهي تحلف ألا ترجع لمولاه فسألته عن ذلك، فقالت: يا سيدي إنه يواقعني من قيام، ويصلي من قعود، ويشتمني بإعراب، ويلحن في القرآن، ويصوم الخميس والاثنتين ويفطر رمضان، ويصلي الضحي، ويترك الفرض، فقلت: لا أكثر الله في المسلمين مثله.

فقد الشباب وفرقه الأحباب:

وقال أبو العيناء: حصلت لي ضيقه شديدة فكتمتها عن أصدقائي فدخلت يوماً على يحيى بن أكثم القاضي، فقال: إن أمير المؤمنين جلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك في الحضور، قلت: نعم فمضيت معه إلى دار أمير المؤمنين، فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسني، ثم قال: يا أبا العيناء بالألفة والمحبة ما الذي جاء بك في هذه الساعة، فأنشدته:

(لقد رجوتك دون الناس كلهم :: وللرجاء حقوق كلها تجب)
(إن لم يكن لي أسباب أعيش بها :: ففي العلاء لك أخلاق هي السبب)

فقال: يا سلامة انظر أي شيء في بيت مالنا دون مال المسلمين، فقال: بقية من مال، قال: فادفع له منها مائة ألف درهم، وابعث له بمثلها في كل شهر، فلما مرّ أحد عشر شهراً مات المأمون، فبكي عليه أبو العيناء، حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده، فقال: يا أبتاه بعد ذهاب

العين ماذا ينفع البكاء فأنشأ أبو العيناء يقول:

(شيئان لو بكت الدماء عليهما :: عيناى حتى يؤذنا بذهاب)
(لم يبلغا المعشار من حقيهما :: فقد الشباب وفرقة الأحباب)

بينهما جوع يقلقل الكبد:

وشكا أبو العيناء إلى صديق له سوء الحال، فقال: اشكر، فإن الله قد رزقك الإسلام والعافية، قال: أجل ولكن بينهما جوع يقلقل الكبد.

سورة الحمد:

وكان جماعة يجلسون إلى أبي العيناء، وفيهم رجل لا يتكلم، فقيل له يوماً: كيف علمك بكتاب الله، قال: أنا عالم به، فقيل له هذه الآية في أي سورة: (الحمد لله لا شريك له) فقال له: في سورة الحمد فضحكوا عليه⁽¹⁾.

لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه:

دخل أبو العيناء على المتوكل فقال: كيف كنت بعد؟ قال: في أحوال مختلفة، خيرها رؤيتك وشرها غيابتك، فقال: قد والله اشتقتك قال: إنما يشتاك العبد؛ لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه، وأما السيد فمتى أراد عبده دعاه.

ما أرانا إلا كما كنا:

وقال له المتوكل: من أسخى من رأيت؟ قال: ابن أبي دواد، قال المتوكل: تأتي إلى رجل رفضته فتنسبه إلى السخاء؟ قال: إن الصدق يا أمير المؤمنين ليس في موضع من المواضع أنفق منه في مجلسك؛ وإن الناس يغلطون فيمن ينسبونه إلى الجود؛ لأن سخاء البرامكة منسوب إلى الرشيد، وسخاء الفضل والحسن ابني سهل منسوب إلى المأمون، وجود ابن أبي دواد منسوب إلى المعتصم؛ فإذا نسب الناس الناس الفتح، وعبيد الله

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، 3/ 150.

ابني يحيى إلى السخاء فذلك سخاؤك يا أمير المؤمنين، قال: صدقت؛ فمن أبخل من رأيت؟ قال: موسى ابن عبد الملك، قال: وما رأيت من بخله؟ قال: رأيتَه يخدم القريب كما يخدم البعيد، ويعتذر من الإحسان كما يعتذر من الإساءة، فقال له: قد وقعت فيه عندي مرتين، وما أحب لك ذلك؛ فألقه واعتذر إليه، ولا يعلم أنني وجهت بك، قال: يا أمير المؤمنين، من يستكتمني بحضرة ألف؟ قال: لن تخاف، قال: على الاحتراس من الخوف.

فصار إلى موسى فاعتذر كل واحد منهما إلى صاحبه، واقتربا عن صلح؛ فلقيه بعد ذلك بالجعفري، فقال: يا أبا عبد الله، قد اصطلحنا، فما لك لا تأتينا؟ قال: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس؟ فقال موسى: ما أرانا إلا كما كنا (1).

فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين:

وذكر أبو العيناء رجلا، فقال: ضحك كالبكاء، وتودد كالعزاء، ونوادر كندب الموتى وكان يهاثر ابن مكرم كثيرا، وكتب إليه ابن مكرم يوما: قد ابتعت لك غلاما من بني ناشر، ثم من بني ناعظ، ثم من بني نهد. فكتب إليه: فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (2).

حجتك الداحضة.. أبلغ من حجة غيرك البالغة:

حمل محمد بن عبيد الله بن خاقان أبا العيناء على دابة زعم أنها غير فاره، فكتب إليه: أعلم الوزير، أعزه الله، أن أبا علي محمدا أراد أن يبرني فعقتني، وأن يركبني فأرجلني، أمر لي بدابة تقف للنبرة، وتعثر بالبعرة، كالقضيبي اليابس عجفا؛ وكالعاشق المهجور دنفا، قد أذكرت الرواة عذرة العذري، والمجنون العامري، مساعد أعلاه لأسفله، حباقه مقرون بسعاله، فلو أمسك لترجيت، ولو أفرد لتعزيت، ولكنه يجمعهما في

(1) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، 1/ 265.

(2) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، 1/ 268.

الطريق المعمور، والمجلس المشهور، كأنه خطيب مرشد، أو شاعر منشد، تضحك من فعله النسوان، وتتناغى من أجله الصبيان؛ فمن صائح يصيح: داوه بالطباشير، ومن قائل يقول: نوله الشعير، قد حفظ الأشعار، وروى الأخبار، ولحق العلماء في الأمصار، فلو أعين بنطق؛ لروى بحق وصدق، عن جابر الجعفي، وعامر الشعبي؛ وإنما أتيت من كاتبه الأعور، الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر، وإن اختار لغيره أخبث وأنزر؛ فإن رأى الوزير أن يبدلني به، ويرحني منه بمركوب يضحكني كما ضحك مني، يمحو بحسنه وفراسته، ما سطره العيب بقبحه ودمايته؛ ولست أذكر أمر سرجه ولجامه؛ فإن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه، أو ينقض ما يمضيه.

فوجه عبيد الله إليه برزونا من براذينه بسرجه ولجامه، ثم اجتمع مع محمد بن عبيد الله عند أبيه، فقال عبيد الله: شكوت دابة محمد، وقد أخبرني الآن أنه يشتريه منك بمائة دينار، وما هذا ثمنه لا يشتكى.

فقال: أعز الله الوزير، لو لم أكذب مستريدا، لم أنصرف مستفيدا، وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز: ﴿أَكْثَرَ حَصَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١]. فضحك عبيد الله، وقال: حجتك الداحضة بملاحظتك وظرفك أبلغ من حجة غيرك البالغة (1).

بين أبي العيناء وابن ثوبة:

وكان أبو العيناء يعادي ابن ثوبة لمعاداته لأبي صقر؛ فاجتمعا في مجلس صاعد في غد ذلك اليوم، فتلاحيا، فقال ابن ثوبة: أما تعرفني؟ فقال: بلى أعرفك ضيق الطعن، كثير الوسن، خارا على الذقن، وقد بلغني تعديك على أبي الصقر، وإنما حلم عنك؛ لأنه لم يجد لك عزا فبذله، ولا علوا فيضعه، ولا مجدا فيهدمه؛ فعاف لحملك أن يأكله، ودمك أن يسفكه،

(1) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، 1/ 483.

فقال ابن ثوابة: ما تساب إنسانان إلا غلب الأملهما، فقال أبو العيناء: فلهذا غلبت بالأمس أبا الصقر (1).

المحسن في كلامه ابتداء والمسيء انتهاء:

تكلم ابن ثوابه فأحسن في أوله ثم غلط في آخره. فقال أبو العيناء: ترفعت حتى خفتك ثم تخفضت حتى عفتك. وتكلم رجل فأحسن ثم أعاد فأساء. فقال له أعرابي: إنك تسترجع محاسنك.

تحريض الوالي على الإكتساب:

كتب أبو العيناء إلى صديق له تولى عملاً: أما بعد فإنني لا أعظك بموعظة الله تعالى، لأنك غني عنها، ولا أخوفك إياه لأنك لا تخافه، ولكني أقول ما قاله الشاعر:

أحار بن عمر وقد وليت ولاية :: فكن جرذاً فيها تخون وتسرق
وباه تيمماً بالغنى. إن للغنى :: لساناً به المرء الهیوبة ينطق!

واعلم أن الخيانة فطنة والأمانة خرفة، والجمع كيس والمنع صرامة، فاذكر أيام العطلة في حال الولاية، ولا تحقرن شيئاً صغيراً فالذود إلى الذود إبل، والولاية رقدة، فتنبه قبل أن تنبه، وأخو السلطان أعمى عن قليل سوف يبصر، وما هذه الوصية كما أوصى به الحكماء، ولكني رأيت الحزم في أخذ العاجل وترك الآجل!

وصف الحسد بأنه أعظم عداوة:

قال أبو العيناء: إذا أراد الله أن يسلط على عبده عدواً لا يرحمه، سلط عليه حاسداً.

الحكم بين فاضل ونذل:

سئل أبو العيناء عن رجلين فقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: ١٢].

(1) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الأداب وثمر الألباب، 2/ 185.

لتأتيك بولد مثلي!:

وقال أبو العيناء: ما أخجلني أحد كما أخجلني ابن صغير لعبد الرحمن ابن رجاء، قلت له يوماً: أبيعك أبوك مني فإني أريد ابناً مثلك؟ فقال: البيع لا يمكن إن شئت أحمل أبي على امرأتك لتأتيك بولد مثلي!

أعرف الناس بعوار الناس المعور:

قال أبو العيناء: ما قطعني أحد كما قطعني المهدي فإنه قال: بلغني أنك تغتاب الناس! فقلت له: يبطل ما قيل في شغلي بعيني. فقال: والله ذاك أشد لغيظك على أهل العافية أعرف الناس بعوار الناس المعور.

ومحنة لا منحة:

وكان يجري على أبي العيناء رزق فتأخر عنه فتقاضاه مراراً ثم تركه وقال: لا حاجة لي فيه فهو رق لا رزق، وبلاء لا عطاء، ومحنة لا منحة.

مسنا وأهلنا الضر:

وكتب أبو العيناء إلى ابن أبي دؤاد: مسنا وأهلنا الضر وبضاعتنا المودة والشكر، فإن تعطنا فأنت أهل لذلك، وإن لم تعطنا فلسنا ممن يلمزك في الصدقات، فإن أعطوا منها رضوا، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون.

دابة الأرض:

ووعد رجل أبا العيناء دابة فأخرها. فكتب إليه: إن كانت الدابة التي وعدتني بها دابة الأرض فقد مضى خبرها مع منسأة سليمان، وإن كانت دابة الصفا انتظرنا خبرها مع سابق الحاج، وإن كانت من دواب الدنيا فقد جاز عمر وعدك عمر الدواب، فهيئ لي غيرها، وإن كانت دابة تدفعها إلى في الآخرة فإن الله تعالى يقول: لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه.

وما يعدهم الشيطان إلا غروراً:

وقيل لأبي العيناء: كيف تركت فلاناً مع قومه؟ قال: يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً.
ما ولاك؟:

وقيل لأبي العيناء: كيف وجدت فلاناً لما قصدته؟ قال: وجدته لا يعود إليه حراً! وقصد رجل سلطاناً فلما رجع قيل له: ما ولاك؟ فقال: ولاني قفاه وأولاني منعه وحماني نفعه.
ماذا يكون كذبه؟:

سأل أبو العيناء رجلاً شيئاً فاعتذر إليه وحلف أنه صادق في اعتذاره، فقال: من كان الصدق حرمان صديقه ماذا يكون كذبه؟
اخسؤوا فيها ولا تكلمون:

كتب ابن مكرم إلى أبي العيناء: عندنا سكباغ ير عف المجنون، وحديث يطرب المحزون، وإخوانك الملحدون، فلا تعلوا علي واثنتون. فكتب إليه أبو العيناء: اخسؤوا فيها ولا تكلمون.
أين درب الحلاوة؟:

ومن النوادر أن امرأة مرت بأبي العيناء فقالت: أين درب الحلاوة؟ قال: بين سراويلك!

ونحو ذلك ما حكى أن أبا العيناء سأل ابن أخت أبي الوزير حاجة فلم يقضها له فقال: إنما ألوم نفسي في تأميلك وأنت مضاف إلى مضاف. ولما أسلم صاعد قصده أبو العيناء مرتين فوجده يصلي فقال: لكل جديد لذة.
الهوى:

وقال أبو العيناء: سألت أعرابياً عن الهوى؛ فقال: هو أظهر من أن يخفى، وأخفى من أن يُرى، كامنٌ ككمون النار في الحجر، إن قدحته أورى، وإن تركته توارى.
فما كان الذنب؟:

وكان عيسى بن فرخان شاه يتيه على أبي العيناء حال وزارته، فلما صرف عن الوزارة لقي أبا العيناء في بعض السكك فسلم عليه سلاماً خفيفاً، فقال أبو العيناء لقائده: من هذا؟ قال: أبو موسى، فدنا منه حتى أخذ بعنان بغلته وقال: لقد كنت أقنع بإيمانك دون بنانك، وبلحظك دون لفظك، الحمد لله على ما آلت إليه حالك، فلئن كانت أخطأت فيك النعمة، لقد أصابت فيك النعمة، ولئن كانت الدنيا أبدت صفحاتها بالإقبال عليك، لقد أظهرت محاسنها بالإدبار عنك، والله المنة إذا أغنانا عن الكذب عليك، ونزهدنا عن قول الزور فيك، وقد والله أسأت حمل النعمة، وما شكرت حق المنعم، ثم أطلق يده من عنانه، ورجع إلى مكانه فقيل له: يا أبا عبد الله لقد بالغت في السب، فما كان الذنب؟ قال: سألته في حاجة أقل من قيمته، فردني عنها بأقبح من خلقته.

فما زال الموتى يغبطونكم ويرحمونني بكم:

قال بعض الرؤساء: يا أبا العيناء، لو مت لرقص الناس طرباً وسروراً. فقال بديهة:

أردت مذمتي فأجبت مدحي :: بحمد الله ذلك لا بحمدك
فلا تك واثقاً أبداً بعمد :: فقد يأتى القضاء بغير عمدك
ثم قال: أجل الناس قد ذهبوا، فلوا رأني الموتى لطربوا لدخول مثلي
عليهم، وحلول عقلي لديهم، ووصول فضلي إليهم، فما زال الموتى
يغبطونكم ويرحمونني بكم.

ولسانك الذي هو تحذير:

واتصلت أشغال أبي الصقر الوزير، فتأخر توقيعه عن أبي العيناء برسومه. فكتب إليه: رقعتي، أطال الله بقاء الوزير، رقعة من علم شغلك فاطرح عدلك، وحقق أمرك فبسط عذرك. أما والليل إذا عسعس، فالبنان لبنات الدنان، وملامسات الحسان، وأما والصبح إذا تنفس، فالبنان للعنان، ومؤامرات السلطان، فمن أبو العيناء القرنان. فوقع أبو الصقر تحت

سطوره: لكل طعام مكان، ولكل معوز إمكان، وقد وقعنا لك بالرسوم، وجعلنا لك بالرسوم، وجعلنا لك حظاً من المقسوم، وكفينا أنفسنا عذرك الذي هو تعزير، ولسانك الذي هو تحذير. والسلام⁽¹⁾.

ثم لقيه أبو العيناء في صدر موكبه فقال: طاعة شيمك لسلطان كرمك، ألزمتك الصبر على ذنوبي إليك، وتجنني خلقي عليك. فقال أبو الصقر: كبير حسناتك، يستغرق يسير سيئاتك. فدعا له وانصرف شاكرًا. قال: وبسط أبو العيناء لسانه على أهله في بعض الدواوين. فقال له فتى من أبناء الكتاب كانت فيه جرأة: كل الناس لك يا أبا العيناء زوجة، وأنت زوجة أبي علي البصير. فقال له أبو العيناء: قد ملكنا عصمتك بيقين فحواك، ثم ننظر في شكوك دعوأك، وقد طلقت الناس كلهم سواك، ذلك أدنى ألا نعول، وفيك ما يروى الفحول، ويتجاوز السؤل. قال: ففضحه بهذا الكلام، فلم يجبه. قال: وكان في بني الجراح فتى خليع ماجن فأراد العبث بأبي العيناء، فنهاه نصحاؤه فأبى، فقالوا: شأنك. فقال له: يا أبا العيناء، متى أسلمت؟ فقال: حين آمن أهلك وأبوك الذين لم يؤدبوك. فقال له الفتى: إذا قد علمت أنك ما أسلمت. فقال أبو العيناء: شهادتك لأهلك دعوى، وشهادتي عليهم بلوى، وسترى أي السلطانيين أقوى، وأي الشيطانيين أغوى، وسيعلم أهلك، ما جنى عليهم جهلك. قال: فأتاه أبوه فتبرأ من ذمته، ودفعه إليه برمته. فقال له أبو العيناء: قد وهبت جوره لعدلك، وتصدقت بحمقه على عقلك.

ومن أخبار أبي العيناء أيضاً: أن محمد بن عبيد الله بن خاقان حمله على بردون زعم أنه غير فاره، فكتب إلى أبيه: أعلم الوزير أعزه الله تعالى أن أبا علي محمداً أراد أن يبرني فعقني، وأن يركبني فأرجلني أمر لي بدابة نقف للنبرة، وتعثر بالبعرة، كالقضيبي اليابس عجفاً، وكالعاشق المجهود دنفاً، يساعد أعلاه لأسفله، حباقه مقرون بسعاله، فلو أمسك

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 4/ 66.

لترجيت، أو أفرد لتعزيت، ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور، والمجلس المشهور، كأنه خطيب مرشد، أو شاعر منشد، تضحك من فعله النسوان، ويتناغى من فعله الصبيان، فمن صائح يصيح: داوه بالطباشير، ومن قائل يقول: نق له من الشعير. قد حفظ الأشعار، وروى الأخبار، ولحق العلماء في الأمصار، فلو أعين بنطق، لروى بحق وصدق، عن جابر الجعفي، وعامر الشعبي. وإنما أتيت من من كاتبه الأعور، الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر، وإذا اختار لغيره أخبث وأنزر. فإن رأى الوزير أن يبدلني ويرychني بمركوب يضحكني كما يضحك مني، يمحو بحسنه وفراسته، ما سطره العيب بقبحه ودمايته. ولست أرد كرامه، سرجه ولجامه، لأن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه، أو ينقص ما يمضيه فوجه إليه عبيد الله برزونا من براذينه بسرجه ولجامه. ثم اجتمع محمد بن عبيد الله عند أبيه. فقال عبيد الله لأبي العيناء: شكوت دابة محمد، وقد أخبرني إنه ليشتريه منك الآن بمائة دينار، وما هذا ثمنه فلا يشتكي. فقال: أعز الله الوزير لو لم أكذب مستزيداً، لم أنصرف مستفيداً. وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز: “الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين”. فضحك عبيد الله وقال: حجتك الداحضة، بملاحظتك وظرفك أبلغ من حجة غيرك البالغة (1).

إن مسخ الله بعض قضاتنا حماراً أصبت حاجتك:

قال أبو العيناء لبعض سماسرة الحمير: اشتر لي حماراً لا بالطويل اللاحق، ولا بالقصير اللاصق؛ إن خلا الطريق تدقق، وإن كثرت الزحام ترقق؛ لا يصادم بي السوّاري، ولا يدخل تحت البواري؛ إن كثرت علفه شكر، وإن قلّته صبر؛ وإن ركبته هام، وإن ركبه غيري قام. فقال به السمسار: إن مسخ الله بعض قضاتنا حماراً أصبت حاجتك، وإلا فليست موجودة.

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 4/ 67.

قال أبو العيناء: اشترى للوائق عبد فصيح من البادية، فأثنياه وجعلنا نكتب عنه كل ما يقول، فلما رأى ذلك منا قلب طرفه وقال: الرجز إن تراب قعرها لمنتهب يقال ذلك للرجل تسر الناس رؤيته لانتفاعهم به، والأصل فيه أن الحافر يحفر، فإن خرج التراب مرأً علم أنه ملح فلم يحفر، وإن كان طيباً علم أن الماء عذب فأنبط، فإذا خرج طيباً انتهبه الصبيان سروراً به ومضوا إلى الحي يخبرونهم.

وكيف ذلك؟:

قال أبو العيناء: لما أدخلت على المتوكل عابثني جلساؤه، فلما برزت عليهم قال المتوكل: ادفعوا إليه عشرة آلاف درهم اتقاء للسانه، فقلت: قد قتلتنى والله يا أمير المؤمنين، قال لي: ويحك، وكيف ذلك؟ قلت: لأن من خفته لا يعيش، فقال: ليس خوف فرق ولكن خوف صيانة.

تأبى نعماك أن أجده:

ودخل أبو العيناء يوماً على عبد الرحمن بن خاقان، وكان يوماً شاتياً، فقال له عبد الرحمن: كيف تجد هذا اليوم يا أبا عبد الله؟ قال: تأبى نعماك أن أجده.

إيش أنكرت؟:

قال أبو العيناء: قال لي عيسى بن زيد المراكبي، وكان من أُمّح الناس: كان لي غلام من أكسل خلق الله، فوجهته يوماً ليشترى عنباً رازقياً وتيناً، فزاد وأبطأ على العادة، ثم جاء بعد مدة بعنب وحده، فقلت له: أبطأت حتى نوطت الروح ثم جئت بإحدى الحاجتين؟! فأوجعته ضرباً وقلت: إنه ينبغي لك إذا استقضيتك حاجة أن تقضي حاجتين، لا إذا أمرتك بحاجتين أن تجيء بحاجة؛ ثم لم ألبث بعدها أن وجدت علة فقلت له: امض فجنني بطبيب وعجل، فمضى وجاءني بطبيب ومعه رجل آخر، فقلت له: هذا الطبيب أعرفه، فمن هذا؟ قال: أعوذ بالله منك، ألم تضربني بالأمس على مثل هذا؟! قد قضيت لك حاجتين وأنت استخدمتني

في حاجة، جئتُك بطبيب ينظر إليك، فإن رجاك وإلا حفر هذا قبرك، فهذا طبيب وهذا حفار. أيش أنكرت؟ قلت: لا شيء يا بن الزانية!

أخشى والله أن أموت من الفرح:

شكا رجل امرأته إلى أبي العيناء، فقال له أبو العيناء: أتحب أن تموت هي؟ قال: لا والله الذي لا إله إلا هو، قال: لم ويحك وأنت معذب بها؟ قال: أخشى والله أن أموت من الفرح.

هم الذين جلوا بكلامهم الأبصار العلية:

ذكر أبو العيناء الصحابة فقال: هم الذين جلوا بكلامهم الأبصار العلية، وشحذوا بمواعظهم الأذهان الكلية، ونبهوا القلوب من رقدتها، ونقلوها من سوء عاداتها، فشفوا من داء الشقوة، وغبوة الغفلة، وداووا من العي الفاضح، ونهجوا سبل الطريق الواضح، رحمة الله عليهم أجمعين.

والله ما فيك من العقل شيء:

قال أبو العيناء لرجل: والله ما فيك من العقل شيء إلا بمقدار ما تجب به الحجة عليك، والنار لك.

فلهذا غلبت أبا الصقر بالأمس:

وكان أبو العيناء في جملة أبي الصقر، وكان يعادي ابن ثوبة لمعاداته لأبي الصقر. فاجتمعا في مجلس صاعدٍ، فتلاحيا، فقال له ابن ثوبة: أما تعرفني؟ قال له أبو العيناء: بلى والله، أعرفك ضيق العطن، كثير الوسن، قليل الفطن، خار على الذقن. قد بلغني تعديك على أبي الصقر، وإنما حلم عنك لأنه لم يجد عزاً فيذله، ولا علواً فيضعه، ولا مجداً فيهدمه، فعاف لحمك أن يأكله، وسهك دمك أن يسفكه. فقال له: اسكت، فما تساب اثنان إلا غلب الأُمهما، فقال له أبو العيناء: فلهذا غلبت أبا الصقر بالأمس.

قال أبو العيناء: قلت لمعتوه عندنا مليح في يوم مطر: اخرج معنا إلى المصلى، قال: على أن تعيرني صلعتك أتترس بها من الصبيان.

قال أبو العيناء في رجلين أفسد ما بينهما: تنازعا ثوب العقوق حتى صدعاه صدع الزجاجة ما لها من جابر.

قيل لأبي العيناء: هل ظفرت بصديق موال؟ قال: ولا بعدو مرء.

أخبرنا أبو العيناء قال: كتب رجل إلى صديق له: أما بعد فإني ما اتهمت حسن ظني بك حين توجه إخائي نحوك، ولا تجدد أمني باعتمادك عليك، ولا استدعتني رغبة فيك إلى من سواك، ولا أراني اختياري غيرك عوضاً منك.

عن أبي العيناء عنه يصف صديقاً: لم أر في الناس وفيماً بعد واحد كان أصفى لي مودته، وبذل لي مهجته، كان أطوع لي من كفي، وكنت أذل له من نعله، أتكلم بكلامه فينطق بلساني، إن قلت خيراً أعانني، وإن ملت إلى سيئ ردعني، كان والله إذا قال فعل، وإذا حدث صدق، وإذا أوتمن لم يخن، ضاحك السن، مسفر الوجه، كان إذا غاب فكأنه شاهدي، وإذا غبت عنه فكأنه يراني، لا ينطق لسانه بخلاف ما يضرر جنانه، لا يدري أينما أسر بصاحبه، ولا أينما أصدق مودة بخليطه، أنس ما كنا إذا اجتمعنا، وأوحش ما كنا إذا افترقنا، ما تفرقنا طول صحبتنا إلا يوماً حسبناه حولاً، أغبط ما كنا إذ رمى الهر فلم يشق إذ رمى من كل روحه روحي، ونفسه أعز علي من نفسي، فليته أصابني وأخطأه، وإذا لم يخطئه أصابني معه، فيكون موتنا معاً كما كان عيشنا معاً، مات فمات الوفاء بعده، خاب الرجاء فما ألد بعده طعاماً، ولا أسيغ شراباً، غماً له، واكتئاباً عليه، وشوقاً إليه، فلو كنت أقول الشعر لرثيته آخر الدهر، ولأتعبت بالقوافي الكاتبين، فبليت بعده بمن إذا أحببته أبغضني، وإن وددته عاداني، وإن أقبلت نحوه ولى عني، فهو كالذئب والغراب، ما للذئب يناله الغراب، وما للغراب فالذئب لا يطمع فيه، حسبك به غادراً، تراه عن الوفاء مبطئاً،

وإلى الخيانة مهملجاً.

قال أبو العيناء: قلت لأعرابي: كيف أنت؟ قال: كما يسرك إن كنت صديقاً، وكما يسوءك إن كنت عدواً.

قال أبو العيناء: مودة الكريم غراس، وشكر الشريف أحسن لباس.

بين ابن مكرم وأبي العيناء:

قدم محمد بن مكرم من الجبل؛ فقال له أبو العيناء: ما لك لم تهد إلينا شيئاً؟ فقال: والله ما قدمت إلا في خوف، قال: كذبت، ولو قدمت في خوف خفت روحك. وأكثر عليه أبو العيناء من المهاترة، فقال: إن زدت علي قمت، قال: أراك تتهددنا بالعافية.

إذاً لا يعود إلينا منك شيء:

وكانا يشران يوماً عند صديق لهما، فقال ابن مكرم لصاحب الدار: أقوم إلى الخلاء؛ فقال أبو العيناء: إذاً لا يعود إلينا منك شيء.

قارورة زنبق:

قال أبو العيناء: استودع رجل عند إمام حلتة قارورة زنبق فجحده إياها، وقام يصلي بهم شهر رمضان وقرأ: { قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقَدُونَ } [يوسف: ٧١]، وكررها. فقال الرجل: قارورة زنبق⁽¹⁾.

أي شيء تشتهي؟:

قال أبو العيناء لابنه وهو مريض: أي شيء تشتهي؟ قال: اليتيم.

هل رأيت طالبياً قط حسن الوجه؟:

وقال له المتوكل يوماً: هل رأيت طالبياً قط حسن الوجه؟ قال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت أحداً يسأل أعمى عن هذا! قال: لم تكن ضريراً فيما سلف، وإنما سألتك عما تقدم. قال: نعم! رأيت ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى

(1) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص 78.

ما رأيت أجمل منه، ولا ألطف شمائل. فقال المتوكل: نجده كان مؤجراً وكنت تقود عليه. فقال أبو العيناء: معاذ الله يا أمير المؤمنين أتراني أترك موالي، وأقود على الغرباء! فقال له المتوكل: اسكت يا مأبون. فقال له: مولى القوم منهم.

وكان ولاء أبي العيناء لأبي العباس، فقال المتوكل: قاتله الله! أردت أن أشتفي منه فاشتفى مني(1).

أمان العيناء من الغداء:

دخل أبو العيناء على بعض الرؤساء بكرةً، فاستسقى ماءً؛ فقال له الرجل: أفي هذا الوقت تعطش؟ قال: أصلحك الله، هذا أمان لك من الغداء.

ليس دونهما حجاب:

بات أبو العيناء مع ابن مكرم في بيت، فتأذى بغطيطه، فتحول إلى الصفة فلحق به، فصعد إلى الغرفة فسمعه، فقال: ما أشبه نخيرك إلا بدعوة المظلوم، والريح العقيم، ليس دونهما حجاب(2).

أبو العيناء لا ينسى ما حفظ:

قال أبو الحسين: قدم أبو العيناء البصرة، في سنة نيف وثمانين، بعد الغيبة الطويلة، التي غاب عنها، وخدمته للخلفاء، والوزراء، بسر من رأى. وكان أبو خليفة، إذ ذاك، عالم البصرة، بالحديث، والأخبار، واللغة، والنحو، ومحمد بن جعفر بن بسام، قاضيها، وكان له محل من الأدب، واللغة، والشعر، كبير، وكنت منقطعاً إليه، ملازماً له، أدرس عليه الفقه، فكان أول من اتتمني، ورفع شأنني.

فقال لي: يا أبا الحسين، قد قدم أبو العيناء، وأحب أن أجمع بينه وبين أبي خليفة، وننظر أثرهما.

(1) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص 107.

(2) التتوخي، نشوار المحاضرة، ص 1.

فقلت: علي ذلك. قال: فمضيت، ولقيت أبا العيناء، وعقدت عليه وعداً للحضور، عند ابن بسام، وعلى أبي خليفة، فاجتمعوا.

فأخذ أبو العيناء، في الرواية عن الأصمعي، ومشاهداته مع المتوكل، وابن أبي دؤاد، وفلان، وفلان، والشعراء. قال: فأسكت أبو خليفة، فلم ينجر معه، ولم يلحق به.

قال: فأثنينا على أبي العيناء، وقرظناه.

فقال: يا أيها القاضي، أنا لا أنسى ما كنت أحفظه منذ أربعين سنة⁽¹⁾.

أبو العيناء في دار الواثقي أمير البصرة:

وحدثني، قال: حدثني بعض شيوخنا: إن أبا العيناء، قصد دار الواثقي، وهو الأمير بالبصرة - إذ ذاك -، فأجلس في الدهليز ساعة، إلى أن استؤذن له.

وجرى الحديث، فقال رجل، في حديث اقتضى ذلك، يا أبا العيناء، أنت صائم اليوم؟ فقال: أما في هذه الدار، فنعم.

فكتب صاحب الخبر، إلى الواثقي، بذلك، فأذن له في الحال، واعتذر إليه، من إجلاس البوابين له في الدهليز، وأنكر ذلك عليهم.

لبقي منها ما يقضي عليك..

قال ابن حيان: وأخبرني أبو العيناء، قال: قال رجل لإسماعيل: قد ذهب نصفك.

قال: لو بقيت مني شعرة، لبقي منها ما يقضي عليك.

إن القضاء لا تفتي:

عن أبي العيناء، قال: لما ولي إسماعيل البصرة، دس إليه الأنصاري، - يعني محمد بن عبد الله - إنساناً عن مسألة، فقال: أبقي الله القاضي، رجل

(1) التتوخي، نشوار المحاضرة، ص 144.

قال لامرأته.. فقطع عليه إسماعيل، وقال: قل للذي دسك، إن القضاء لا تفتي.

حملتني عليه أو حملته علي:

حملة بعض الوزراء على دابةٍ، فانتظر علفها، فلما أبطأ عليه قال: أيها الوزير هذه الدابة حملتني عليه أو حملته علي.

أصبحت بلا بغل:

ووعده ابن المدبر بدابةٍ، فلما طالبه قال: أخاف أن أحملك عليه فتقطعني ولا أراك. فقال: عدني أن تضم إليه حماراً لأواظب مقتضياً.

ووعده أن يحمله على بغل، فلفقه في الطريق؛ فقال: كيف أصبحت يا أبا العيناء؟ قال: أصبحت بلا بغل؛ فضحك من قوله، وبعثه إليه (1).

ما هذا الذي أراك تفعله؟:

قال أبو العيناء: رأيت محمد بن مكرم يصلي صلواته كلها ركعتين ركعتين؛ فقلت: يا محمد، ما هذا الذي أراك تفعله؟ قال: عزمت وحياتك على الخروج إلى قم إلى عند أبي.

* * *

أبو دلامة

أبو دلامة

أعلام الظرفاء

أبو دلامة

هو زند بن الجون الاسدي، بالولاء، أبو دلامة، شاعر مطبوع، من أهل الظرف والدعابة، أسود اللون، جسيم وسيم. كان أبوه عبداً لرجل من بني أسد وأعتقه. نشأ في الكوفة ثم انتقل إلى بغداد، أدرك أبو دلامة آخر بني أمية ولم يكن له نباهة في أيامهم، ونبغ في أيام بني العباس، فانقطع إلى أبي العباس السفاح والمنصور والمهدي، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبيون نواذره. وكان يتهم بالزندقة لتهتكه، وأخباره كثيرة متفرقة، وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائة. رحمه الله تعالى، ويقال: إنه عاش إلى أيام هارون الرشيد، وكانت ولاية الرشيد في سنة سبعين ومائة.

ولم يصل لأحد من الشعراء ما وصل لأبي دلامة من المنصور خاصة وكان أبو دلامة فاسد الدين رديء المذهب مرتكبا للمحارم مجاهرا بذلك وكان يعلم هذا منه ويعرف به فيتجافى عنه للطف محله. وكان أول ما حفظ من شعره وأسنيت له الجائزة به قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم وفيها يقول:

(أبا مسلم خوفني القتل فانتحي :: عليك بما خوفني الأسد الورد)

(أبا مسلم ما غير الله نعمة على عبده حتى يغيرها العبد)

وانشدها المنصور في محفل من الناس فقال له احتكم فقال له عشرة آلاف درهم فأمر له بها فلما خلا به قال له أما والله لو تعديتها لقتلتك (1).

مواقف من حياته:

شهدت تسعة عساكر انهزمت كلها:

أمر المهدي أبا دلامة بالخروج نحو عبد الله بن علي، لكي يشهد

(1) أنظر: الشعر والشعراء، 2 / 776 - 778، طبقات ابن المعتز، 54 - 62، الأغاني، 10 / 247 - 273، تاريخ بغداد، 8 / 488 - 493، معجم الأدباء، 11 / 165 - 168، وفيات الأعيان، 2 / 320 - 327، نهاية الأرب، 4 / 36 - 47، البداية والنهاية، 10 / 134 - 135، شذرات الذهب، 1 / 249 - 250، سير أعلام النبلاء، 7 / 375.

الحرب معه، فقال أبو دلامة: أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تحضرني شيئاً من عساكرك، فإني شهدت تسعة عساكر انهزمت كلها، وأخاف أن يكون عسكرك العاشر، فضحك منه وأعفاه.

هب لي كلباً:

قال أبو العيناء: بلغنا عن أبي دلامة أنه دخل على المهدي فأنشده قصيدة، فقال له: سلني حاجتك، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي كلباً، فغضب، وقال: أقول لك سلني حاجتك، فتقول: هب لي كلباً فقال: يا أمير المؤمنين، الحاجة لي أم لك قال بل لك، قال: فإني أسألك أن تهب لي كلب صيد، فأمر له بكلب، فقال: يا أمير المؤمنين، هبني خرجت إلى الصيد أفأعدو على رجلي فأمر له بدابة، فقال: يا أمير المؤمنين، من يقوم عليها فأمر به بغلام، فقال: يا أمير المؤمنين، هبني صدت صيداً وأتيت به المنزل فمن يطبخه فأمر له بجارية، فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء يبيتون في البادية فأمر له بدار، فقال: يا أمير المؤمنين، قد صيرت في عنقي كفاء من عيال، جريب غامراً، قال: أما العامر فقد عرفت، فما الغامر قال: الخراب الذي لا شيء فيه، قال: أنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب بالبدو، ولكني أسأل أمير المؤمنين من ألف جريب جريباً واحداً عامراً، قال: من أين قال: من بيت المال، فقال المهدي: حولوا المال وأعطوه جريباً، قال: يا أمير المؤمنين، إذا حول منه المال صار غامراً، فضحك منه، قال: فهل بقيت لك حاجة قال: نعم، تأذن لي أن أقبل يدك، فقال: ما لك إلى ذلك سبيل، قال: والله ما رددتني عن حاجة أهون علي فقدأ منها(1).

يقولون ما لا يفعلون:

واتفق أن أبا دلامة تأخر عن الحضور بباب أبي جعفر أياماً ثم

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/ 321.

حضر، فأمر بإلزامه القصر، وألزمه بالصلاة في مسجده، ووكل به من يلاحظه في ذلك، فمر به أبو أيوب المورياني وهو إذ ذاك وزير أبي جعفر، فقام إليه أبو دلامة ودفع رقعة مختومة، وقال: هذه ظلامة لأمير المؤمنين، فأوصلها أعزك الله إليه بخاتمها، فأخذها أبو أيوب، فلما دخل على أبي جعفر أوصلها إليه فقرأها فإذا فيها:

ألم تعلموا أن الخليفة لزي :: بمسجده والقصر، ما لي وللقصر
أصلي به الأولى مع العصر دائما :: فويلي من الأولى وويلي من العصر
ووالله ما لي نية في صلاتهم :: ولا البر والإحسان والخير من أمري
وما ضره والله يصلح أمره.. لو أن ذنوب العالمين على ظهري
فضحك المنصور وأمر بإحضاره، فلما حضر قال: هذه قصتك قال:
دفعت إلى أبي أيوب رقعة مختومة أسأل فيها إعفائي من لزوم الذي
أمرني بلزومه، فقال له أبو جعفر: اقرأها، قال: ما أحسن أن أقرأ، وعلم
أنه إن أقر بكتابته لها يحده بذكره الصلاة وتعريضه بها، فلما رآه يحيد
من ذلك، قال له: يا خبيث أما لو أقررت لضربتك الحد، ثم قال: لقد
أعفيتك من لزوم المسجد، فقال أبو دلامة: أو كنت ضاربي يا أمير
المؤمنين لو أقررت قال: نعم، قال: مع قول الله عز وجل: ﴿يَقُولُونَ مَا لَا
يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦]. الشعراء. فضحك منه وأعجب من انتزاعه،
ووصله.

ونصف النصف في صك قديم:

وذكر ابن شبة في كتاب "أخبار البصرة" أن أبا دلامة كتب إلى
سعيد بن دعلج - وكان يومئذ يتولى الأحداث بالبصرة - وأرسلها إليه من
بغداد مع ابن عم له:

إذا جئت الأمير فقل سلام :: عليك ورحمة الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلي غريم :: من الأعراب قبح من غريم
له ألف علي ونصف أخرى :: ونصف النصف في صك قديم

دراهم ما انتفعت بها ولكن ::: وصلت بها شيوخ بني تميم
فسير له ابن دعلج ما طلب (1).

ووفى له بما ضمنه أبو دلامة وزاد عليه:

وكان روح بن حاتم المهلبى والياً على البصرة، فخرج إلى حرب
الجيوش الخراسانية ومعه أبو دلامة، فخرج من صف العدو مبارز قوي،
فخرج إليه جماعة فقتلهم، فتقدم روح إلى أبي دلامة بمبارزته فامتنع
فألزمه فاستغفاه فلم يعفه، فأنشد أو دلامة:

إني أعوذ بروح أن يقدمني ::: إلى القتال فيخزي بي بنو أسد
إن المهلب حب الموت أورثكم ::: ولم أرث أنا حب الموت من أحد
إن الدنو إلى الأعداء أعلمه ::: مما يفرق بين الروح والجسد
فأقسم عليه ليخرجن، وقال: لماذا تأخذ رزق السلطان؟ قال: لأقاتل
عنه، قال: فمالك لا تبرز إلى عدو الله؟ فقال: أيها الأمير، إن خرجت إليه
لحقت بمن مضى، وما الشرط أن أقتل عن السلطان، بل أقاتل عنه،
فحلف روح: لتخرجن إليه فتقتله أو تأسره أو تقتل دون ذلك، فلما رأى
أبو دلامة الجد منه قال: أيها الأمير، تعلم أن هذا أول يوم من أيام الآخرة،
ولابد فيه من الزوادة، فأمر له بذلك، فأخذ رغيفاً مطوياً على دجاجة ولحم
وسطيحة من شراب وشيئاً من نقل، وشهر سيفاً وحمل، وكان تحته فرس
جواد، فأقبل يجول ويلعب بالرمح، وكان مليحاً في الميدان، والفارس
يلاحظه ويطلب منه غرة، حتى إذا وجدها حمل عليه، والغبار كالليل،
فأغمد أبو دلامة سيفه وقال للرجل: لا تعجل واسمع مني - عافاك الله -
كلمات ألقينهن إليك، فإنما أتيتك في مهم، فوقف مقابله وقال: ما المهم قال:
أتعرفني قال: لا، قال: أنا أبو دلامة، قال: قد سمعت بك حياك الله، فكيف
برزت إلي وطمعت في بعد من قتلت من أصحابك فقال: ما خرجت
لأقتلك ولا لأقاتلك، ولكني رأيت لباقتك وشهامتك فاشتبهت أن تكون لي

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2 / 322.

صديقاً، وإني لأدلك على ما هو أحسن من قتالنا، قال: قل على بركة الله تعالى، قال: أراك قد تعبت وأنت بغير شك سغبان ظمآن، قال: كذلك هو، قال: فما علينا من خراسان والعراق، إن معي خبزاً ولحمًا وشراباً ونقلاً كما يتمنى المتمنى، وهذا غدير ماء نمير بالقرب منا، فهلم بنا إليه نصطبح وأترنم لك بشيء من حداء الأعراب، فقال: هذا غاية أمني، فقال: ها أنا أستطرد لك فاتبعني حتى نخرج من حلق الطعان، ففعلاً، وروح يتطلب أبا دلامة فلا يجده، والخراسانية تطلب فارسها فلا تجده، فلما طابت نفس الخراساني قال له أبو دلامة: إن روحاً كما علمت من أبناء الكرام، وحسبك بابن المهلب جواداً، وإنه يبذل لك خلعة فاخرة وفرساً جواداً ومركباً مفضضاً وسيفاً محلى ورمحاً طويلاً وجارية بربرية وينزلك في أكثر العطاء، وهذا خاتمه معي لك بذلك، قال: ويحك! وما أصنع بأهلي وعيالي فقال: استخر الله وسر معي ودع أهلك، فالكل يخلف عليك، فقال: سر بنا على بركة الله، فسارا حتى قدما من وراء العسكر، فهجما على روح، فقال: يا أبا دلامة أين كنت قال: في حاجتك، أما قتل الرجل فما أطقته، وأما سفك دمي فما طببت به نفساً، وأما الرجوع خائباً فلم أقدم عليه، وقد تلطفت وأتيتك به أسير كرمك، وقد بذلت له عنك كبيت وكيت، فقال: ممضى إذا وثق لي؟ قال: بماذا قال: بنقل أهله، قال الرجل: أهلي على بعد ولا يمكنني نقلهم الآن، ولكن امدد يدك أصادحك وأحلف لك متبرعاً بطلاق الزوجة أني لا أخونك، فإن لم أف إذا حلفت بطلاقها لم ينفعك نقلها، قال: صدقت، فحلف له وعاهده، ووفى له بما ضمنه أبو دلامة وزاد عليه، وانقلب معهم الخراساني يقاتل الخراسانية، وينكي فيهم أشد نكاية، وكان أكبر أسباب ظفر روح.

لكم الأرض كلها فأعبروا :::: عبدكم ما احتوى عليه جداره
كان المنصور قد أمر بهدم دور كثيرة وكان من جملة دار أبي
دلامة، فكتب إلى المنصور:

يابن عم النبي دعوة شيخ :: قد دنا هدم داره وبواره
فهو كالماخض التي اعتادها الطل :: ق فقرت وما يقر قراره
لكم الأرض كلها فأعبروا :: عبدكم ما احتوى عليه جداره
فأمر له بدار عوضاً عنها(1).

ينخرق قميصي يا أمير المؤمنين:

ولما قدم المهدي بن المنصور من الري إلى بغداد دخل عليه أبو
دلامة للتسليم والتهنئة بقدمه، فأقبل عليه المهدي، وقال له: كيف أنت يا
أبا دلامة فقال: يا أمير المؤمنين:

إني حلفت لئن رأيتك سالماً :: بقرى العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبي محمد :: ولتملأن دراهماً حجراً
فقال المهدي: أما الأولى فنعم، وأما الثانية فلا، فقال: جعلني الله
فداك! إنهما كلمتان لا يفرق بينهما، فقال: يملأ حجر أبي دلامة دراهم،
فقعده وبسط حجره فملئ دراهم، فقال له: قم الآن يا أبا دلامة، فقال:
ينخرق قميصي يا أمير المؤمنين، حتى أشيل الدراهم وأقوم، فردها إلى
الأكياس ثم قام فدعا له وخرج بها.

كلامك مسموع وشهادتك مقبولة:

ومن أخباره: أنه مرض ولده، فاستدعى طبيباً ليداويه وشرط له جعلاً
معلومًا، فلما برئ قال له: والله ما عندنا شيء نعطيك، ولكن ادع على
فلان اليهودي - وكان ذا مال كثير - بمقدار الجعل، وأنا وولدي نشهد لك
بذلك، فمضى الطبيب إلى القاضي بالكوفة - وكان يومئذ محمد بن عبد
الرحمن بن أبي ليلي، وقيل: عبد الله بن شبرمة - وحمل إليه اليهودي
المذكور، وادعى عليه بذلك المبلغ، فأنكر اليهودي، فقال: لي بينة، وخرج
لإحضارها، فأحضر أبا دلامة ولده، فدخل إلى المجلس، وخاف أبو
دلامة أن يطالبه القاضي بالتزكية فأنشد في الدهليز قبل دخوله بحيث

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/ 324.

يسمع القاضي:

إن الناس غطوني تغطيت عنهم :: وإن بحثوا عني ففيهم مباحث
وإن نيشوا نيشت⁽¹⁾ بأرهم :: ليعلم قوم كيف تلك النبائث
ثم حضرا بين يدي القاضي، وأديا الشهادة، فقال له: كلامك مسموع
وشهادتك مقبولة، ثم غرم المبلغ من عنده وأطلق اليهودي، وما أمكنه أن
يرد شهادتهما خوفاً من لسانه، فجمع بين المصلحتين وتحمل الغرم من
ماله⁽²⁾.

قد خدعانا والله:

ودخل أبو دلامة على المهدي، فقال: يا أمير المؤمنين، ماتت أم دلامة،
وبقيت ليس أحد يعاطيني، فقال: إنا لله، أعطوه ألف درهم يشتري بها أمة
تعاطيه، وكان قد دس أم دلامة على الخيزران، فقالت: يا سيدتي مات أبو
دلامة وبقيت ضائعة، فأمرت لها بألف درهم، فدخل المهدي على
الخيزران، وهو حزين، فقالت: ما بال أمير المؤمنين قال: ماتت أم دلامة،
فقالت: إنما مات أبو دلامة، فقال: قاتل الله أبا دلامة وأم دلامة، قد خدعانا
والله.

وخزيراً إذا وضع العمامة:

وكان أبو عطاء السندي مولى بني أسد قد هجاه بقوله:
ألا أبلغ هديت أبا دلامة :: فليس من الكرام ولا كرامة
إذا لبس العمامة كان قرداً :: وخزيراً إذا وضع العمامة
فلم يتعرض له أبو دلامة⁽³⁾.

وكنا نرجي منحة من إمامنا:

وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعّم

(1) أي: وإن حفروا بئري حفرت.

(2) وفيات الأعيان، 2/ 325.

(3) وفيات الأعيان، 2/ 327.

بعيدان من داخلها وأن يلقوا السيوف في المناطق ويكتبوا على ظهورها: {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: ١٣٧]، فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزي فقال له أبو جعفر ما حالك قال شر حال وجهي في وسطي وسيفي في استي وقد صبغت بالسواد ثيابي ونبذت كتاب الله وراء ظهري فضحك منه وأعفاه وحذره من ذلك وقال له: إياك أن يسمع منك هذا أحد وفي ذلك يقول أبو دلامة:

(وكنّا نرجي منحة من إمامنا :: فجاءت بطول زاده في القلانس)
(تراها على هام الرجال كأنها :: دنان يهود جللت بالبرانس)⁽¹⁾
اجعلوها كلها عامرة:

دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده قصيدته التي أولها
(إن الخليط أجد البين فانتجعوا :: وزودوك خبالا بنس ما صنعوا)
إلى أن قال فيها يهجو زوجته

(لا والذي يا أمير المؤمنين قضى :: لك بالخلافة في أسبابها الرفع)
(ما زلت أخلصها كسبي فتأكله :: دوني ودون عيالي ثم تضطجع)
(شوهاء مشنية في بطنها بجر :: وفي المفاصل من أوصالها فـدع)
(ذكرتها بكتاب الله حرمتنا :: ولم تكن بكتاب الله ترتدع)
(فاخر نظمت ثم قالت وهي مغضبة :: أنت تتلو كتاب الله يا لكع)
(اخرج لتبغ لنا مالا ومزرعة :: كما لجيراننا مال ومزدرع)
(واخذع خليفتنا عنا بمسألة :: إن الخليفة للسؤال ينخدع)

فضحك المنصور وقال أرضوها عنه واكتبوا لها ستمائة جريب عامرة وغامرة فقال: أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف وإن شئت زدتك فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة⁽²⁾.

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2/ 211.

(2) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2/ 212.

ولم أبحث عنك:

وشهد أبو دلامة لجارة له عند ابن أبي ليلى القاضي على أتان نازعها فيه رجل فلما فرغ من الشهادة قال لابن أبي ليلى اسمع ما قلت قبل أن أتيتك ثم اقض بما شئت قال هات فأنشده:

(إن الناس غطوني تغطيت عنهم :: وإن بحثوا عني ففيهم مباحث)
(وإن حفروا بئري حفرت بئارهم :: ليعلم يوما كيف تلك النبأت)
فأقبل القاضي على المرأة وقال: أتبيعيني الأتان، قالت: نعم، قال: بكم قالت بمائة درهم قال ادفعوها إليها ففعلوا وأقبل على الرجل فقال: قد وهبتها لك وقال لأبي دلامة: قد أمضيت شهادتك، ولم أبحث عنك، وابتعت ممن شهدت له ووهدت ملكي لمن رأيت أرضيت قال نعم وانصرف⁽¹⁾.

ولا رباك لقمان الحكيم:

ودخل أبو عطاء السندي يوما إلى أبي دلامة فاحتبسه ودعا بطعام وشراب، فأكلا وشربا، وخرجت إلى أبي دلامة صبية له فحملها على كتفه فبالت عليه فنبذها عن كتفه ثم قال:

(بللت علي لأحييت ثوبي :: فبال عليك شيطان رجيم)
(فما ولدتك مريم أم عيسى :: ولا رباك لقمان الحكيم)

ثم التفت إلى أبي عطاء فقال له: أجزيا أبا عطاء فقال:

(صدقت أبا دلامة لم تلدها :: مطهرة ولا فحل كريم)
(ولكن قد حوقا أم سوء :: إلى لباقا وأب لئيم)

فقال له أبو دلامة: عليك لعنة الله ما حملك على أن بلغت بي هذا كله والله لا أنازلك بيت شعر أبدا، فقال له: أبو عطاء يكون الذي من جهتك أحب إلي ثم غدا أبو دلامة إلى المنصور فأخبره بقصة ابنته؟ وأنشده

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 / 213.

الآبيات ثم اندفع فأنشده بعدها:

(لو كان يقعد فوق الشمس من كرم :: قوم قليل اقعدوا يا آل عباس)
(ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلکم :: إلى السماء فأنتم أكرم الناس)
(وقدموا القائم المنصور رأسکم :: فالعين والأنف والأذنان في الراس)

فاستحسنها وقال بأي شيء تحب أن أعينك على قبج ابنتك هذه؟

فأخرج خريطة (جراب) قد خاطها من الليل وقال: تملأ لي هذه دراهم فوسعت أربعة آلاف درهم (1).

كان لي مكرما وهو الذي جاءني من البدو:

ولما توفي أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس يعزونه فأنشأ أبو دلامة يقول:

(أمسيت بالأنبار يا ابن محمد :: لم تستطع عن عقرها تحويلا)
(ويلى عليك وويل أهلي كلهم :: ويلا وعولا في الحياة طويلا)
(فلتبكين لك السماء بعبرة :: ولتبكين لك الرجال عويلا)
(مات الندى إذ مت يا ابن محمد :: فجعلته لك في التراب عديلا)
(إني سألت الناس بعدك كلهم :: فوجدت أسمع من سألت بخيلا)
(ألشقيوني آخرت بعدك للتي :: تدع العزيز من الرجال ذليلا)
(فلأحلفن يمين حق برة :: بالله ما أعطيت بعدك سولا)

فأبكي الناس قوله، وغضب المنصور غضبا شديدا وقال: لئن سمعتك تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك، فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين إن أبا العباس كان لي مكرما، وهو الذي جاءني من البدو كما جاء الله عز وجل بإخوة يوسف عليه السلام إليه فقل أنت كما قال يوسف: {لَا تَثْرِيْبَ عَلَيكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمُ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: ٩٢]، فسري عن المنصور وقال قد أفلناك يا أبا دلامة فسل حاجتك، فقال: يا أمير المؤمنين قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا، وهو

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2/ 215.

مريض، ولم أقبضها، فقال المنصور ومن يعلم ذلك، قال هؤلاء: وأشار إلى جماعة ممن حضر، فوثب سليمان بن مجالد، وأبو الجهم، فقالا: صدق يا أمير المؤمنين، فنحن نعلم ذلك، فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيظ يا سليمان: ادفع إليه وسيره إلى هذا الطاغية، يعني عبد الله بن علي، وكان قد خرج علي الخليفة المنصور بناحية الشام، وأظهر الخلاف فوثب أبو دلامة فقال: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن أخرج معهم، فإني والله لمشؤوم، فقال له المنصور: امض فإن يمني يغلب شؤمك، فاخرج، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أحب لك أن تجرب ذلك مني على مثل هذا العسكر فإني لا أدري أيهما يغلب يمينك، أو شؤمي، إلا أنني بنفسني أدري وأوثق وأعرف وأطول تجربة، فقال: دعني من هذا، فما لك من الخروج، بد قال فإني أصدقك الآن شهدت والله تسعة عشر عسكري العشرين، فافعل فاستقرغ المنصور ضحكا، وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة (1).

ولا الثناء على دينه بمحمود:

وعزم موسى بن داود على الحج فقال لأبي دلامة: احجج معي ولك عشرة آلاف درهم فقال هاتها فدفعت إليه، فأخذها، وهرب إلى السواد فجعل ينفقها هناك ويشرب الخمر وطلبه موسى، فلم يقدر عليه وخشى فوات الحج فخرج، فلما شارف القادسية، إذا هو بأبي دلامة خارجا من قرية إلى قرية أخرى وهو سكران، فأمر بأخذه، وتقييده وطرحه في المحمل بين يديه ففعل به ذلك فلما سار غير بعيد أقبل أبو دلامة على موسى وناداه بقوله:

(يا أيها الناس قولوا أجمعين معا :: صلى الإله على موسى بن داود)
(كأن ديباجتي خديه من ذهب :: إذا بدا لك في أثوابه السود)

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2/ 215.

(إني أعوذ بـداود وأعظمه :: من أن أكلف حجا يا بن داود)
 (أنبت أن طريق الحج معطشة :: من الشراب وما شربي بتصريد)
 (والله ما في من أجر فطلبه :: ولا الثاء على ديني بمحمود)
 فقال موسى: ألقوه لعنه الله عن المحمل ودعوه ينصرف، فألقى وعاد
 إلى قصفة بالسواد حتى نفدت العشرة آلاف(1).

نار الله المؤصدة التي تطلع على فؤاد الربيع:

ودخل أبو دلامة يوما على المنصور فأنشده:

(رأيتك في المنام كسوت جلدي :: ثيابا جمة وقضيت ديني)
 (وكان بنفسجي الخز فيها :: وساج ناعم فأتى زيني)
 (فصدق يا فدتك النفس رؤيا :: رأتها في المنام كذاك عيني)
 فأمر بذلك، وقال: لا عدت تتحلم علي ثانية، فأجعل حلمك أضغاثا
 ولا أحققه ثم خرج من عنده ومضى، فشرب في بعض الحانات، فسكر
 وانصرف وهو ثمل فلقيه العسس، فأخذ فقيلا له: من أنت وما دينك فقال:
 ديني على دين بني العباس :: ما ختم الطين على القرطاس
 إذا اصطبحت أربعا بالكاس :: فقد أدار شرها براسي

فهل بما قلت لكم من باس

فأخذوه ومضوا، به فخرقوا أثوابه وساجه، وأتوا به إلى المنصور،
 وكان يؤتى بكل من أخذه العسس، فحبسه مع الدجاج في بيت، فلما أفاق
 جعل ينادي غلامه مرة وجاريته مرة، فلا يجيبه أحد وهو مع ذلك يسمع
 صوت الدجاج وزقاء الديكة، فلما أكثر قال له السجان: ما شأنك، قال:
 ويلك من أنت وأين أنا، قال: في الحبس وأنا فلان السجان، قال: ومن
 حبسني، قال أمير المؤمنين: قال: ومن خرق طيلساني، قال: الحرس،
 فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس ففعل فكتب إلى المنصور:
 (أمير المؤمنين فدتك نفسي :: علام حبستي وخرقت ساجي)

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2/ 218.

فدعا به، وقال له: أين حبست يا أبا دلامة، فقال: مع الدجاج، قال: فما كنت تصنع، قال: أقوي معهم حتى أصبحت فضحك، وخلقى سبيله، وأمر له بجائزة فلما خرج قال له الربيع: أنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين، أما سمعت قوله وقد طبخت بنار الله يعني الشمس فأمر برده، ثم قال له: —————

يا خبيث شربت الخمر، قال: لا، قال: أفلم تقل طبخت بنار الله، تعني الشمس، قال: لا والله، ما عنيت إلا نار الله الموصدة التي تطلع على فؤاد الربيع، فضحك، وقال: خذها يا ربيع ولا تعاود التعرض له⁽¹⁾.

له لو حدث الشيطان لأضحكته :

ودخل أبو دلامة على أم سلمة زوج السفاح بعد موته فعزاها به، وبكى فبكت معه، فقالت أم سلمة: لم أجد أحدا أصيب به غيري وغيرك يا أبا دلامة قال: ولا سواء يرحمك الله لك منه ولد، وما ولدت أنا منه قط، فضحكت، ولم تكن ضحكت منذ مات السفاح إلا ذاك الوقت، وقالت له: لو حدث الشيطان لأضحكته(2).

فلا تفرح فقد دنت القيامة:

دخل أبو دلامة على المهدي وعنده جماعة من بني هاشم، فقال المهدي

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2/ 220.

(2) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2/ 220.

له: أنا أعطي الله تعالى عهداً لئن لم تهج واحدا ممن في البيت لأضربن عنقك فنظر إليه القوم وغمزوه بأن عليهم رضاه، قال أبو دلامة: فعلمت أنني وقعت وإنها عزمة من عزماته، ولا بد منها فلم أر أحدا أحق بالهجاء مني، ولا أدعى إلى السلامة من هجائي نفسي فقلت:

(إلا أبليغ لديك يا أبا دلامة :: فليس من الكرام ولا كرامة)
 (إذا لبس العمامة قلت قرداً :: وخنزيراً إذا وضع العمامة)
 (جمعت دمامة وجمعت لؤماً :: كذاك اللؤم تتبعه الدمامة)
 (فإن تك قد أصبت نعيم دنيا :: فلا تفرح فقد دنت القيامة)
 فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه (1).

فهنيئاً لهما كل امرئ يأكل زاده:

وخرج المهدي وعلي بن سليمان إلى الصيد فسمح لهما قطيع من ظباء فأرسلت الكلاب، وأجريت الخيل، فرمى المهدي سهماً فصرع ظبياً، ورمى علي بن سليمان فأصاب كلباً فقتله فقال في ذلك أبو دلامة
 قد رمى المهدي ظيياً :: شك بالسهم فؤاده
 وعلي بن سليمان :: رمى كلباً فصاده

فهنيئاً لهما كل امرئ يأكل زاده

فضحك المهدي حتى كاد يسقط عن سرجه وقال: صدق والله أبو دلامة وأمر له بجائزة ولقب علي بن سليمان بصائد الكلب فعلق به (2).

حمادة بنت عيسى:

وتوفيت حمادة بنت عيسى وحضر المنصور جنازتها فلما وقف على حفرتها قال لأبي دلامة: ما أعددت لهذه الحفرة، قال: بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها فضحك المنصور حتى غلب وستر وجهه.

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 / 221.

(2) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 / 222.

على أن تحبأها لي بين السماء والأرض:

وحدث الهيثم بن عدي قال: حجت الخيزران، فلما خرجت صاح أبو دلامة جعلني الله فداك الله، الله في أمري فقالت: من هذا؟ قالوا: أبو دلامة قالت: اسألوه ما أمره؟ قال: أدنوني من محلها، فأدني، فقال: أيها السيدة إنني شيخ كبير وأجرك في عظيم، قالت: فمه، قال: تهيبين لي جارية من جواريك، تؤنسني وترفق بي وتريحني من عجوز عندي قد أكلت رفدي، وأطالت كدي، فقد عاف جلدي جلدتها وتمنيت بعدها وتشوقت فقدها فضحكت، وقالت: سوف أمر لك بما سألت فلما رجعت تلقاها واذكرها، وخرج معها إلى بغداد، وأقام حتى سئم، ثم دخل على عبيدة حاضنة موسى وهارون فدفع إليها رقعة قد كتبها إلى الخيزران فيها:

(أبلغني سيدي بالله :: يا أم عبيدة)
 (أهـأأ أرشدها الله :: وإن كانت رشيدة)
 (وعدتني قبل أن تخرج :: للحـج وليدة)
 (فتأتيت وأرسلت :: بعشرين قصيدة)
 (كلما أخلقـن أخلفـت :: لها أخرى جديدة)
 (ليس في بيتي لتمهيد :: فراشي من قعيدة)
 (غير عجفاء عجوز :: ساقها مثل القديدة)
 (وجهها أقبح من حوت :: طـري في عصيده)
 (ما حياتي مع أنثى :: مثل عرسي بسعيدة)

فلما قرئت عليها الأبيات ضحكت، واستعادت قوله وجهها أقبح من حوت إلى آخره، وجعلت تضحك، ودعت بجارية من جواريتها فائقة، فقالت لها: خذي كل ما لك في قصري، ففعلت، ثم دعت بخادم وقالت له: سلمها إلى أبي دلامة فانطلق الخادم بها، فلم يصبه في منزله، فقال لامراته: إذا رجعت فادفعيها إليه، وقولي له تقول لك السيدة أحسن صحبة هذه الجارية، فقد آثرتك بها فقالت له: نعم فلما خرج دخل إليها ابنها دلامة، فوجد أمه تبكي، فسألها عن خبرها فأخبرته، وقالت: إن أردت أن

تبرني يوما من الدهر، فاليوم قال: قولي ما شئت فإني أفعله، قالت: تدخل عليها فتعلمها أنك مالکها فتطوؤها وتحرمها عليه، وإلا ذهب بعقله وجفاني وجفاك، ففعل ودخل على الجارية، فوطئها، ووافقها ذلك منه وخرج، ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته: أين الجارية، فقالت: في ذلك البيت، فدخل إليها شيخ محطم ذاهب، فمد يده إليها، وذهب ليقبلها، فقالت له: ما لك، ويلك، تنح عني وإلا لطمتك لكمة دققت بها أنفك، فقال: أبهذا أوصتك السيدة؟ فقالت: إنها بعثت بي إلى فتى من حاله وهيئته كيت وكيت، وقد كان عندي آنفا، ونال مني حاجته، فعلم أنه قد دهى من أم دلامة وابنها، فخرج إلى دلامة فطمه، وتلبب به، وحلف أنه لا يفارقه إلا إلى المهدي، فمضى به متلببا، حتى وقف على باب المهدي، فعرف خبره، وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة، فأمر بإدخاله، فلما دخل قال له: ما لك؟ ويلك، قال: عمل هذا الخبيث ابن الخبيثة ما لم يعمله ولد بأبيه، ولا يرضيني إلا أن تقتله، فقال: ويلك فما فعل بك فأخبره الخبر، فضحك حتى استلقى على قفاه، ثم جلس، فقال له: أبو دلامة أعجبك فعله، فتضحك منه، فقال: علي بالسيف والنطع، فقال له دلامة: قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين فاسمع حجتى، قال: هات، قال: هذا الشيخ أصفق الناس وجهها، وهو يجامع أمي منذ أربعين، ما غضبت، جامعت أنا جاريته مرة واحدة فغضب، وصنع بي ما ترى، فضحك المهدي أشد من ضحكة الأول، ثم قال: دعها له، وأنا أعطيك خيرا منها، قال على: أن تخبأها لي بين السماء والأرض وإلا جامعها والله كما جامع هذه، فتعهد المهدي إلى أبي دلامة ألا يعاود دلامة مثل فعله، وحلف أنه إن عاود قتله، وأمر له بجارية أخرى كما وعده (1).

حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم:

ودخل أبو دلامة على المهدي، وسلمه الوصيف واقف فقال: إني قد

أهديت لك يا أمير المؤمنين مهرا ليس لأحد مثله، فإن رأيت أن تشرفني بقبوله فأمر بإدخاله إليه فخرج أبو دلامة، وأدخل فرسه الذي كان تحته، فإذا هو برزون محطم أعجف هرم، فقال له المهدي: أي شيء ويليك هذا ألم تزعم أنه مهر؟ فقال له: أو ليس هذا سلمة الوصيف بين يديك، قائما تسميه الوصيف، وله ثمانون سنة وهو بعد عندك وصيفا، فإن كان سلمة وصيفا، فهذا مهر فجعل سلمة يشتمه والمهدي يضحك ثم قال لسلمة: ويحك إن لهذه منه أخوات، وإن أتى بمثلها في محفل يفضحك، فقال أبو دلامة: أي والله يا أمير المؤمنين لأفضحنه، فليس في مواليك أحد إلا وقد وصلني غيره، فإني ما شربت له الماء قط، قال: فقد حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك، قال: قد فعلت على ألا يعاود، قال: أفعل ولولا أنني ما أخذت منه شيئا قط ما استعملت معه مثل هذا فمضى سلمة فحملها إليه وسلمه إياها (1).

فتعاونوني عليه حتى أخصيه:

وجاء دلامة يوما إلى أبيه، وهو في محفل من جيرانه وعشيرته جالسا فجلس بين يديه، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم: إن شيخي كما ترون قد كبر سنه ودق عظمه وبنا إلى حياته حاجة شديدة، ولا أزال أشير عليه بالشيء يمسك رمقه ويبقي قوته فيخالفني، وإنني أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لي أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته، فأسعفوني بمسألته معي فقالوا: نفعل وحبا وكرامة، ثم أقبلوا على أبي دلامة بالسننهم، فتناولوه بالعتاب حتى رضي ابنه وهو ساكت، فقال: قولوا لهذا الخبيث فليقل ما يريد فستعلمون أنه لم يأت إلا ببلية فقالوا: قل فقال: إن أبي ما يقتله إلا كثرة الجماع، فتعاونوني عليه حتى أخصيه، فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء، فيكون أصح لجسمه وأطول لعمره، فعجبوا مما أتى به وعلوموا أنه أراد أن يعبت بأبيه ويخجله حتى يشيع ذلك عنه،

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2/ 224.

ويرتفع له به ذكر، فضحكوا منه، ثم قالوا لأبي دلامة: قد سمعت فأجب، قال: قد سمعتهم أنتم وعرفتم أنه لم يأت بخير، قالوا: فما عندك في هذا قال: قد جعلت أمة حكما بيني وبينه، فقوموا بنا إليها، فقاموا بأجمعهم، ودخلوا إليها وقصص أبو دلامة القصة عليها، وقال: قد حكمتك فأقبلت على الجماعة، فقالت: إن ابني هذا أبقاه الله فد نصح أباه وبره، ولم يأل جهدا، وما أنا إلى بقاء، أبيه بأحوج مني إلى بقائه وهذا أمر لم تقع به تجربة ولا جرت بمثله عادة، ولا أشك في معرفته بذلك فليبدأ بنفسه أولا فليخصها، فإذا عوفى ورأينا ذلك قد أثر عليه أثرا محمودا استعمله أيضا، فجعل أبوه يضحك منه، وخجل ابنه دلامة، وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خبتهم جميعا واتفاقهم في ذلك المذهب (1).

أفلت من بلاء عظيم:

دخل أبو دلامة على المهدي فأنشده قصيدته في بغلته المشهورة يهجوها ويذكر معائبها فلما أنشده قوله:

(أتاني خائب يستام مني :: عريقا في الخسارة والضلال)
 (فقال تبيعها قلت ارتبطها :: بحكمك إن بيعي غير غالي)
 (فأقبل ضاحكا نحوي سرورا :: وقال أراك سهلا ذا جمال)
 (هلم إلي يخلوي خداعا :: وما يدري الشقي لمن يخالي)
 (فقلت بأربعين فقال أحسن :: إلي فان مثلك ذو سجال)
 (فأترك خمسة منها لعلمي :: بما فيه يصير من الخبال)

فقال له المهدي: لقد أفلت من بلاء عظيم، فقال: والله يا أمير المؤمنين، لقد مكنت شهرا أتوقع صاحبها أن يردها علي. ثم أنشده:

(فأبدلني بها يا رب طرفا :: يكون جمال مركبه جمالي)

فقال المهدي لصاحب دوابه خيره بين مركبين من الإصطبل، فقال:

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2/ 225.

يا أمير المؤمنين إن كان الاختيار إلي وقعت في شر من البغلة ولكن مره أن يختار لي فقال: اختر له (1).

ما أفلح قط:

وكان أبو العباس السفاح مولعاً بأبي دلامة، لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً لكثرة نوادره وجودة شعره، ومعرفته بأيام الناس وأخبارهم؛ وكان أبو دلامة يهرب منه جهده، ويأتي حانات الخمارين فيشرب مع إخوانه من الشعراء، وكان يحب مجالستهم وتهرب من مؤانستنا؟ فقال: والله يا أمر المؤمنين؛ إن الفضل والشرف والعز والخير كله في الوقوف ببابك ولزوم خدمتك، ولا نكره كما ذكرت، ولا مللتك قط، وإنك لتعلم ذلك، ولكنك قد اعتدت حانات الخمارين، ومجالسة أهل المجون. ثم أمره بلزوم قصره، ووكل به من يمنعه الخروج، وأمره بملازمة المسجد الذي يصلي فيه السفاح، حتى أضرب به فقال:

ألم تعلموا أن الخليفة لزمني :: بمسجده والقصر، مالي وللقصر!
أصلي به الأولى مع العصر آيساً :: فويلي من الأولى وويلي من العصر
ويحبسني عن مجلس أستلذه :: أعلل فيه بالسماع وبالخمر
ووالله مالي نية في صلاته :: ولا البر والإحسان والخير من أمري
وما ضره، والله يصلح أمره :: لو أن ذنوب العالمين على ظهري
فلما بلغت الأبيات السفاح قال: دعوه وشأنه، فوالله ما أفلح قط (2).

ولكن هذا بديع يريد الهروب:

وخرج الربيع إلى أصحاب المنصور وهم بالباب، وقد هرب منه سلم غلامه، فقال لهم: أمير المؤمنين يقرئكم السلام، ويقول لكم: إن غلامي سلماً قد هرب، ومحال أن يهرب أحد من غلماني إلا وقد أسند أمره إلى واحد منكم. فقام أبو دلامة فقال: بلغ عنا أمير المؤمنين كما بلغتنا عنه. قال: نعم! قال:

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 / 227.

(2) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص 43.

أما سلم فلا نعرف خبره ولا قصته، ولكن هذا بديع يريد الهروب، فرأى أمير المؤمنين في أخذه، وكان بينه وبين بديع تباعد، فبلغ ذاك المنصور فهرب⁽¹⁾.

لأنك لا تعرف المدح من الهجاء:

اختصم أبو دلامة مع رجل إلى عافية قاضى أبي جعفر المنصور، فادعى الرجل عليه، فقال له القاضي: ما تقول؟ قال: اسمع أولاً، وأنشأ يقول:

لقد خاصمتني دهاة الرجال :: وخصمتها سنة وإفيه
فما أدحض الله لي حجة :: ولا خيب الله لي قافية
فمن خفت من جوره في القضاء :: فلست أخافك يا عافية
فغضب وقال: لأشكونك إلى أمير المؤمنين. قال أبو دلامة: ولم تشكوني؟ قال: لأنك هجوتني قال: إذن والله يعزلك. قال عافية: ولم يعزلني؟ قال: لأنك لا تعرف المدح من الهجاء.

كيف يكون عجانه في ظهره؟ :

أنشد أبو دلامة أبا جعفر المنصور شعراً استحسنة جداً، فجعل من عنده من ندمائه يظهرون استحسانه، فلما أفرطوا قال أبو دلامة: والله يا أمير المؤمنين إنهم لا يعرفون رديئه من جيده، وإنما يستحسن منه باستحسانك، وإن شئت بينت لك ذلك، قال: افعل. فأنشده:

أنعت مهراً كاملاً في قدره :: مركباً عجانه في ظهره
حتى فرغ منها، فاستحسنوها، فقال أبو دلامة: ألم أخبرك يا أمير المؤمنين؟ قال المنصور: صدق والله أبو دلامة، كيف يكون عجانه في ظهره؟⁽²⁾.

(1) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ص 146.

(2) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص 13.

فر من الموت وفي الموت وقع:

وقال أبو دلامة: كنت مع مروان أيام الضحاك الحروري، فخرج فارس منهم فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم ثان فقتله، ثم ثالث فقتله فانقبض الناس عنه وجعل يدنو ويهدر كالفحل المغتلم. فقال مروان: من يخرج إليه وله عشرة آلاف؟ قال: فلما سمعت عشرة آلاف هانت علي الدنيا وسخوت بنفسي في سبيل عشرة آلاف وبرزت إليه، فإذا عليه فرو قد أصابه المطر فارمعل، ثم أصابته الشمس فاقفعل، وله عينان تتقدان كأنهما جمرتان. فلما رأني فهم الذي أخرجني، فأقبل نحوي وهو يرتجز ويقول:

وخارج أخرجـه حب الطمع :: فر من الموت وفي الموت وقع
“من كان ينوي أهله فلا رجع“

فلما رأيته قنعت رأسي، ووليت هارباً، ومروان يقول: من هذا الفاضح؟ لا يفتكم، فدخلت في غمار الناس (1).

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا:

سأل أبو جعفر المنصور أبا دلامة فقال: أي بيت قالته العرب أشعر؟ قال: بيت يلعب به الصبيان، قال: وما هو ذلك؟ قال: قول الشاعر:
ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا :: وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل (2)
فأراني ميتاً ولا أدري:

ويروى أن أبا دلامة الشاعر دخل على المنصور أو المهدي وعليه جبة فاخرة، فقال: ما هذه الجبة يا أبا دلامة؟ فقال: هذه لا ألبسها إلا في كل موت خليفة، قال: فأراني ميتاً ولا أدري.

حتى تذهب حمياها:

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1/ 74.

(2) المبرد، الفاضل، 15/1.

وقال السفاح لأبي دلامة: الصلاة. فقال: حتى تذهب حمياها. قال: وما حمياها؟ قال: الركعتان الأولتان لأنهما أطول⁽¹⁾.

* * *

(1) المبرد، الفاضل، 16/1.

مزبد المدني

مزبد المدني

أعلام الظرفاء

مزبد المدني

هو أبو إسحاق المدني؛ كان كثير المجون حلو النادرة، له أخبار كثيرة في البخل، فإنه كان مبخلا إلى الغاية.

مواقف من حياته:

ومن يضمن عشائي أصلحك الله؟:

أحضره بعض ولاة المدينة، وقد اتهمه بشرب الخمر، فاستنكهه فلم يجد له رائحة، فقال: قبيوه، فقال: ومن يضمن عشائي أصلحك الله؟

وفيه ولد بيونس بن متى؟:

وقيل له: هل لك في الخروج إلى قباء والعقيق، وأخذ ناحية قبور الشهداء، فإن يومنا كما ترى طيباً؟ فقال: اليوم الأربعاء ولست أبرح من منزلي، قالوا: وما تكره من يوم الأربعاء، وفيه ولد بيونس بن متى؟ فقال: بأبي أنتم وأمي فقد التقمه الحوت، قالوا: فهو اليوم الذي نصر الله فيه النبي صلى الله عليه وسلم على الأحزاب، قال: أجل ولكن بعد: {وَلِذَآءِغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا} [الأحزاب: ١٠].

هذه القيامة على الريق:

وهبت يوماً ريح شديدة فصاح الناس: القيامة، القيامة، فقال مزبد: هذه القيامة على الريق بلا دابة الأرض ولا الدجال ولا يأجوج ومأجوج!!.

أفأحتمي منها؟!:

ومرض مرة فقال له الطبيب: احتم، قال: يا هذا أنا ما أقدر على شيء إلا على الأمانى، أفأحتمي منها؟!

وإنما أنزلت بالحجاز في حزيران وتموز وآب:

ورآه إنسان وهو بالرها وعليه جبة خز فقال: هب لي هذه الجبة، فقال: ما أملك غيرها، فقال الرجل: فإن الله تعالى يقول: {وَيُؤْتِرُوكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: ٩]، فقال: الله أرحم بعباده من أن ينزل

هذه الآية بالرها في كانون، وإنما أنزلت بالحجاز في حذيران وتموز وآب.

إن مات مالك احتاج الناس إليك لأحكامهم:

ونظر يوماً إلى امرأته وهي تصعد في سلم فقال لها: أنت طالق إن صعدت، وأنت طالق إن نزلت، وأنت طالق إن وقفت، فرمت بنفسها إلى الأرض، فقال لها: فذاك أبي وأمي، إن مات مالك احتاج الناس إليك لأحكامهم⁽¹⁾.

لأنه يعلم سوء المنقلب:

واشترى يوماً جارية فسئل عنها فقال: فيها خلتان من خلال الجنة: البرد والسعة.

وقيل له: ما بال حمارك يتبلد إذا رجع إلى منزله؟ قال: لأنه يعلم سوء المنقلب.

وقيل له: أيلود لابن ثمانين ولد؟ قال: نعم، إذا كان له جار ابن ثلاثين سنة.

ليت لنا ما نأكله بالأصابع:

وسمع رجلاً يقول: عن ابن عباس أنه قال: من نوى حبة فعاقه عنها عائق كتبت له، فقال مزبد: ما خرج كرى أرخص من ذا العام. وطلب منه بعض جيرانه ملقعة، فقال: ليت لنا ما نأكله بالأصابع.

اللهم اصلبه:

وصلى يوماً، فلما فرغ دعا، فقالت امرأته: اللهم أشركني في دعائه، فسمعها، فقال: اللهم اصلبني.

أو تعلمني الزمر؟!:

وغضب يوماً عليه بعض الولاة، فأمر الحجام بحلق لحيته، فقال له

(1) محمد بن شاکر الکتبی، فوات الوفيات، 4 / 132.

الحجام: انفخ شذقك حتى أتمكن من الحلاقة، فقال: الوالي أمرك بحلق لحيتي أو تعلمني الزمر؟!

كيف حبك لأبي بكر وعمر؟:

وقيل له: كيف حبك لأبي بكر وعمر؟ فقال: ما ترك الطعام في قلبي حباً لأحد.

تحسن الطبخ:

وباع جارية على أنها تحسن تطبخ، فلم تحسن شيئاً، فطلب إلى القاضي وطولب بأن يحلف على أنها تحسن الطبخ، فاندفع وحلف أيماناً مغلظة أنه دفع إليها مرة جرادة فعملت منها خمسة ألوان من الطعام وفضل منها شريحة للقديد، سوى الجنب فإنها عملته جودابة، فضحك من حضر وبئس الخصم من الوصول إلى شيء منه، فخلى سبيله.

فأين موضعه؟:

وجمع مرة في بيته بين متعاشقين، فتعابنا ساعة، ثم إن العشيق مد يده إليها فقالت: دع هذا ليس هذا موضعه، فسمعها مزبد فقال: يا زانية، فأين موضعه؟ بين الركن والمقام؟ والله ما بنيت هذه الدار إلا للقحاب والقوادين، ولا أستري خشبها إلا من دراهم القمار، فأى موضع أحق بالزنا منها؟

ونوادره كثيرة، عفا الله عنا وعنه وسامحنا بمنه وكرمه(1).

فجأة:

تغدى أعرابي مع مزبد فقال له مزبد: كيف مات أبوك؟ فأخذ يحدثه بحاله وأخذ مزبد يَمْضِي في أكله، فلما فطن الأعرابي قطع الحديث وقال له: أنت كيف مات أبوك؟ فقال فجأة، وأخذ يأكل.

تحتاج القدر إلى لحم:

(1) محمد بن شاعر الكتبي، فوات الوفيات، 4 / 133 - 134.

وقف قومٌ على مزبدٍ وهو يطبخ قدرًا، فأخذ أحدهم قطعة لحم، فأكلها وقال تحتاج القدر إلى خلٍّ وأخذ آخر قطعة لحم فأكلها، وقال: تحتاج القدر إلى أوزار وأخذ آخر قطعة لحم فأكلها وقال: تحتاج القدر إلى ملح فأخذ مزبد قطعة لحم فأكلها وقال تحتاج القدر إلى لحم.

من حفر حفرة سوء وقع فيها:

قيل لمزبد: إن فلانا الحفار قد مات، فقال: أبعد الله من حفر حفرة سوء وقع فيها.

لأنه لا يكون شيء إلا بشيء:

وقال مزبد لرجل: أيسرك أن تعطى ألف درهم، وتسقط من فوق البيت قال: لا، قال مزبد: وددت أنها لي وأسقط من فوق الثريا، فقال له الرجل: ويليكَ فإذا سقطت مت، قال: وما يدريك لعلّي سقطت في التبانين، أو على فرش زبيدة، وقيل له: أيسرك أن تكون هذه الجبة لك، قال: نعم، وأضرب عشرين سوطاً، قالوا: ولم تقول هذا قال لأنه لا يكون شيء إلا بشيء.

ذهب النصف الثاني وبقي ما قبله:

قبل مزبدٌ جاريةً بخراء، فقال لها: أظنك تعشيت بكرش، أو احتشيت صحنًا؛ فقالت: ما أكلت إلا خر دلاً. قال: قد ذهب النصف الثاني وبقي ما قبله.

وديكي بسبعة:

أراد مزبد أضحية فلم يجدها، فأخذ ديكاً ليضحى به، فوجه إليه جيرانه شاءَ شاءَ حتى اجتمع عنده سبع شياه، فقال: ديكي أفضل عند الله من إسحاق لأنه فدي بكبش، وديكي بسبعة (1).

(1) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1424 هـ 2003 م، 421/1.

يا أحمق فلم خبأته:

وقيل لمزبد: يا مزبد ما هذا الذي تحت حضنك فقال: يا أحمق فلم خبأته.

وحلف مزبد فقال: إن كان كذا فعلى أن أصعد السماء في حزيران على سلم من الزبد.

وما يمين مزبد أصلحك الله؟:

وادعى رجل عليه شيئاً، وقدمه إلى القاضي، فأنكره، وسأله إقامة البينة؛ فقال: ليس لي بينة. قال: فأستحلفه لك؟ قال: وما يمين مزبد أصلحك الله؟ فقال مزبد: ابعث، أصلحك الله، إلى ابن أبي ذئب فاستحلفه له.

فتبقى بلا وجه:

وتناول رجلٌ من لحيته شيئاً، فسكت عنه، وكان الرجل قبيح الوجه، فقال: ويحك لم لا تدعو لي؟ فقال: كرهت أن أقول صرف الله عنك السوء فتبقى بلا وجه (1).

اللهم قنعه حرباً:

أردف مزبد رجلاً على بغلة، فلما استوى الرجل قال: اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين فقال مزبد: اللهم قنعه حرباً، يسأل ربه منزلاً مباركاً وهو بين استي واست البغلة.

تحت السرير:

استأذن مزبد على بعض البخلاء وقد أهدى له تين في أول أوانه، فلما أحس بدخوله تناول الطبق، فوضعه تحت السرير، وبقيت يده معلقة، ثم قال لمزبد: ما جاء بك في هذا الوقت؟ قال: يا سيدي؛ مررت الساعة بباب فلان، فسمعت جاريته تقرأ لحناً ما سمعت قط أحسن منه، فلما علمت من شدة محبتك للقرآن، وسماعك للألحان، حفظته، وجئته لأقرأه عليك. قال:

(1) الأبي، نشر الدر، 3/ 156.

فهااته، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم. " والزيتون وطور سنين ". فقال: ويلك أين التين؟ قال: تحت السرير (1).

فأما العصا فإنها سهل:

قيل له - وقد اشترى حماراً -: ما في هذا الحمار عيبٌ إلا أنه ناقص النفس بليدٌ يحتاج إلى عصا. قال: إنما كنت أغتم لو كان يحتاج إلى طعام. فأما العصا فإنها سهل.

خندق على وجهك لا يتحول رأساً:

ونظر إلى رجل كثير شعر الوجه؛ فقال له: يا هذا؛ خندق على وجهك لا يتحول رأساً. وقال له رجلٌ: من شجك ها هنا؟ - وأشار إلى استه - قال: الذي شج أمك في موضعين.

وسكر يوماً؛ فقالت امرأته: أسأل الله أن يبغض النبيذ إليك. فقال: واللحم إليك (2).

يلقى الله منذ ثلاثين سنة بصحيفته مملوءةً خمرًا:

وقال مرة: إن أخي يلقي الله منذ ثلاثين سنة بصحيفته مملوءةً خمرًا، وهو لم يشرب منها جرعة؛ ف قيل له: كيف ذلك؟ قال: هو منذ ثلاثين سنة يبكر كل يوم في طلب الخمر، فلا يجد إليها سبيلاً لفاخته، وعزمه صحيح على شربها لو وجدها.

إن كان الذي في بطنك لا يشبهني:

وقالت امرأة مزبد - وكانت حبلى، ونظرت إلى قبح وجهه -: الويل لي إن كان الذي في بطني يشبهك؛ فقال لها: الويل لي إن كان الذي في بطنك لا يشبهني.

في هذا الموضع ريبة:

(1) الآبي، نثر الدر، 3/ 157.

(2) الآبي، نثر الدر، 3/ 158.

لقي مزبد رجلاً، فقال له: من أنت؟ قال: قرشي والحمد لله؛ فقال مزبد: الحمد لله في هذا الموضع ربية (1).

أربعة أشهرٍ وعشراً:

وقيل له: ما ورثت أختك عن زوجها؟ فقال: أربعة أشهرٍ وعشراً. أسلم نصراني، وفعل في الإسلام فعلاً قبيحاً؛ فقال مزبد: انظروا إلى هذا الذي أسخط المسيح، ولم يرض محمداً.

كيف أمرتك؟:

دفع مرةً إلى والي مكة، وقد أفطر في شهر رمضان؛ فقال له الوالي: يا عدو الله؛ تفطر في شهر رمضان قال: أنت أمرتني بذلك. قال: هذا شرٌّ، كيف أمرتك؟ ويليكَ. قال: حدثت عن ابن عباس: أنه من صام يوم عرفة عدل صومه سنة، وقد صمته. فضحك الوالي وخلاه.

وهو على تلك الحال:

واعتل علةً، وأشرف منها إلى الهلاك، وأراد أن يوصي، فدعا بعض أوليائه، وأوصى إليه، وكتب كتاب وصيته، وأمر للوصي بشيء؛ فلما فرغ من الكتابة رآه مزبدٌ وهو يترب الكتاب؛ فقال وهو على تلك الحال: نعم يا سيدي، فهو أقضى للحاجة.

ومن أين يعلم السمك وهو ميتٌ أني أكلت الجبن؟:

ونظر إلى قوم مكتفين يذهب بهم إلى السجن؛ فقال: ما قصة هؤلاء؟ قالوا: خيرٌ. قال: إن كان خيراً فاكثفوني معهم.

وجلس يوماً يأكل السمك والجبن وقال: ومن أين يعلم السمك وهو ميتٌ أني أكلت الجبن؟

والله ما لك عندي ذنبٌ غيره:

(1) الآبي، نثر الدر، 3/ 159.

وخاصم مرة امرأته، وأراد أن يطلقها؛ فقالت له: اذكر طول الصحبة.
قال: والله ما لك عندي ذنبٌ غيره.
يذهب شتمنا ضياعاً:

وحضر مع محبوبٍ مجلساً فعربدوا عليهما، فقام محبوبٌ يقاتلهم،
ويفتري عليهم؛ فقال مزبد: اسكت يا أخي، فإن القوم سكارى، يذهب
شتمنا ضياعاً.

رأى شيئاً فزع منه:

ومرت به امرأةٌ قبيحة؛ فقال: لعنها الله، كأن وجهها وجه إنسان رأى
شيئاً فزع منه⁽¹⁾.

انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحى إليك:

وكانت بالمدينة جارية، يقال لها: بصبص، مغنية، يجتمع الأشراف
عند مولاهما لسماع غنائها، فاجتمع عندها يوماً محمد بن عيسى الجعفري،
وعبد الله بن مصعب الزبيرى، في جماعة من أشراف المدينة، فتذاكروا
أمر مزبد وبخله، فقالت بصبص: أنا أخذ لكم منه درهماً. فقال لها
مولاهما: أنت حرّةٌ إن لم أشتري لك مخنقةً بمائة دينار إن فعلت هذا،
واشتري له مع ذلك ثوب وشي بمائة دينار، وأجعل لك مجلساً بالعقيق
أنحر فيه بدنة لم تتركب، ولم تقتب. فقالت: جئ به، وأرفع الغيرة عني.
قال: أنت حرّةٌ إن منعتك منه ولو رأيته قد رفع رجلك، ولا عاديته على
ذلك إن حصلت منه الدرهم؛ فقال عبد الله بن مصعب: أنا لكم به زعيم.
قال عبد الله: فصليت الغداة في مسجد المدينة، فإذا أنا به قد أقبل؛ فقلت:
أبا إسحاق؛ أما تحب أن ترى بصبص؟ فقال: بلى والله. امرأته طالق إن
لم يكن الله ساخطاً على في أمرها فقد جفتني، وإلا فأنا أسأله منذ سنة أن
ألقاها فلا تجيبني.

(1) الأبي، نشر الدر، 3/ 160.

فقلت: إذا صليت العصر فأنتي هاهنا. فقال: امرأته طالق إن برح يومه من هاهنا إلى العصر. قال: فتصرفت في حوائجي حتى فاتت العصر، فدخلت المسجد فوجدته؛ فأخذت بيده فأتيتهما به، وأكل القوم، وشربوا حتى صليت العتمة، ثم تساكروا وتناوموا. فأقبلت بصبص على مزبد؛ فقالت له: يا أبا إسحاق؛ كأني - والله - في نفسك تشتهي أن أغنيك الساعة:

لقد رحلوا الجمال لي :: ربوا منا فلم يئلوا.
قال لها: امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ. فغنته إياه فقالت له: أي أبا إسحاق كأني بك تشتهي أن أقوم من مجلسي فأجلس إلى جنبك، فتدخل يدك في جلبابي، فتقرص عكني قرصاتٍ وأغنيك: قالت وأبثنتها وجدي فبحت، به فقال لها: امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام. وما تكسبه الأنفس غداً، وبأي أرض تموت. قالت: نعم؛ فقام فجلس إلى جنبها وأدخل يده في جلبابها، وقرصها وغنت له. ثم قالت: برح الخفاء. أنا أعلم أنك تشتهي أن تقبلني شوق التين، وأغنيك هزجاً:

غلاماً حسن الدل... كغصن ألبان أنا أبصرت بالليل قد أصبح مسقياً من الطل فقال: امرأته طالق إن لك تكوني نبيهةً مرسلهً فقبلها، وغنته.
ثم قالت: يا أبا إسحاق رأيت قط أنذل من هؤلاء؟ يدعونك، ويخرجوني إليك، ولا يشترون لنا ريحانا بدرهم، هلم درهماً نشترى به ريحاناً. فوثب وصاح: واحرباه أي زانية أخطأت استك الحفرة، انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحى إليك، ووثب من عندها وجلس ناحية. فحطط بها القوم، وعلموا أن حيلتها لم تنفذ عليه، وعادوا لمجلسهم، وخرج مزبد من عندهم فلم يعد إليهم (1).

(1) الأبي، نشر الدر، 3/ 161 - 162.

ومن يسره دخول النار بالمجان:

وقيل لمزبد: أيسرك أن يكون عندك قنينة شراب؟ فقال: يا بن أم؛ ومن يسره دخول النار بالمجان.

وجد المنخل في موضعه، فصار في موضعه:

وضعت امرأته المنخل على فراشه، فجاء، فلما رآه تعلق بوتره كان في داره، فقالت امرأته: ما هذا؟ قال: وجدت المنخل في موضعي، فصرت في موضعه.

وحكموا لأنفسهم بما أرادوا:

قالت امرأة مزبد لجارة لها: يا أختي؛ كيف صار الرجل يتزوج بأربعة، ويملك من الإماء ما يشاء، والمرأة لا تتزوج إلا واحداً ولا تستبد بمملوك؟ قالت لها: يا حبيبتي؛ قوم الأنبياء منهم، والخلفاء منهم، والقضاة منهم، والشرط منهم، تحكموا فينا كما شاءوا، وحكموا لأنفسهم بما أرادوا.

رهنٌ تقل رغبة التجار فيه:

قال مزبد: جاءني صديقٌ لي فقال: ألا تسأل فلاناً التاجر أن يقرضني مائة درهم؟ على رهن وثيق، فإني بضيق، منقطع بي، فقلت: إنه يفعل، فما الرهن؟ قال: اكتب له على نفسي بالقذف، وأشهد العدول، فإن وفيته حقه وقت المحل، وإلا استعدى علي، وأقام البينة بأني قذفته، حتى أحد حد القاذف. فقلت له: يا أخي؛ هذا رهنٌ تقل رغبة التجار فيه.

حنطة أو شعير:

كان لمزبد غلام، وكان إذا بعثه في حاجة جعل بينه وبينه علامة، أن يكون إذا رجع سأله فقال: حنطة أو شعير، فإذا كان عاد بالحاجة قال: حنطة، وإن لم يقض الحاجة قال: شعير. فبعثه يوماً في حاجة، فلما انصرف قال: حنطة أم شعير؟ قال: خرا. قال: ويلك وكيف ذلك؟ قال:

لأنهم لم يقضوا الحاجة، وضربوني وشتموك⁽¹⁾.

أن يكون معك عصاً أو حجر:

وسمع رجلاً يقول لآخر: إذا استقبلك الكلب في الليل فاقراً:

{يَمْعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} [الرحمن: ٣٣]، فقال مزبد: الوجه عندي أن يكون معك عصاً أو حجر، فليس كل كلب يحفظ القرآن.

نقتنع باجتماع الأرجل إلى وقت حلول الأجل:

ووقع بينه وبين امرأته خصومة، فحلف: لا يجتمع رأسي ورأسك على مخدة سنة؛ فلما طال ذلك عليه قال: نقتنع باجتماع الأرجل إلى وقت حلول الأجل.

ما أيسر ما طلبت:

واشتهت امرأته فالو ذجاً (حلو)، فقال: ما أيسر ما طلبت عندنا من آله أربعة أشياء، وبقي شيئان تحتالين فيهما أنت. قال: وما الذي عندنا؟ قال: الطنجير والإسطام والنار والماء. وبقي: الدهن والعسل؛ وهما عليك⁽²⁾.

فواحدة من الله والأخرى منك:

وقالت له امرأته في خصومة بينهما: يا مفلس، يا قرنان. قال: إن صدقت فواحدة من الله والأخرى منك.

بخرها بمثلثة:

وشكا إليه رجل سوء خلق امرأته؛ فقال له مزبد: بخرها بمثلثة. يريد: الطلاق.

نصف سنة فيه شهر رمضان:

(1) الأبي، نثر الدر، 3/ 163.

(2) الأبي، نثر الدر، 3/ 164.

وقيل له: صوم يوم عرفة يعدل صوم سنة. فصام إلى الظهر ثم أفطر فقال: يكفيني صوم نصف سنة فيه شهر رمضان.

إذاً لا يبقى في الدنيا كلبٌ إلا جاءه وعضه:

قيل لمزبد وقد عضه كلب: إن أردت أن يسكن فأطعم الكلب اللحم، فقال: إذاً لا يبقى في الدنيا كلبٌ إلا جاءني وعضني.

فيقع فيما أكره:

وقيل له: إن النبي عليه السلام قال: 'إذا رأيت شخصاً بالليل فكن بالإقدام عليه أولى منه عليك' قال: أخاف أن يكون قد سمع هذا الحديث فأقع فيما أكره.

إذا أصبحنا جاءت:

كان مزبدٌ الغاضري في حبس محمد بن عبد الله - رضي الله عنه - حين ظهر بالمدينة؛ فلما أمسى في الليلة التي قتل محمدٌ في صبيحتها وجعل يقول: معنا علم الغيب. قيل: وكيف ذاك؟ قال: ما في الدنيا قومٌ يعرفون آجالهم غيرنا، إذا أصبحنا جاءت (1).

مالك وملك؟:

كان لامرأة مزبد صديقٌ فضربها وشجها، ودخل مزبد فرأها على تلك الحال؛ فقال لها: مالك وملك؟ قالت: سقطت من الدرجة، فقال لها مزبد: أنت طالق، إنك لو سقطت من بنات نعش ما أصابك هذا كله.

بالطلاق:

زفت إلى مزبد امرأةٌ قبيحة، فجاءت إليه الماشطة، فقالت: بأي شيء تصبجها؟ قال: بالطلاق.

لأن معك آلة الخمر:

(1) الأبي، نشر الدر، 3/ 165.

دفع مزبد إلى والي المدينة ومعه زق، فأمر بضربه، فقال: لم تضربني؟ قال: لأن معك آلة الخمر. قال: وأنت - أعزك الله - معك آلة الزنى.

كلما أذنب ذنباً:

دفع مزبد في ذنب إلى الوالي؛ فضربه خمسة وسبعين سوطاً، ثم ظهر له براءة ساحته، فأحضره واستحله، فقال مزبد: لا، ولكن تقاصني بها كلما أذنبت ذنباً، فكان يسحب له كل مرة إذا أذنب بعشرة ومثلها إلى أن نفدت وفضل عليه شيء⁽¹⁾.

لم لا تكون كفلان؟:

وقيل له: لم لا تكون كفلان؟ يعنون رجلاً موسراً فقال: بأبي أنتم كيف أشبه بمن يضطر فيشمت وأعطس فألطم.

لا تصلي:

قال مزبد لسقاية مدنية كان يألّفها وهو في جماعة: ادخلي صبي لنا ماء، قالت: وحياتك لا أصلي.

أو ما ترون ظلمة الحلال فيه؟:

نظروا إلى مزبد المدني وبين يديه نبيذ أسود، فقالوا له: ما لون نبيذك هذا؟ قال: أو ما ترون ظلمة الحلال فيه؟⁽²⁾.

أحسن حالاً من أحيائنا:

مر مزبد بقبر عليه أثواب فاخرة فقال: موتاهم - يشهد الله - أحسن حالاً من أحيائنا.

ما اشتريته لك بهذا السعر:

اشتهدت امرأة مزبد عليه اللحم فسأل عن سعره فقيل: المد بدرهم،

(1) الأبي، نثر الدر، 3/ 166.

(2) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 207/1.

فقال: والله لو كان الدجال ينزل المدينة وأنت مآخض بالمسيح ما اشتريته لك بهذا السعر (1).

ما يعرف من الحكم شيئاً:

أضاف مزبد رجلاً فأطال المكث، فقال ليلة لامرأته: كيف نعمل برحيل هذا عنا؟ قالت: أخاصمك ونحتكم إليه، ففعلاً، فقالت المرأة: بالذي يبارك لك في ركوبك غداً لما حكمت بيننا بالحق، قال: والذي يبارك لي مقامي عندكم هذه السنة ما أعرف من الحكم شيئاً (2).

أصلحك الله كيف خلقها؟:

وشهد مزبد المدني عند قاضي المدينة بشهادة، وكان ذلك القاضي مفرط الحدة، شديد البطش، سريع الطيرة، فقال له القاضي: أعلي تجترئ وعندي تشهد؟ جراً برجليه وألقياه تحت البغلة! فلما أمعنا به نحو البغلة، التفت إلى القاضي فقال: أصلحك الله كيف خلقها؟ فضحك وخلي سبيله (3).

هو صائم:

دعي مزبد إلى طعام فقال: أنا صائم، فلما قدم الفالودج زحف إليه، فقيل له في ذلك، فقال: أنا على رد يوم أقدر مني على ترك هذا (4).

وما هذه القصة؟:

قيل: كان مزبد يسبق الحاج في كل عام، وكان يجيء في ثلاث على رجليه. قال: فتزوج بامرأة ولها صديق صراف يختلف إليها في غيبة مزبد.

وتأخر مزبد عن وقته الذي كان يجيء فيه لعل أصابته. فظن الصراف أنه قد مات أو أصابته بلية، فأقام في ذلك اليوم عندها ولم يبرح.

(1) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 189/1.

(2) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 255/1.

(3) الجاحظ، البغال، 5/1.

(4) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 109/3.

وجاء مزبد ودخل على الوالي وخبره بقصة الحاج وانصرف إلى منزله، فدنا من الباب واطلع من كوة فيه، وإذا الصراف مع امرأته في البيت، فلم يستفتح الباب، ومضى من وقته إلى المخنثين - وكانوا لا يعصونه - فدعاهم فأجابوه، فوقف على بابه وأمرهم فضربوا بطبولهم وزمروا، واجتمع الناس فأقبلوا يقولون له: يا أبا إسحاق ما حدث؟ فيقول: تزوجت امرأتي. فيقولون: ما بك؟ وما هذه القصة؟ فلا يخبرهم باسمه. قال: فجاء الصراف إلى الباب فقال: يا أبا إسحاق، فأذن لي أن أكلمك. فدنا فقال: اتق الله من الفضيحة وأنا أفندي. قال: فافعل، واردد علي نفقتها ومهرها نقداً فقد أفسدتها. قال: وكم ذاك؟ قال: خمسون ديناراً. قال فكتب رقعة إلى غلامه في السوق، ودفعها إليه من تحت الباب، فانطلق وأخذ الخمسين، وقال: أي بني أُمي، تفرقوا فإنما كنت أمزح. فتفرقوا، ودخل فقنع رأسه وأدخله سراً وقعد على امرأته وسكت(1).

لم تحلف بالطلاق:

وقيل لمزبد: وقد أدام الحلف بالطلاق وجلس مرة على الطريق يبول وهو سكران: ويحك! لم تحلف بالطلاق؟ فقال: قوموا معي حتى أريكم امرأتي، فإن كانت تصلح إلا للحنث فاصنعوا بي ما شئتم(2).
أيما أحسن:

اشترى مزبد لامرأته ثوباً، فقالت: هو خشن، فقال: أيما أحسن هو أم الطلاق؟ فرضيت به(3).

* * *

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 219/3.

(2) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 224/3.

(3) الزمخشري، ربيع الأبرار، 393/1.

أبو الحارث جمين

أبو الحارث جمين

أعلام الظرفاء

أبو الحارث جمين

هو أبو الحارث جمين المدني كان بطالا مضحكا يأتي بالنوادر، أبو الحارث البصري (1).

مواقف من حياته:

ثلاث سمكات:

مر أبو الحارث جمين يوما بسوق المدينة فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف بيده ثلاث سمكات قد شق أجوافها وقد خرج شحمها فبكى أبو الحارث ثم قال: تعس الذي يقول:

(فلم تَرِ عيني مثلَ سِرْبِ رأيته :: خرجن علينا من زُقاقِ ابنِ واقف) وانتكس ولا انجبر والله لهذه السمكات الثلاث أحسن من السرب الذي وصف.

الملائكة والذباب :

قيل له من يحضر مائدة محمد بن يحيى؟ فقال: أكرم الخلق والأمهم يعني الملائكة والذباب، ونظر يوماً في المرأة فاستقبح وجهه، فقال: الحمد لله الذي لا يحمد على المكروه غيره.

لما سقطت من بين أصابعه حبة واحدة:

ثم قيل لأبي الحارث جمين: كيف وجه محمد بن يحيى على غدائه قال: أما عيناه فعينا مجنون وقال فيه أيضاً: لو كان في كفه كر خردل ثم لعب الأبلَى بالأكرة لما سقطت من بين أصابعه حبة واحدة وقيل له أيضاً: فكيف سخاؤه على الخبز خاصة قال: والله لو ألقى إليه من الطعام بقدر ما

(1) أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي، المؤلف والمختلف، تحقيق الدكتور موفق

ابن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلام، 48/3، ابن الجراح، الورقة، 9/1.

إذا حبس نزف السحاب ما تجافي عن الرغيف(1).

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه:

ونظر أبو الحارث جمين الى برذون يستقي عليه الماء فقال: وما المرء إلا حيث يجعل نفسه لو أن هذا البرذون هملج ما فعل به هذا (2).

فمن يحضرها؟:

وسأل يحيى بن خالد أبا الحارث جمين عن طعام رجل، فقال: أما مائدته فمقيبة، وأما صحافه فمخروطة من حب الخردل، وبين الرغيف والرغيف فترة نبي. قال: فمن يحضرها؟ قال: الكرام الكاتبون. قال: فمن يأكل معه؟ قال: الذباب.

لم يفعل:

قال له يحيى: وأرى ثوبك مخرقاً فلا يكسوك ثوباً وأنت في صحبتته؟ قال: جعلت فداك، والله لو ملك بيتاً من بغداد إلى الكوفة مملوءاً إبراً وفي كل إبرة منه خيط، وجاءه يعقوب يسأله إبرة منها يخييط بها قميص يوسف ابنه الذي قد من دبر، ومعه جبريل وميكائيل يضمنان عنده لم يفعل.

فوضع بين أيدينا مائدة:

وقال أبو الحارث جمين: دخلت على فلان، فوضع بين أيدينا مائدة كنا أشوق إلى الطعام إذا رفعت منا إليه إذا وضعت(3).

ولكنه لقيه بعضا:

قيل له: ما تقول في فالودجة؟ قال: والله لو أن موسى لقي فرعون بفالودجة لآمن، ولكنه لقيه بعضا.

(1) الجاحظ، البخلاء، 1/ 131.

(2) أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب - بيروت، الطبعة الأولى، 1968م، 1/ 265.

(3) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 2/ 460.

على رائحة شواء:

وقيل له يوماً: ما تشتهي؟ فقال: نشيش مقلاة بين غليان قدر على رائحة شواء.

اسقه ماءً ليس فيه باذنجان:

وكان لا يأكل الباذنجان، فكأيده محمد بن يحيى واتخذ ألوانه كلها باذنجان، فجعل كلما قدم لون فرا به الباذنجان فيه توقاه، وأقبل على الخبز والملح؛ فلما عطش قال: يا غلام، اسقني ماءً ليس فيه باذنجان.

فلما رجعنا كنت أول الموكب:

وقيل له: سبقت ببرذونك هذا قط؟ قال: بلى، مرة، دخلنا زقاقاً لا منفذ له وكنت آخر القوم؛ فلما رجعنا كنت أول الموكب.

هو ذا تحتاج إلى اللحم:

ودخل جماعة من إخوانه، فاشتروا عليه لوناً يطبخه لهم، فدنا أحدهم من القدر ليذوقها، وأخرج قطعة لحم وأكلها، وفعل كل واحد منهم كذلك؛ فقال أحدهم: هي طيبة لكنها تحتاج إلى شيء لا أدري ما هو؟ فقال أبو الحارث: أنا أعلم، هو ذا تحتاج إلى اللحم (1).

تركه وانصرف:

وحكى دعبلاً قال: بلغني أن أبا الحارث قد مرض، فاغتمت لظرفه وملاحظته، فصرت إليه فوجدته في عافية؛ فحمدت الله وسألته عن خبره؟ فقال: دخلت الحمام وأكلت السمك، ودعوت المزين فأخذ شعري، فظن الفالج لما رأى المزين عندي أنني احتجمت؛ فلما علم أنه أخذ من شعري تركني وانصرف.

روح العجة:

(1) الأبي، نشر الدر، 3/ 167.

وأكل يوماً مع الرؤساء بيضاً مسلوقاً، فجعل يأكل الصفرة، وينحى البياض إلى بين يدي أبي الحارث عبثاً به؛ فقال لما طال ذلك عليه - وتنفس الصعداء -: سقى الله روح العجة فما أعد لها.

ما تشتهي؟:

ودخل إلى بعض أصدقائه يوماً، فقال له: ما تشتهي؟ قال: أما اليوم فماء حصرم، وأما غداً فهريسة. قال بعضهم: دخلت على جمين أعوده من مرض به، فقلت له: ما تشتهي؟ فقال: أعين الرقباء، وألسن الوشاة، وأكباد الحساد.

فرددت عليه بالضمير:

مر رجلٌ به فسلم عليه وأشار له بسوطه، فلم يرد عليه؛ فقيل له في ذلك؛ فقال: سلم علي بالإيماء، فرددت عليه بالضمير.

وما بين الرغيف والرغيف مد البصر:

وسأله يحيى بن خالد عن مائدة ابنه؛ فقال: أما مائدته فمن نصف كسرة، وأما صحافه فمنقورةٌ من قشور حب الخشخاش، وما بين الرغيف والرغيف مد البصر، وما بين اللون واللون فترة ما بين نبي ونبي. قال: فمن يحضرها: قال: خلقٌ كثيرٌ من الكرام الكاتبين. قال: فيأكل معه أحد؟ قال: نعم، الذباب. قال: سوءة له هذا، فشوبك مخرق وأنت بفنائهم يطور، فلو رقت قميصك. قال: ما أقدر على إبرة، قال: هو يعطيك، قال: والله لو ملك بيتاً من بغداد إلى النوبة مملوءاً إبراً في كل إبرة خيطٌ، ثم جاء جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يسألونه إبرة يخيظ بها يوسف قميصه الذي قد من دبر ما أعطاهم(1).

والرغيفان من عند العصفور:

وجاء إليه رجل يسأله شيئاً، وقال: قد قطع علي الطريق. قال: فعلي

(1) الآبي، نثر الدر، 3 / 168.

إذا قطع الطريق. ولقيه رجلٌ - وقد تعلق به غلام - فقال: يا أبا الحارث؛ من هذا؟ قال: هذا غلام الفضل بن يحيى، كنت عند مولى هذا أمس، فقدم إلينا مائدةً عليها رغيفان عملا من نصف خشخاشة سوى ما ذهب عند النحت، وثريدة في سكرجة، وخبيصة في مسعط، فتنفست الصعداء فدخل الخوان وما عليه في أنفي، فمولاه يطالبني بالقيمة. قال الرجل: استغفر الله مما تقول، فأومأ إلى غلامٍ معه وقال: غلامي هذا حرٌّ إن لم يكن لو أن عصفوراً وقع على بعض قشور ذلك الخشخاش الذي عمل منه ذلك، لما رضي مولى هذا حتى يؤتى بذلك العصفور مشوياً بين رغيفين، والرغيفان من عند العصفور. ثم قال: وعلي المشي إلى بيت الله الحرام، إذا عطشت بالقرعاء رجعت إلى دجلت العوراء حتى أشرب منها ماءً، لو أن مولى هذا كلف في يوم قانظٍ شديد الحر أن يصعد على سلم من زبد، حتى يلتقط كواكب بنات نعش كوكباً كوكباً؛ لكان ذلك أسهل عليه من أن يشم شام تلك الثريدة، أو يذوق ذائق تلك الخبيصة. فقال الرجل: عليك لعنة الله، وعلي إن سمعت منك شيئاً بعد هذا.

في بطنه قبراً:

وقيل له وهو على نبيذ: كل من هذا الطين السيراني فإنه نظيف؛ فقال: ومتى بلغك أن في بطني قبراً.

وكيف علمت ذلك؟:

وقيل له: ما تغديت عند فلان؟ قال: لا، ولكني مررت ببابه وهو يتغدى. قيل: وكيف علمت ذلك؟ قال: رأيت غلمانة ببابه، بأيديهم قسي البنادق يرمون الطير في الهواء.

أعرى من الحجر الأسود:

وقال له الرشيد: لم لا تدخل إلى محمد بن يحيى؟ فقال: أدخل والله يا أمير المؤمنين، وأنا أكسى من الكعبة، وأخرج وأنا أعرى من الحجر

في بيتك وأنت تبغضها:

وقيل لجمين - وقد رأى سوداء قبيحة -: ابتلاك الله بحبها قال: يا بغيض لو ابتلاني بحبها كانت عندي من الحور العين، ولكن ابتلاك الله بأن تكون في بيتك وأنت تبغضها.

غمزه الآخر بحاجبه:

وقال له الرشيد: اللوزينج أم الفالوذج؟ قال: أحضرهما يا أمير المؤمنين، فأحضرا، فجعل يأكل من هذا وهذا، ثم قال: يا أمير المؤمنين، كلما أردت أن أشهد لأحدهما غمزني الآخر بحاجبه.

كيف تغني جبتك؟:

قال بصري لجمين: يأتينا المد والجزر في كل يوم مرتين. قال: يستأذن الله في هلاككم مرتين، وكأن قد. ورأوا عليه جبة قد تخرقت، فقيل له: ما هذا؟ قال: غنت بقول الشاعر: لقا فؤادي، لقد بلى جزعاً.. قطعه البين والهوى قطعاً ثم قيل له بعد ذلك: كيف تغني جبتك؟ فقال: قد كانت تغني، وقد صارت تلطم في مآتم.

لبزق كل منهما في وجه صاحبه:

ودعته امرأة كان يحبها، فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام، فلما طال ذلك به قال: جعلني الله فداءك، لا أسمع للغداء ذكراً. قالت له: أما تستحيي أما في وجهي ما يشغلك عن هذا؟ قال: جعلني الله فداءك، لو أن جميلاً وبشينة قعدا ساعة لا يأكلان شيئاً لبزق كل منهما في وجه صاحبه(2).

حطي شراعك:

كانت عنان جارية الناطفي عندها جماعة من الشعراء وجمين معهم،

(1) الأبي، نثر الدر، 3/ 169.

(2) الأبي، نثر الدر، 3/ 170.

وحضرت المائدة فأرادوا أن يوسعوا لعنان فقالت: مكانكم! فلو مددت يدي إلى البصرة لنلتها، ومدت يدها فضرطت، فقال جمين: حطي شراعك حتى نتعشى بواسط(1).

وما كان معهم انفلت:

خرج أبو الحارث جمين مع عيسى بن موسى إلى الصيد فخلا به، فانحنى عيسى على قربوس سرجه فأفلت منه ضرطة، فالتفت إلى أبي الحارث جمين فقال: إنك ستجعل هذه نادرة تأكل بها، وإنني أعطي الله عهداً لأن بلغني أنك حدثت بهذا لأضربن عنقك، فقال جمين: سبحان الله أيها الأمير، وأنا لا أدري بمن أتعبت وحديث من أتحدث؟! فلما انصرفا قام إليهما بعض أهل الدار فقال: كم اصطدتم؟ قال: فبادر أبو الحارث فقال: لا والله ما اصطدنا شيئاً، وما كان معنا انفلت، وأشار إلى نحو بطن عيسى(2).

لو صدئ القمر لجلي بأقل من هذا:

رفع وكيل لبعض بني هاشم في حساب ثلاثمائة درهم في جلاء مرآة، فقال جمين: والله لو صدئ القمر لجلي بأقل من هذا(3).

مرحباً بك يا نصف القرآن:

وقال جمين لرجل: أبو من؟ قال: أبو عبد الكريم الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه. فقال: مرحباً بك يا نصف القرآن، ارتفع(4).

بأي شيء تشبه البدر؟:

قيل لأبي الحارث جمين: بأي شيء تشبه البدر؟ قال: بالحلوي إذا

(1) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 128/1.

(2) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 345/1.

(3) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 500/1.

(4) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 365/1.

سقيت لبن حليب طري بزبد مروي، وسكر طبرزد.

وكان يقول: ما أشبه البيض على الموائد إلا بالكواكب في الأفق⁽¹⁾.

لما أعارهم:

حدث رزين العروضي قال: رأيت غلاماً لمحمد بن يحيى بن خالد يضرب أبا الحارث جُمينَ بباب الجسر، فقلت له في ذلك. فقال: شتم مولاي فقلت له: لم فعلت؟ فقال: والله لو أن يوسف الصديق جاء إلى مولاه ومعه النبيون والملائكة شفعاء في أن يعيرهم إبرة يخيّط بها ما قُدَّ من قميصه، وله طور مملوء إبراً ترسل المهر في أوله فلا يبلغ إلى آخره حتى يقرح، لما أعارهم. قال رزين: فقلت:

لو أرك أنبت لك واحتشت :: إبراً يضيقُ بها فضاء المنزل
وأناك يوسفُ يستعيرك إبرة :: ليخيّطَ قدَّ قميصه لم تفعل⁽²⁾

* * *

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 103/3.

(2) ابن الجراح، الورقة، 10/1.

الجماز البصري

الجماز البصري

أعلام الظرفاء

الجماز البصري

هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء ابن ريان، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو ابن أخت سلم الخاسر؛ قال السمعاني في حقه: كان خبيث اللسان حسن النادرة، وكان أكبر من أبي نواس، وقيل في نسبه غير ذلك، والجماز لقبه، وهو بفتح الجيم وتشديد الميم وبعد الألف زاي وإنما قيل له الجماز لأنه كان يركب الجمازة وهي من آلات المحامل وكان صاحب نوادر، شاعر، روى عن أبي عبيدة معمر بن المثنى.

كان الجماز رجلاً من موالى قريش يكنى أبا عبد الله من ساكني البصرة، وكان شاعراً مقلداً مفوهاً مطبوعاً⁽¹⁾.

مواقف من حياته:

مرقكم لا يغير الثياب:

كان الجماز ببغداد عند يحيى بن عبد الرحمن البختكاني، وممر الغلام بصحفة، فقطرت على ثوبه قطرة من المرق، فاغتم الجماز، فقال له: يا أبا عبد الله لا تغتم فلك عندنا قميص بل أقمصه. فقال: ما اغتممت أصلحك الله فإن مرقكم لا يغير الثياب - أي ليس فيه دسم - فضحك البختكاني حتى استلقى على قفاه.

هات علامة:

كان الجماز يوماً مع قثم بن جعفر الهاشمي، فوقف عليه رجل يستسقي، فقال له قثم: ادخل الدهليز، وأمر الغلمان أن يسقوه، فدخل غلام ثم خرج مسرعاً. فقال له قثم: أين الماء؟ قال الغلام: قالت لي أمك: هات

(1) أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية - بيروت، 126/3، ابن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار - مراجعة علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية - بيروت - لبنان، 346/1.

علامة. فضحك القوم وأخرج قثم.

فضحكت الجارية:

اجتمع الجماز مع قوم يشربون، وعندهم جارية تغني. فبينما هي في بعض أمرها إذ ضرطت ضرطة خفيفة لم يسمعها إلا الجماز، وكان قريب المجلس منها. فظنت الجارية أنه لم يسمعها، وأن أحداً غيره لم يسمعها إن كان هو لم يسمعها، فقالت له لما صار القدح إليه: أي صوت تحب أن أغني لك يا أبا عبد الله؟ فقال: غني: “يا ريح ما تصنعين بالدمن” فضحكت الجارية وقالت: اكنم علي.

ومما اخترناه من شعره قوله:

إن جعلتك يا محمد مفزعاً :: في حاجتي وتشوقي لقضائها
من كان في هدم المكارم شغله :: فمحمد متشاغل ببنائها

وفي الحسين بن الضحاك وأبي جعفر أخيه:

أبو علي وأبو جعفر :: أصغر من يُعرف بالعسكر
كلاهما طفل بلا داية :: غُلل باللوز وبالسكر

وله في جفاء كان من جعفر بن القاسم قوله:

قد جفاني الأمير حين تقراً :: فتقرأت مكرهاً لرضائه
ما طلاق لمكره بطلاق :: قد رواه الأمير عن فقهاءه
والذي انطوى عليه المعاصي :: علم الله ذاك لي من سمائه

ما هم اليوم إلا عصبه:

جلس الجماز يأكل على مائدة بين يدي جعفر بن القاسم وجعفر يأكل على مائدة أخرى مع قوم فكانت الصحفة ترفع من بين يدي جعفر وتوضع بين يدي الجماز ومن معه فربما جاء قليل، وربما لم يجيء شيء، فقال الجماز: أصلح الله الأمير ما نحن اليوم إلا عصبه، ربما فضل لنا بعض المال وربما أخذه أهل السهام فلا يبقى لنا شيء.

دع عنك هذا:

وقال يموت: كان أبى والجماز يمشيان وأنا خلفهما بالعشي فمررنا بإمام وهو ينتظر من يمر عليه فيصلى معه، فلما رأنا أقام الصلاة مبادراً، فقال له الجماز: دع عنك هذا، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى أن يتلقى الجلب.

حتى ولاك جزيرة القروء:

حدث عافية بن شبيب التميمي الحليس قال: كنا نكثر الحديث للمتوكل عن الجماز، وهو محمد بن عمرو بن حماد مولى بنى تيم وسلم الخاسر خاله فأحب أن يراه فكتب في حمله، فلما دخل عليه لم يقع الموقع الذي أردناه فتعصبنا كلنا له، فقال له المتوكل: تكلم، فإنى أريد أن أستبرئك فقال الجماز: بحیضة أو حیضتين، فضحك الجماعة منه، فقال له الفتح: قد كلمت أمير المؤمنين فيك، حتى ولاك جزيرة القروء، فقال الجماز: أفلست في السمع والطاعة أصلحك الله فحصر الفتح وسكت، فأمر له المتوكل بعشرة آلاف درهم فأخذها وانحدر فمات فرحاً بها (1).

الجماز يدعو إلى التوبة فيرفض:

دخل الجماز على أبي نواس يعوده في مرضة لم يمّت منها، فقال: اتق الله فكم من محصنة قذفت وسيئة اقترفت وكبيرة ارتكبت، وأنت على هذه الحال فتب، فقال: صدقت يا أبا عبد الله ولا أفعل، قال: ولم؟ قال: مخافة أن تكون توبتي على يد مثلك يا عاض بظر أمه، فقال له: إن برأت والعياذ بالله كنت لك بالصاع الأوفر، فقال: يا أبا عبد الله والله، ما أشركت بالله طرفة عين قط.

قم أخرجنا مما أدخلتنا فيه:

خرج الناس بالبصرة ينظرون هلال شهر رمضان، فرأه رجلٌ واحد

(1) أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية - بيروت، 126/3، ابن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار - مراجعة علي محمد الجاوي، المكتبة العلمية - بيروت - لبنان، 346/1.

منهم، ولم يزل يومئٍ إليه حتى رآه معه غيره وعائنه، فلما كان هلال
الفطر جاز الجمار صاحب النوادر إلى ذلك الرجل، فدق عليه الباب فقال:
قم أخرجنا مما أدخلتنا فيه.

قال الجمار: أصبحت في يوم مطير، فقالت لي امرأتي: أي شيء
يطيب في هذا اليوم فقلت لها: الطلاق، فسكتت عني.
ما أعجب أسباب الرزق!:

ودخل يوماً بعض إخوانه وقد طبخ وغرف الطعام، فقال الداخل:
سبحان الله ما أعجب أسباب الرزق! فقال الجمار: الحرمان والله أعجب
منه، امرأته طالق إن ذقته.

وكان يلزم الجامع ثم انقطع عنه:

هـجـرت المسـجد :: الجامع والهجر له ريبه
فـلا نـافـلـةً تـأتـي :: ولا تشهد مكتوبه
وأخـبـارك تـأتـينـا :: على الأعلام منصوبه
فإن زدت من الغيبة :: زدناك من الغيبة⁽¹⁾
وأدخل على المتوكل فأنشده:

ليس لي ذنب إلى الشيعة إلا خلتين :: حب عثمان بن عفان وحب العمرين
وهاجى عبد الصمد بن المعذل. وللجاحظ فيه:

نسب الجمار مقصور إليه متهاه :: يتحامي من أبي الجمار عنه كاتباه
ليس يدري من أبو الجمار إلا من رآه
فأجابه الجمار:

يا فتى نفسه إلى الكفر تائقه :: لك في الفضل والتزهد والنسك سابقه
فدع الكفر جانباً يا دعي الزنادقة
والرزق عند الله لا ينفد:

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 71/7.

حدث العباس بن عبيد الله بن سنان بن عبد الملك بن مسمع قال: كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية ينشد في الزهد فقال قثم: يا عباس أطلب الساعة الجماز حيث كان ولك عندي سبق فطلبته فوجدته عند ركن دار جعفر بن سليمان، فقلت: أجب الأمير فقام معي حتى أتى قثم فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية ينشده فأنشأ الجماز يقول:

(ما أقبح التزهيد من واعظٍ :: يُزهد الناس ولا يزهدُ)
(لو كان في تزيهده صادقاً :: أضحى وأمسى بيته المسجدُ)
(يخاف أن تنفد أرزاقه :: والرزق عند الله لا ينفدُ)⁽¹⁾

تهاجي الجماز والمعدل :

حدث إبراهيم بن عقبة اليشكري قال: قال لي عبد الصمد بن المعدل: هجاني الجماز ببيتين سخيئين فسارا في أفواه الناس حتى لم يبق خاص ولا عام إلا رواهما وهما:

(ابنُ المعدل مَنْ هو :: ومَنْ أبواه المعدلُ)
(سألتُ وهباًنَ عنه :: فقالَ بيضٌ مُحَوَّلُ)

فقلت: أنا فيه شعرا تركته يتحاجى فيه كل أحد فما رواه أحد ولا فكر فيه وذلك لضعته وهو قولي:

(نَسَبُ الجَمَّازِ مَقْصُورٌ :: إِلَيْهِ مُنْتَهَاهُ)
(يَتَرَاءَى نَسَبُ النَّاسِ :: فَمَا يَخْفَى سِوَاهُ)
(يَتَحَاجَى فِي أَبِي الجَمَّازِ :: مَنْ هُوَ كَاتِبَاهُ)
(لَيْسَ يَذَرِي مَنْ أَبُو الجَمَّازِ :: إِلَّا مَنْ يَمْرَاهُ)⁽²⁾

أمه تشهد الفجور والسرور:

كتب الجماز إلى صديق له يسأله شيئاً فأجابه إن كنت كاذباً، فجعلك الله صادقاً، وإن كنت ملوماً فجعلك الله معذوراً، وكانت أمه نائحة فجمعه

(1) الأصفهاني، الأغاني، 13 / 261.

(2) الأصفهاني، الأغاني، 13 / 263.

المكتب بالبصرة وابن مغنية فتشاجرا يوماً وتشاتما، فزناه ابن المغنية، فضحك الجمار وقال للصبيان: أنصفوني يا قوم من هذا إن أمه تشهد الفجور والسرور وأمي تشهد الأتراح والأحزان فانظروا أيتهما أحق بالزنى.

وبلغ كلامه المؤدب فتعجب منه وقال: إن عاش هذا خرج باقعة في الظرف والنوادر فكان كذلك.

من الظرف رد الظرف:

وقال الجمار مرة: شممت من دار فلان رائحة طيبة أطيب من رائحة العروس الحسناء في أنف العاشق الشيق وأهدى إلى صديق له فاكهة على طبق وكتب إليه: من الظرف رد الظرف(1).

لو كُنْتُ ذَا عِرْضٍ هَجَوْنَاكَ:

ضاف رجلٌ قبيح الوجه دَنِيَّ الحَسْبِ أبا عبد الله الجمار، فجعل يَفْخِرُ ببيته؟ فقال له الجمار: اسكت، ففَبَاحَ وجهك، ودُنُوَّ حَسْبِكَ يَمْنَعَانَا مِنْ سَبِّكَ؛ فَأَبَى إِلَّا التَّمَادِي فِي اللُّجَاجِ، فقال له الجمار:

لَوْ كُنْتُ ذَا عِرْضٍ هَجَوْنَاكَ :: أَوْ حَسَنَ الْوَجْهِ عَاتَبْنَاكَ
جَمَعْتَ مَرْفُوحَكَ لَوْماً فَلِلَّ :: فُبِحَ أَوْ اللَّؤْمُ تَرَكْنَاكَ(2)

كلب في قحف خنزير:

ومر طفيلي على الجمار، فقال له: ما تأكل؟ قال: كلب في قحف خنزير(3).

إن أنكر الأصوات لصوت الحمير!:

وقال الجمار لأبي العيناء: كيف ترى غنائي؟ فقال: كما قال الله تعالى:

(1) أبو منصور عبد الملك عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، دار الغصون - بيروت / لبنان - 1405 هـ - 1985 م، 132/1.

(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 485/1.

(3) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 471/2.

{إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصَوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان: ١٩].

حفظه لك أن يقيقك فيه:

وسمع الجماز محبوساً يقول: اللهم احفظني. فقال: قل اللهم ضيعني فإن حفظه لك أن يقيقك فيه.

ما أرى في وجهك منها شيئاً:

قال الجماز لأبي شراعة: كيف تجدك؟ قال: أجدني وقيداً من دماميل قد ظهرت في أقبح المواضع. قال: ما أرى في وجهك منها شيئاً.

صلى رجل صلاةً خفيفة؛ فقال له الجماز: لو رآك العجاج لسر بك. قال: ولم؟ قال: لأن صلاتك رجز (1).

فقد نزلت ملائكة الليل:

ودخل مع صاحب له إلى قثم بن جعفر؛ فتغديا عنده وتحدثا، وأراد قثم أن ي قيل، فدعا غلاماً رومياً وضيقاً فقال: قف هاهنا، فقال الجماز لصاحبه: قم بنا نخرج. قال: إلى أين؟ قال: إلى السماء، فقد نزلت ملائكة الليل.

أتدري لم جاؤوك؟

رأى رجل من ولد عبيد الله بن زياد (وكان قد قتل الحسين بن علي) كأن النبي وعلياً وفاطمة - عليهم السلام - في داره، فصام وتصدق تبركاً برؤياه، وقصها والجماز حاضر؛ فقال: أتدري لم جاؤوك؟ قال: لا. قال: جاءوك ليشكروك على فعل أبيك بابنهم، فانخذل الرجل وود أنه لم يذكر من ذلك شيئاً.

لأنه يشتري الخبز:

وذكر يوماً رجلاً قام من عنده؛ فقال: كأن قيامه من عندنا سقوط جمر من الشتاء. وقيل له: ما بقي من شهوتك للنساء؟ فقال: القيادة

عليهن. قال الجماز: رأيت عجوزاً تسأل وتقول: من تصدق علينا بكسرةٍ أطعمه الله من طيبات باب الطاق. وقال: قلت لرجلٍ: قد زاد سعر الدقيق؛ فقال: أنا لا أبالي لأنني أشتري الخبز.

العنزروت:

قال: قلت لرجلٍ رمد العين: بأي شيءٍ تداوي عينيك؟ فقال: بالقرآن ودعاء الوالدة. قلت: اجعل معهما شيئاً يقال له: العنزروت (1).

نعم بترك العودة:

ودخل عليه ثقیلاً يعودہ من مرضه؛ فلما نهض قال للجماز: تأمر بشيء. قال: نعم بترك العودة.

وقال لرجلٍ: ما أخرج عناقاً؟ فقال: أصابتني خلفه؛ فقال الجماز: ما أبين الخلفة في وجهك.

أن يصح ما اشتھوا:

شهى جعفر بن سليمان أصحابه؛ فتشهى كل إنسان منهم جنساً من الطعام؛ فقال للجماز: فأنت ما تشتهي؟ قال: أن يصح ما اشتھوا.

كم غسلةٍ يصير القميص زراً:

ودفع إلى القصار قميصاً ليغسله، فضيقه، ورد عليه قميصاً صغيراً؛ فقال: ليس هذا قميصي، قال: بلى هو قميصك ولكنه توزى وفي كل غسلةٍ يتقلص ويقصر؛ فقال الجماز: فأحب أن تعرفني في كم غسلةٍ يصير القميص زراً؟.

وقيل له: لم تقصر شعرك؟ قال: أليس قليل ما أجيء به كثيراً في جنب ما يعطونني.

رغيفاً مقصوص الجناح:

وحضر دعوة بعض الناس فجعل رب البيت يدخل ويخرج ويقول: عندنا سكباجة تطير طيراناً، عندنا قلية تطير في السماء، فلما طال ذلك على الجماز وجاع قال: يا سيدي، أحب أن تخرج لي رغيفاً مقصوص الجناح إلى أن تقع ألوانك الطيارات.

قال الجماز: اجتزت ببابٍ وصاحب الدار يقاتل امرأته ويقول: لأحملن عليك اليوم مائة رجل، فجلس شيخ كان خلفي على الباب ينتظر؛ فلما طال دق الباب وقال: تريد أن تحمل على هذه القحبة أو انصرف. وما تستحسن منه؟

رأى رجلٌ الهلال فاستحسنه؛ فقال له الجماز: وما تستحسن منه؟ فو الله إن فيه لخصالاً لو كانت إحداهن في الحمار لرد بها؛ قال: وما هي؟ قال: إنه يدخل الروازن، ويمنع من الدبيب، ويدل على اللصوص، ويسخن من الماء، ويخرق الكتان، ويورث الزكام، ويحل الدين، ويزهم اللحم⁽¹⁾.

انظر في المرأة:

وقال رجل للجماز: أشتهي أن أرى الشيطان. فقال له: انظر في المرأة فإنك تراه.

على أنك لا تلفح أبداً:

وقال له رجل: يا أبا عبد الله؛ أنا رجل جامد العين، لو مات أبي ما بكيت، ولكن إذا سمعت الصوت الفريح من الوجه المليح، بكيت حتى أغمي علي. فعلام يدل هذا؟ قال: على أنك لا تلفح أبداً.

فخذها في ورقة:

وقال له رجل: أردت أن أحمل أُمي إلى بغداد، فخفت إن حملتها في البحر أن تعطب، وإن حملتها في البر أن تتعب. قال: فخذها في ورقة.

(1) الآبي، نثر الدر، 3/ 174.

دعوت أناساً ولم أدع نمل:

وكان الجماز لا يدخل بيته أكثر من ثلاثة لضيقة، فدعا ثلاثة من إخوانه فأتاه ستة، ووقف كل واحد على رجل وقرعوا الباب، فنظر من كوة أسفل الباب وكذلك كان يعمل فعد ستة أرجل، فلما فتح الباب دخلوا؛ فقال: اخرجوا عني فإنني دعوت أناساً ولم أدع نملاً.

فإذا قرأت كتابي، فأحرقوا القرطاس:

وقال الجماز: أراد أن يكتب أبو نواس إلى إخوان له دعاهم، فلم يجد قرطاساً يكتب فيه! فكتب في رأس غلام له أصلع ما أراد، ثم قال فيه: فإذا قرأت كتابي، فأحرقوا القرطاس. فضحكوا منه وتركوا للغلام جلدة رأسه(1).

* * *

(1) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبار الظراف والمتماجين، ص 84.

بديح مولى عبد الله بن جعفر

بديح مولى
عبد الله بن جعفر

أعلام الظرفاء

بديح مولى عبد الله بن جعفر

من أهل المدينة وهو مولى عبد الله بن جعفر وكان يقال له بديح المليح

وله صنعة يسيرة وإنما كان يغني أغاني غيره مثل سائب خاثر ونشيط وطويس وهذه الطبقة وله رواية في الحديث عن عبد الله بن جعفر.

مواقف من حياته:

وحشاً من وحوش رقيق الحجاز:

وعن بديح قال: أن عبد الله بن جعفر قدم على عبد الملك بن مروان، فأهدى له رقيقاً من رقيق المدينة، فقال له يحيى بن الحكم وهو عنده: إنما أهديت لأمير المؤمنين وحشاً من وحوش رقيق الحجاز، وقال له يحيى بن الحكم: ما فعلت خبثة؟ يعني المدينة؟ قال له عبد الله بن جعفر: سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وسميتها خبثة! وفي رواية: خالفت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما أرى الله سيخالف بينك وبينه.

إن الكريم طروب:

قال أبو الحسن المدائني: دخل عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه بديح، فقال لبديح: هات بعض هناتك، فغنى، فحرك معاوية رجليه، فقال ابن جعفر: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: إن الكريم طروب.

فعليك ضعف ذلك:

قال الأصمعي: قال الوليد بن عبد الملك لبديح: خذ بنا في المنى، فوالله لأغلبنك قال: لا تغلبني.

قال: بلى لأفعلن، قال: فستعلم، قال الوليد: فإني أبدأ أتمنى ضعف ما تتمنى أنت فهات، قال: فإني أتمنى سبعين كفلاً من العذاب، ويلعني الله

لعناً كبيراً، فعليك ضعف ذلك.

قال: غلبتني قبحك الله.

فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحص برجليه:

دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وفنون الأسمار، قال: لست صاحب هزل والجد مع علتي أحجى بي، قال: وما علتك يا أمير المؤمنين، قال: هاج بي عرق النساء في ليلتي هذه، فبلغ مني قال: فإن بديحاً مولاي أرقى الناس منه، فوجه إليه عبد الملك، فلما مضى الرسول سقط في يدي ابن جعفر وقال: كذبة قبيحة عند خليفة، فما كان بأسرع من أن طلع بديح، فقال: كيف رقيتك من عرق النساء، قال: أرقى الخلق يا أمير المؤمنين.

قال: فسري عن عبد الله لأن بديحاً كان صاحب فكاهة، يعرف بها فمد رجله فتفل عليها ورقاها مراراً، فقال عبد الملك: الله أكبر وجدت والله خفاً يا غلام ادع فلانة حتى تكتب الرقية، فإننا لا نأمن هيجها بالليل فلا نذعر بديحاً:

فلما جاءت الجارية: قال بديح يا أمير المؤمنين امرأته الطلاق إن كتبتها حتى تعجل حبائي فأمر له بأربعة آلاف درهم، فلما صار المال بين يديه قال وامرأته الطلاق إن كتبتها أو يصير المال إلى منزلي، فأمر به فحمل إلى منزله فلما أحرزه، قال يا أمير المؤمنين امرأته الطلاق إن كنت قرأت على رجلك إلا أبيات نصيب:

أَلَا إِنَّ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةَ أَصْبَحَتْ :: عَلَى النَّأْيِ مَنِّي ذَنْبَ غَيْرِي تَنْقِمُ

وذكر الأبيات وزاد فيها

(وما زلت أستصفي لك الودَّ أبغي :: مُحَاسَنَةً حَتَّى كَأَنِّي مُجْرِمٌ)

قال: ويلك ما تقول قال امرأته الطلاق إن كان رقاك إلا بما قال:

قال: فاكتمها علي، قال: وكيف ذاك، وقد سارت بها البرد إلى أخيك، بمصر فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحص برجليه(1).

فهذا سحرُكُ النسوانَ :: قد خبرتني خبرك
قال بديح: حبت بنت محمد بن الأشعث الكندية فراسلها عمر بن أبي ربيعة ووعدها أن يتلقاها مساء الغد وجعل الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً ينشد إن لم يمكنه أن يرسل رسولا يعلمها بمصيره إلى المكان الذي وعدها، قال: بديح فلم أشعر به إلا متلثماً، فقال لي: يا بديح انت بنت محمد بن الأشعث فأخبرها أنني قد جئت لموعدها، فأبيت أن أذهب، وقلت: مثلي لا يعين على مثل هذا فغيب بغلته عني ثم جاءني فقال لي: قد أضللت بغلتي فانشدها لي في زقاق الحاج فذهبت فنشدتها فخرجت علي بنت محمد بن الأشعث وقد فهمت الآية فأنته لموعده وذلك قوله

(وآية ذلك أن تسمعي :: إذا جئكم ناشداً ينشد)
قال بديح فلما رأيتها مقبلة عرفت أنه قد خدعني بنشدي البغلة فقلت له يا عمر لقد صدقت التي قالت لك

(فهذا سحرُكُ النسوانَ :: قد خبرتني خبرك)
قد سحرتني وأنا رجل فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهن وما آمنك بعدها ولو دخلت الطواف ظننت أنك دخلته لبلية قال وحدثها بحديثي فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك مني(2).

لعل البرق ذاك يعودُ ناراً:

قدم بديح الكوفة فغنى بها دهرًا وأصاب مالا كثيراً، ثم خرج إلى البصرة ثم أتى الأهواز ثم عاد إلى البصرة فصحب ابن مفرغ في سفينة حتى إذا كان في نهر معقل تغنى وهو لا يعرف ابن مفرغ بقوله
(سَمَا برقُ الجُمَانَةِ فاستَطارا :: لعلَّ البرقَ ذاك يعودُ ناراً)

(1) الأصفهاني، الأغاني، 15/ 197.

(2) الأصفهاني، الأغاني، 15/ 170.

قال فطرب ابن مفرغ، وقال يا ملاح كر بنا إلى الأهواز، فكر وهو يغنيه ثم كر راجعا إلى البصرة وكروا معه وهو يعيد هذا الصوت قال ووصل ابن مفرغ بديحا وكساه.

لعل الشيخ ضنين بجاريته:

قال عيسى بن يزيد بن دأب: أرسل يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن جعفر في جارية له مغنية يسأله إياها؛ فقال له الرسول: أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك: فلانة أعجبتني، ويجب أن تؤثرني بها. فقال عبد الله لمولاه بديح المليح: أي شيء يقول؟ قال بديح: فقلت له: يقرئك السلام، ويقول: كيف بت في ليلتك هذه؟ قال: يقول عبد الله: أقرئ أمير المؤمنين السلام. فقال الرسول: ليس كذا قلت ولا له جئت. فقال: ما يقول؟ فأعاد بديح القول، فخرج الرسول مغضباً ومضى إلى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين، بلغت ابن جعفر رسالتك وإلى جنبه رجل مجنون ما أدري كيف هو يحكي خلاف ما أقول! فقال: علي به، قال بديح: فذهب بي إليه، فلما دخلت شتمني وقال: تصنع هذا؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، متى عهدك بابن جعفر لا يسمع؟ إقباله علي يسألني منع لجاريته وبخل بها؛ كره أن يعطيها لمحبتة لها فما ذنبي أنا؟! فضحك يزيد وقال: لعل الشيخ ضنين بجاريته(1).

* * *

عبد الله بن أبي عتيق

عبد الله بن أبي عتيق

أعلام الظرفاء

عبد الله بن أبي عتيق

هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة بن عثمان بن عامر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي المدني.

وأمه رميثة بنت الحارث بن حذيفة بن مالك بن ربيعة من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة وأم ابنه محمد بن عبد الرحمن أميمة بنت عدي بن قيس بن حذافة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب.

كان أمراً صالحاً، وكانت فيه دعابة، ويعد في الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة، سمع الحديث من أم المؤمنين عائشة وعامر بن سعد بن أبي وقاص روى عنه ابنه محمد وعبد الرحمن ومحمد بن إسحاق وأبو حذرة يعقوب بن مجاهد القاص وخالد بن سعد وشريك بن عبد الله بن أبي نمر.

وقال موسى بن عقبة ما نعلم أربعة في الإسلام أدركوا هم وأبناؤهم النبي صلى الله عليه وسلم إلا هؤلاء الأربعة أبي قحافة وأبي بكر ابنه وابن ابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وأبو عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر واسم أبي عتيق محمد.

وعاش مائة سنة ولد سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ومات سنة خمس وسبعين وأربعمائة (1).

مواقف من حياته :

يوم البغلة:

حدث عبد الله بن كثير بن جعفر قال اقتتل غلمان عبد الله بن العباس

(1) ترجمته وأخباره في نسب قريش للمصعب الزبيري، ص 278، تهذيب الكمال، 500 / 10، تهذيب التهذيب، 3 / 257، الوافي بالوفيات، 17 / 425، المعارف، ص 233، تاريخ دمشق، 32 / 236، ابن الأثير، أسد الغابة، 1 / 1212، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، 1 / 428.

وغلمان عائشة، فأخبرت عائشة بذلك فخرجت في هودج على بغلة لها فلقبها ابن أبي عتيق فقال: أي أُمي جعلني الله فداك أين تريدان قالت: بلغني أن غلماني وغلمان ابن عباس اقتتلوا، فركبت لأصلح بينهم، فقال: يعتق ما يملك أن لم ترجعي، فقالت: يا بني ما حملك، وقال ابن النفور: ما الذي حملك على هذا؟ قال: ما انقضى منا يوم الجمل حتى تريدان أن تأتينا بيوم البغلة(1).

قال الزبير: حدثني أبي أن ابن أبي عتيق دخل على أم المؤمنين عائشة، وهو مشتمل على قرد، فقال لها: يا أماه بركي في فقالت: بارك الله فيك، قال: وفيما معي قالت وفيما معك، فكشف لها عنه، فغضبت، وقالت: لقد هممت أن ادعو عليك بدعوة تدخل معك قبرك.

وحدث مصعب بن عثمان وغيره أن ابن أبي عتيق دخل على عائشة في مرضها الذي ماتت فيه فقال لها كيف تجدينك يا أُمي جعلني الله فداك: قالت: أجدني يا بني ذاهبة، قال: فلا إذا (2).

قد قضيناه عنك:

كان لرجل على ابن أبي عتيق دين فتقاضاه فلما ألح عليه، قال: ائتني العشيّة في مجلس القلادة، وكان مجلس القلادة مجلسا لقريش يتذاكرون الفقه وأصناف العلوم، فاسألني عن بيت قريش فأتاه الغريم في المجلس، فقال: أنا تلاحينا في بيت قريش ورضيناك حكما، فقال: اعفني من الكلام في هذا، قال: لا بد من أن تقول، قال: فإن بيت قريش آل حرب بن أمية، قال: ثم قال: ثم آل أبي العاص، قال وعبد الله بن عباس حاضر، فقال الرجل: فأين بنو عبد المطلب فقال لم أظنك تسألني عن بيت لملائكة ومهبط جبريل إنما ظننتك تسألني عن بيت الآدميين فأما إذا صرت إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد كل شهيد وعم رسول الله صلى

(1) تاريخ دمشق، 32 / 240.

(2) تاريخ دمشق، 32 / 241.

الله عليه وسلم والطيار في الجنة مع الملائكة، فمن يسامي هؤلاء، وأي فخر إلا وهو ينقطع دونهم، قال: فجلا عن ابن عباس ما كان فيه فدعاه بعدما ما قام الناس، فقال: ألك حاجة، قال: نعم علي دين، فقال: قد قضيناها عنك. صلى الله عليه وسلم

هل له من حاجة:

عن مجالد قال دخل ابن أبي عتيق على الحسين بن علي وعنده جماعة فقعده عنده فجاء غريم لأبن أبي عتيق يتقاضاه فجلس مع القوم فقال غريم ابن أبي عتيق من أشرف العرب قال: يا جاهل وهل يشك في ذلك حرب بن أمية لا تصدر قريش إلا عن رأييه، قال: فاستحيا الرجل من الحسن، ووجد الحسن في نفسه فقال له الرجل: فأين عبد المطلب، قال: يا جاهل _____ ل _____ ت _____ ذكر عبد المطلب مع الناس اذكر جبريل وميكائيل وإسرافيل وعبد المطلب، قال: فبتسم الحسن وقال: هل له من حاجة.

بغلة الحسن تعجبني:

قال مروان بن الحكم: بغلة الحسن تعجبني، فقال له ابن أبي عتيق: فإن أخذتها لك تقضي لي أربعين حاجة، قال: نعم، قال: فإذا كان العشية فأذن للناس، فإني سأذكر أولية قريش إذا جلس الحسن ولا أذكر من ناحية الحسن شيئاً، فقل: ما لك لا تذكر أبا محمد، قال: فلما كان عشية أذن للناس، فلما أخذوا مجالسهم أفاض ابن أبي عتيق مع مروان يذكر أولية قريش وشرفهم، فقال له مروان: أراك تذكر أولية قريش وشرفهم ولا أسمعك تذكر أبا محمد وحظه من ذلك الحظ الوافر، فقال له ابن أبي عتيق: إنا كنا في ذكر الأشراف، ولو كنا في ذكر الأنبياء لذكرنا أبا محمد، فلما قام الحسن قام مع ابن أبي عتيق، فلما خرج أضحك الحسن، وأقبل عليه فقال: ألك حاجة؟ قال: نعم، البغلة، قال: هي لك فأعطاها مروان.

حوض القيامة:

قال ابن عروة بن الزبير قد اشتقت إلى حديث ابن أبي عتيق وأرسل إليه يقول: إني قد اشتقت إلى حديثك، فأحب أن تزورني، قال: فقال: ابن أبي عتيق الحوض، فرجع الرسول إلى عبد الله بن عروة فأخبره، فقال: هذا موعد مغمس، ارجع إليه فاسأله أي حوض فرجع إليه، فقال له: يقول لك أي حوض؟ قال: حوض القيامة، فذكر ذلك الرسول لعبد الله بن عروة، فضحك، وقال: قل له: أتعدنا حوضاً لا تردده.

لها أنف ظالمة:

جلس ابن أبي عتيق مع أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في مجلس القضاء، فخاصمت إلى أبي بكر امرأة منتقبة لها عين حسنة حوراء، فأقبل أبو بكر على ابن أبي عتيق فقال ما تقول في أمر هذه، فقال لها: عين مظلومة إلى أن طالت بها الخصومة، فأذلقته، فكشفت وجهها، فإذا أنفها ضخم قبيح، فقال له أبو بكر: ما تقول في أمرها، قال: لها أنف ظالمة، وأبو بكر بن محمد إذاك يلي عمل المدينة وقضاءها(1).

نجاح الصلح الذي سعى به ابن أبي عتيق :

أخبر بلال مولى ابن أبي عتيق قال: أنشد ابن أبي عتيق قول عمر: مَنْ رَسُولِي إِلَى الشَّرِّ فَإِنِّي :: ضَعْتُ ذَرْعاً بِهَجْرَهَا وَالْكِتَابِ فقال ابن أبي عتيق: إياي أراد وبني نوه لا جرم والله لا أدوق أكلا حتى أشخص، فأصلح بينهما، ونهض ونهضت معه، فجاء إلى قوم من بني الدليل بن بكر لم تكن تفارقهم، نجائب لهم فره يكرهونها، فاكترى منهم راحلتين، وأغلى لهم فقلت له: استوضعهم أو دعني أماكسهم، فقد اشتطوا عليك، فقال: ويحك أما علمت أن المكاس ليس من أخلاق الكرام، ثم ركب إحداهما، وركبت الأخرى، فسار سيرا شديداً، فقلت: أبق على

نفسك فإن ما تريد ليس يفوتك فقال ويحك:

(أَبَادِرُ حَبْلَ الْوُدِّ أَنْ يَتَقَضَّبَا..)

وما حلاوة الدنيا إن تم الصدع بين عمر والثريا، فقدمنا مكة ليلا غير محرمين فدق على عمر بابيه، فخرج إليه وسلم عليه ولم ينزل عن راحلته، فقال له: اركب أصلح بينك وبين الثريا، فأنا رسولك الذي سألت عنه، فركب معنا وقدمنا الطائف، وقد كان عمر أَرْضَى أم نوفل، فكانت تطلب لها الحيل لإصلاحها فلا يمكنها فقال ابن أبي عتيق للثريا، هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة إليك، فجننتك به معترفا لك بذنب، لم يجنه معذرا إليك من إساءته إليك فدعيني من التعداد والترداد، فإنه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون، فصالحته أحسن صلح وأتمه وأجمله، وكررنا إلى مكة فلم ينزلها ابن أبي عتيق حتى رحل وزاد عمر في أبياته:

(أَزْهَقْتُ أُمَّ نَوْفَلٍ إِذْ دَعَّيْتُهَا :: مُهْجَتِي مَا لِقَاتِلِي مِنْ مَتَابٍ)
(حِينَ قَالَتْ لَهَا أَجِيبِي فَقَالَتْ :: مَنْ دَعَانِي قَالَتْ أَبُو الْخَطَّابِ)
(فَاسْتَجَابَتْ عِنْدَ الدَّعَاءِ كَمَا لَبَّى :: رَجَالٌ يَرْجُونَ حَسَنَ الثَّوَابِ)

قال الزبير: وما دعيتها أم نوفل إلا لابن أبي عتيق، ولو دعيتها لعمر ما أجابت، قال: وسألت عمي عن أم نوفل، فقال: هي أم ولد عبد الله بن الحارث أبي الثريا وسألته عن قوله:

(كما لبَّى رجال يرجون حسن الثواب..)

فقال: كررت في التلبية كما يفعل المحرم فقالت لبيك لبيك (1).

ثم عودي إلى ما عودك الله:

ومن طريف أخباره أن عائشة بنت طلحة عتبت على مصعب بن الزبير فهجرته، فقال مصعب: هذه عشرة آلاف درهم لمن احتال لي أن

تكلمني، فقال له ابن أبي عتيق: عدل المال، ثم صار إلى عائشة، فجعل يستعنيها لمصعب، فقالت والله ما عزمي أن أكلمه أبداً. فلما رأى جدها قال لها: يا بنت عم، إنه قد ضمن لي إن كلمته عشرة آلاف درهم، فكلميهِ حتى أخذها، ثم عودي إلى ما عودك الله.

أو ما تدري ما حدث؟:

ومن طريف أخباره أن عثمان بن حيان المري لما دخل المدينة والياً عليها اجتمع الأشراف عليه من قريش والأنصار، فقالوا له: إنك لا تعمل عملاً أجدي ولا أولى من تحريم الغناء والرثاء، ففعل، وأجلهم ثلاثاً، فقدم ابن أبي عتيق في الليلة الثالثة، فحط رحله بباب سلامة الزرقاء، وقال لها: بدأت بك قبل أن أصير إلى منزلي، فقالت: أو ما تدري ما حدث؟ وأخبرته الخبر، فقال: أقيمي إلى السحر حتى ألقاه، فقالت: إنا نخاف ألا تغني شيئاً وتناننا شدة، فقال: إنه لا بأس عليك، ثم مضى إلى عثمان فاستأذن عليه، فأخبره أن أحب ما أقدمه عليه حب التسليم عليه، وقال له: إن من أفضل ما عملت به تحريم الغناء والرثاء. قال: إن أهلك أشاروا علي بذلك. قال: فإنك قد وفقت، ولكني رسول امرأة إليك تقول: قد كانت هذه صناعتني فتبت إلى الله منها، وأنا أسألك أيها الأمير ألا تحول بينها وبين مجاورة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عثمان: إذن أدعها لك، قال: إذن لا يدعها الناس، ولكن تدعو بها فتتظروا إليها، فإن كانت ممن يترك تركتها، قال: فادعُ بها، قال: فأمرها ابن أبي عتيق فتقشفت، وأخذت سبحة في يدها، وصارت إليه، وحدثته عن مآثر آبائه، ففكة لها، فقال لها ابن أبي عتيق: اقرئي للأمير، ففعلت، فأعجب بذاك. فقال لها: فاحدي للأمير، فحركه حداؤها، ثم قال لها: غيري للأمير، فجعل يعجب بذلك عثمان، فقال له ابن أبي عتيق: فكيف لو سمعتها في صناعتها! فقال: قل لها فلتقل، فأمرها فتغنت:

سددن خصاص الخيم لما دخلنه :: بكل لسان واضح وجبين

فنزّل عثمان بن حيان عن سريره حتى جلس بين يديها، ثم قال: لا والله، ما مثلك يخرجُ عن المدينة! فقال له ابن أبي عتيق: إذن يقول الناسُ أذنَ لسلامة في المقام ومنع غيرها! فقال له عثمان: قد أذنتُ لهم جميعاً (1).

الشمس عند رأسه، والقمر عند رجله:

وحدث محمد بن الضحاك بن عثمان الحزامي وغيره أن ابن أبي عتيق وفد على الملك بن مروان فلقي حاجبه فسأله أن يستأذن له عليه، فسأله الحاجب ما نزعُه؟ فذكر ديناً قد مسّه، فاستأذن له، فأمر عبد الملك بإدخاله، فأدخله وعند رأس عبد الملك ورجليه جاريّتان وضيتتان، فسلم وجلس فقال له عبد الملك: ما حاجتك؟ قال: مالي حاجة إليك قال: ألم يذكر لي الحاجب أنك شكوت إليه ديناً عليك وسألته ذكرَ ذلك لي؟ قال: ما فعلتُ وما عليّ دين وإنني لأيسرُ منك قال: انصرف راشداً فقام ودعا عبداً الملك الحاجب فقال له: ألم تذكر لي ما شكَا إليك ابن أبي عتيق من الدين؟ قال: بلى قال: فإنه أنكر ذلك، فخرج إليه الحاجب فقال: ألم تشكُ إليّ دينك وذكرت أنك خرجت إلى أمير المؤمنين فيه وسألتني ذكره؟ قال له: بلى قال: فما حملك على إنكار ذلك عند أمير المؤمنين؟ قال ابن أبي عتيق: دخلت عليه وقد جلس الشمس عند رأسه، والقمر عند رجله، ثم قال لي: كن سألًا، والله ما كان الله ليرى هذا أبداً، فدخل الحاجب على عبد الملك فأخبره خبره فضحك ووهب الجاريّتين له وقضى دينه ووصله وكان سببَ الأُنس بينه وبين عبد الملك (2).

واخلافاه:

وعن عمرو بن دينار عن ابن أبي عتيق أنه مرَّ به رجل ومعه كلب فقال للرجل: ما اسمك؟ قال: وثاب قال: فما اسم كلبك؟ قال: عمرو فقال:

(1) المبرد، الكامل في اللغة و الأدب، 2 / 177.

(2) أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي، المراح في المزاح، ص 82.

وإخلافاه.

ابن أبي عتيق ونصيب وسعدى:

عن مؤرخ قال: أراد ابن أبي عتيق الحج، فلقي نصيباً، فقال: هل توصي إلى سعدى بشيء؟ قال: نعم ببيتين. قال: ما هما؟ قال:

أَتَصْبِرُ عَنْ سَعْدَى، وَأَنْتَ صَبُورٌ :: وَأَنْتَ بَحْسَنَ الصَّبْرِ مِنْكَ جَدِيرٌ.
وَكِدْتَ وَلَمْ تُخْلَقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَأَ :: سَنَّا بَارِقٍ نَحْوَ الْحِجَازِ أَطِيرُ.

قال: فخرج ابن أبي عتيق، فوجد سعدى في مجلس لها، فقال لها: يا سعدى! معي إليك رسالة. قالت: وما هي؟ هاتها يا بن الصديق، فأنشدها البيتين، فتنفست تنفساً شديداً، فقال ابن أبي عتيق: أوه أجبته، والله، بأحسن من بيتيه، وعتق ما ملك أن لو سمعها لنعق وطار (1).

فلا إذن:

دخل على عائشة - وكانت عمته - في مرضها الذي ماتت فيه، فقال: كيف أصبحت؟ جعلني الله فداك، قالت: أجدني ذاهبة. قال: فلا إذن.

قدّاحنا في هذه الليلة في البستان:

كانت له جارية، ولها صديق، فكان يجيء كل عشية فيصيح من الباب: اقدحوا لنا ناراً، فتخرج إليه الجارية. فخرجت الجارية مرة إلى البستان، وجاء الرجل على العادة فقال: اقدحوا لنا ناراً. فصاح ابن أبي عتيق: يا هذا، قدّاحنا في هذه الليلة في البستان.

عافاك الله:

قال: بينا هو مرّة على سطحه، وجارية له تعشّيه، إذ مطرت عليه حجارة من فوق السطح، فأشرف فإذا فتى يرمي بها ويؤذن الجارية بمجيئه. فقال له: عافاك الله. الساعة تعشّيني وتنزل إليك.

ستر الله عليك:

(1) السراج القارئ، مصارع العشاق، 99/1.

وقالت له جاريته يوماً: إن فلاناً القارئ - وكان يُظهر التنسك - قد قطع عليّ الطريق وأذاني ويقول لي: أنا أحبك. فقال لها: فقولِي له: وأنا أيضاً أحبك ثم واعدته المنزل، ففعلت، وأدخلته المنزل، وكان قد واعد جماعة من أصحابه؛ ليضحكوا من الرجل. ودخلت الجارية إلى البيت الذي فيه الرجل، فدعاها، فاعتلت عليه، فوثب إليها، فاحتمالها، وضرب بها الأرض. فدخل عليه ابن أبي عتيق وأصحابه، وقد تورّكها، فخلج وقام، وقال: يا فساق، ما تجمّعكم هنا إلا لريبة. فقال ابن أبي عتيق وأصحابه: استر علينا، ستر الله عليك (1).

ما تُطعمنا إلا في كفارة يمين:

تغذى يوماً عند عبد الله بن جعفر، في عدّة من قریش، وإذا عبد الله بن جعفر رث الثياب، فقال ابن أبي عتيق: أصلحك الله، ما تُطعمنا إلا في كفارة يمين.

غاق غاق وطر:

ولما بلغه قول نُصيب:

وُلدت ولم أخلق من الطير إن بدا :: سنا بارق نحو الحجاز أطيّر
قال: قل: غاق غاق وطر، أي أنك غراب، لأنه كان أسود.

سبحان الله ما ترك الهزل؟:

ولقي ابن أبي عتيق عبد الله بن عمر فقال له: ما تقول في إنسان هجاني، فقال لي:

أذهبت مالك غير مُترك :: في كل مومسة وفي الخمر
ذهب الإله بما تعيش به :: وبقيت وحدك غير ذي وفر؟
فقال: أرى أن تأخذ بالفضل وتصفح. فقال له ابن أبي عتيق: أنا، والله أرى غير ذلك. قال: وما هو؟ قال:

أرى أن أجامعه. فقال عبد الله: سبحان الله ما تترك الهزل؟ واقتربا، ثم لقيه ابن أبي عتيق بعدما ظن أن ابن عمر قد نسي ذلك، فقال له: أتدري ما فعلت بذلك الإنسان؟ قال: أي إنسان؟ قال الذي أعلمتك أنه هجاني. قال: ما فعلت به؟ قال: كل مملوك لي فهو حر إن لم أكن قد جامعته، فأعظم ذلك ابن عمر، واضطرب. فقال له ابن أبي عتيق: امرأتي - والله - هي التي قالت الشعر وهجنتني⁽¹⁾.

أفهمت؟:

كان ابن أبي عتيق يتعشى، ومعه رجل من الأنصار، فوقع حجر في الدار، ووقع آخر، وثالث. فقال لجاريته: اخرجي فانظري أذتوا للمغرب؟ فخرجت وجاءت بعد ساعة وقالت: قد أذتوا وصلوا. فقال له الرجل الذي كان عنده: أليس قد صلينا قبل أن ندخل؟ قال: بلى، ولكن لو لم أرسلها تسأل عن ذلك لرُجمنا إلى الغداة، أفهمت؟ قال: نعم قد فهمت.

ثم ركب بغلته وعاد:

ولما سمع قول عمر بن أبي ربيعة:

من رسولٍ إلى الثريا فإني :: ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب
ركب بغلته من المدينة يريد مكة، فلما بلغ قيل له: أحرم. قال: إن ذا الحاجة لا يحرم. وجاء حتى دخل على الثريا، فقال: ابن عمك يقول: ضقت ذرعاً بهجرك والكتاب .. ثم ركب بغلته وعاد⁽²⁾.

فهلاً سفاحاً:

وجاء إليه رجل: فقال: جئتُك خاطباً مودّتك. قال: فهلاً سفاحاً فهو

ألذ؟

أخذكم اللحم من بين يدي:

(1) الأبي، نثر الدر، 7/ 177.

(2) الأبي، نثر الدر، 7/ 178.

وجلس يوماً يتغذى، ومعه أولاده، فجعلوا يتناولون اللحم من بين يديه. فقال: يا بني، إن الله أوصى بالوالدين، فقال: {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} [الإسراء: ٢٣]، والله لأن تقولوا لي: أف ثلاثين مرةً أيسر عليّ من أخذكم اللحم من بين يديّ.

ألوى بحجّتي الزامر:

وكان يخاصم القاسم بن محمد في صدقة أبي بكر ليليتها معه، فوغل القاسم عبد الرحمن ابنه بخصومته، وكانت دار يزيد بن عبد الملك تُبنى بالمدينة باللعايبين الدفوف، والزممر، والصنج. فتقدّم ابن أبي عتيق يوماً من ذاك إلى القاضي، وهو في رحبة القضاء، فجعل عبد الرحمن يُخاصمه ويحتج عليه، وابن أبي عتيق نفسه وعينه في ذلك اللعب، فعلاه عبد الرحمن يومئذ. فقيل لابن أبي عتيق: ما كانت قصّتك؟ ما فُمت اليوم له، ولا قعدت، ولا احتجبت عليه؟ فقال: ؟؟؟ 'ألوى بحجّتي الزامر' (1).

يا أصحابي:

ومرّ بصبيان يلعبون، فقال: يا أصحابي، ما ذقنا عيشاً منذ فارقناكم (2).

قد أصبح فانج بنفسك:

ومن مجون عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ما حكى أن جاريته قالت له: إن فلاناً القارئ، وكان يظهر النسك، قد قطع علي الطريق وأذاني ويقول لي: أنا أحبك. فقال لها: قلّي له: وأنا أحبك أيضاً، وواعديه المنزل؛ ففعلت وأدخلته المنزل؛ وكان عبد الله قد واعد جماعة من أصحابه ليضحكوا على الرجل. ودخلت الجارية إلى البيت الذي فيه الرجل، فدعاها فاعتلت عليه، فوثب إليها فاحتملها وضرب بها الأرض،

(1) الأبي، نثر الدر، 7/ 180.

(2) الأبي، نثر الدر، 7/ 181.

فدخل عليه ابن أبي عتيق وأصحابه وقد تولكها، فحجل وقام وقال: يا فساق، ما تجمعتم ها هنا إلا لريبة، فقال له ابن أبي عتيق: استر علينا ستر الله عليك. ثم لم يرتدع عن العبث بها، فشكت ذلك إلى سيدها؛ فقال لها: هيني من الطعام طحن ليلة إلى الغداة ففعلت، ثم قال لها: عديه الليلة، فإذا جاء فقولي له: إن وظيفتي الليلة طحن هذا كله، ثم اخرجي إلى البيت واتركيه، ففعلت. فلما دخل طحنت الجارية قليلاً، ثم قالت له: أدر الرحي حتى أتقصد سيدي، فإذا نام وأما أن يأتينا أحد، صرت إلى ما تحب، ففعل، ومضت الجارية إلى مولاها، وأمر ابن أبي عتيق عدة من مولاته أن يتراوحن على سهر ليلتهن ويتفقدن أمر الطحن ويحثن عليه، ففعلن وجعلن ينادين الفتى كلما كف عن الطحن: يا فلانة إن مولاك مستيقظ والساعة يعلم أنك قد كفت عن الطحن، فيقوم إليك بالعصا كعادته مع من كانت نوبتها قبلك إذا هي نامت وكفت عن الطحن. فلم يزل كلما سمع ذلك الكلام منهن اجتهد في العمل والجارية تتفقده وتقول له: استيقظ مولاي والساعة ينام فأصير إلى ما تحب وهو يطحن، حتى أصبح وفرغ القمح. فأتته الجارية بعد فراغه فقالت له: قد أصبح فانج بنفسك. فقال: أو قد فعلتها يا عدوة الله وخرج تعباً نصباً، وأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت، وعاهد الله ألا يعود إلى كلام الجارية، فلم تر منه بعد ذلك شيئاً تكرهه(1).

من مكة للسلام عليك:

وروى الأصفهاني أن ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص بن محمد الأنصاري أتوا منزل جميلة واستأذنوا عليها فأذنت لهم. فلما جلسوا سألت عن عمر، فقال لها: إني قصدتك من مكة للسلام عليك، فقالت: أهل الفضل أنت. قال: وقد أحببت أن تفرغي لنا نفسك اليوم وتخلي مجلسك، قالت: أفعل. فقال لها الأحوص: أحب ألا تغني إلا بما نسألك، فقالت: ليس

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 4/ 8 - 9.

المجلس لك، القوم شركاؤك، فقال: أجل. قال عمر: فإني أرى أن نجعل الخيار إليها. قال ابن أبي عتيق: وفق الله. فدعت بعود فغنت:

تمشي الهوينى إذا مشت فضلاً :: مشي النزيف المخمور في الصعد
تظل من بعد بيت جارها :: واضعةً كفها على الكبد
يا من لقلب متيمٍ سدم :: عانٍ رهينٍ مكلّمٍ كمد
أزجره وهو غير منزجر :: عنها بطرفٍ مكحل السهد

قال راوي هذه الحكاية: فلقد سمعت للبيت زلزلة وللدار همهمة. فقال عمر: لله درك يا جميلة ماذا أعطيت أنت أول الغناء وآخره ثم سكنت ساعة وأخذت العود فغنت، فطرب القوم وصفقوا بأيديهم وفحصوا بأرجلهم وحرکوا رؤوسهم، وقالوا: نحن فداؤك من المكروه، ما أحسن ما غنيت وأجمل ما قلت، وأحضر الغداء فتغدى القوم بأنواع من الأطعمة ومن الفواكه، ثم دعت بأنواع الأشربة، فقال عمر: لا اشرب، وقال ابن أبي عتيق: فقال الأحوص: لكني أشرب، وما جزاء جميلة أن يمتنع من شرابها فقال عمر: ليس ذلك كما ظننت. فقالت جميلة: من شاء أن يحملني بنفسه ويخلط روحه بروحي فعل، ومن أبي ذلك عذرناه، ولم يمنعه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأنس بمحادثته. قال ابن أبي عتيق: ما يحسن بنا إلا مساعدتك. فقال عمر: إني لا أكون أخسكم، افعلوا ما شئتم تجدوني سامعاً مطيعاً. فشرب القوم أجمع، فغنت بشعر ابن أبي ربيعة:

ولقد قالت لجاتٍ لها :: كالمها يلعبن في حجرها
خذن عني الظل لا يتبعني :: ومضت تسعى إلى قبتها
لم تعلق رجلاً فيما مضى :: طفلة غيداء في حلتها
لم يطش قط لها سهمٌ ومن :: ترمه لا ينج من رميتها

فصاح عمر ثم شق جيب قميصه إلى أسفله، ثم ثاب إليه عقله فندم واعتذر وقال: لم أملك من نفسي شيئاً. وقال القوم: قد أصبنا الذي أصابك وأغمي علينا غير أننا قد فارقناك في تخريق الثياب. فدعت جميلة بثياب

فجعلتها على عمر فقبلها ولبسها، وانصرف القوم إلى منازلهم. وكان عمر نازلاً على ابن أبي العتيق، فوجه إلى جميلة بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب كانت معه فقبلتها جميلة، وانصرف عمر إلى مكة جذلان مسروراً (1).

من أهل ومال وملك؟:

روي عن ابن أبي عتيق أنه جاء إلى الحسن والحسين ابني علي عليه السلام وعبد الله بن جعفر وجماعة من قريش فقال لهم: إن لي حاجة إلى رجل أخشى أن يردني فيها، وإنني أستعين بجاهكم وأموالكم عليه. قالوا: ذلك مبذول لك. فاجتمعوا ليوم وعدهم فيه، فمضى بهم إلى زوج لبني صاحبة قيس بن ذريح الكناني، وكانت زوجته لما طلقها قيس، وكان قيس صديق ابن أبي عتيق. فلما رآهم أعظمهم وأكبر مصيرهم إليه فقالوا: قد جنناك في حاجة لابن أبي عتيق فقال: هي مقضية كائنة ما كانت. قال ابن أبي عتيق: قد قضيتها كائنة ما كانت من أهل ومال وملك؟ قال: نعم، قال: تهب لي ولهم زوجتك لبني وتطلقها، قال: فأشهدكم أنها طالق ثلاثاً. فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا: والله ما عرفنا حاجته، ولو علمنا أنها هذا ما سألناك إياه. وعوضه الحسن من ذلك مائة ألف درهم، ولما انقضت عدتها تزوجها قيس، فقال قيس:

جزى الرحمن أفضل ما يجازي :: على الإحسان خيراً من صديق
فقد جربت إخواني جميعاً :: فما ألفت كابن أبي عتيق
سعى في جمع شملتي بعد صدع :: ورأي جرت فيه عن الطريق
وأطفأ لوعة كانت بصدري :: أغصتني حرارتها بريقي
فقال ابن أبي عتيق: يا حبيبي، أمسك عن هذا المديح فما يسمعه أحد إلا ظنني قواداً (2).

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 5/ 46.

(2) ابن حمدون، التذكرة الحمونية، 2/ 38.

أما تستحيي:

قال ابن أبي عتيق لأشعب: أما تستحيي - وعندك ما أرى - من أن تسأل الناس؟ قال: معي والله من لطف المسألة ما لا تطيب نفسي بتركه.

عمر بن أبي ربيع وامرأة من ربيعة:

وقال الأصمعي: كان عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق جالسين بفناء الكعبة، فمرت بهما امرأة من ربيعة، وقيل: من آل أبي سفيان، فدعا عمر بكتف، فكتب فيها:

ألمأ بذات الخال، فاستطلعا لنا :: على العهد باق ودها أم تصرما
وقولا لها: إن النوى أجنية :: بنا وبكم، قد خفت أن تيمما
فقال له ابن أبي عتيق: ما تريد إلى امرأة مسلمة محرمة تكتب إليها
بمثل هذا؟ فقال: أترى ما سيرت في الناس من الشعر، ورب هذه البنية ما
قبل منها وما دبر، ما قولت امرأة قط ما لم تقله، ولا طالعت فرج حرام
قط.

هل نلت من عزة شيئاً:

وقيل لكثير عزة: هل نلت من عزة شيئاً طول مدتك؟ فقال: لا والله،
إلا أنه ربما كان يشتد بي الأمر، فأخذ يدها، فأضعها على جبيبي فأجد
لذلك راحة.

موت عروة بن حزام:

وحكي عن ابن أبي عتيق قال: بينا أنا أسير في أرض بني عذرة، إذا
أنا ببيت حرير، فدنوت منه، فإذا عجوز تمرض شاباً، وقد نهكته العلة،
وبانت عليه الذلة، فسألتها عن خبره، فقالت: هذا عروة بن حزام، فدنوت
منه فسمعته يقول:

من كان من أمهاتي باكياً لغد :: فاليوم إني أراي اليوم مقبوضاً
تسمعيه، فإني غير سامعه :: إذا علوت رقاب القوم معروضاً

فقلت: أنت عروة بن حزام؟ قال: نعم، أنا الذي أقول:

جعلت لعراف اليمامة حكمه :: وعراف نجد إن هما شفياني
فقالا: نعم تشفى من الداء كله :: وقام مع العواد يتدرا⁽¹⁾

هذا البيت يحتاج إلى حاضنة؟ :

ولابن أبي عتيق عجائب ظريفة، أذكر لك منها ما يصلح ويملح؛ منها
أنه سمع وهو بالمدينة قول ابن أبي ربيعة:

فما نلت منها محرماً غير أننا :: كلانا من الثوب المطارف لابس

فقال: أبنا يلعب ابن أبي ربيعة؟ فأبي محرم بقي؟ فركب بغلته متوجهاً
إلى مكة، ودخل أنصاب الحرم، وقيل له: أحرم! قال: إن ذا الحاجة لا
يحرّم. فلقي ابن أبي ربيعة؛ فقال: أما زعمت أنك لم تركب محرماً قط؟
قال: بلى! قال: فما قولك: كلانا من الثوب.. البيت؟ فقال له: إني أخبرك؛
خرجت بعة المسجد، وخرجت زينب تريده، فالتقينا فاتعدنا، فصرنا إلى
بعض الشعاب، فأخذتنا السماء، فأمرت بمطرفي فسترنا الغلمان لئلا يروا
بها بلة فيقولوا لها: هلا استترت بسقائف المسجد؟ فقال له ابن أبي عتيق:
يا عاهر! هذا البيت يحتاج إلى حاضنة؟

فإنما كان ثوابي أن أشكر:

وابن أبي عتيق الذي سمع قول ابن أبي ربيعة:

قال لي صاحبي ليعلم ما بي :: أتحبّ القتل أخت الرباب
قلت وجدي بما كوجدك بالما :: ء إذا ما فقدت برد الشراب
أزهقت أم نوفل إذ دعته :: مهجتي، ما لقاتلي من متاب
أبرزوها مثل المهاة قنادي :: بين خمس كواعب أتراب
وهي مكنونة تحير منها :: في أديم الخدين ماء الشباب
ثم قالوا تحبها قلت بهراً :: عدد الرمل والخصى والتراب
من رسولي إلى الثريّا بأي :: ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

(1) الوشاء، الموشى، 24/1.

فلما سمع هذا البيت قال: إياي أراد وبني هتف ونوه؛ والله لا ذقت طعاماً أو أشخص إليها وأصلح بينهما.

قال مولى لبني تميم: فنهض ونهضت معه حتى خرج إلى سوق الضمرتين، فأتى قوماً من بني الديل من حنيفة يكرون النجائب، فقال: بكم تكرونني راحلتين إلى مكة؟ قالوا: بكذا وكذا، فقلت لبعض التجار: استوضعوا شيئاً؛ فقال ابن أبي عتيق: ويحك! إن المكاس ليس من أخلاق الناس، ثم ركب واحدة وركبت الأخرى وأجد السير، فقلت: ارفق بنفسك. فقال: ويحك: أبادر حبل الوصل أن يقتضبا وما أملح الدنيا إذا تم الوصل بين عمر والثريا. فقدمنا مكة، وأتى باب الثريا، فقالت: والله ما كنت لنا زواراً. قال: أجل! ولكني جئت برسالة؛ يقول لك ابن عمك عمر: ضقت ذرعاً بهجرك والكتاب. فلامه عمر. فقال ابن أبي عتيق: إنما رأيته مبادراً تلتمس رسولاً فخففت في حاجتك، وإنما كان ثوابي أن أشكر.

إن أجاز أهلها ذلك:

وسمع ابن أبي عتيق قول العرجي:

وما ليلة عندي وإن قيل ليلة :: ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر
معادلة الاثنين عندي وبالحرى :: يكون سواءً مثلها ليلة القدر
وما أنس م الأشياء لا أنس قولها :: لخادمها قومي سلي لي عن الوتر
فجاءت تقول الناس في تسع عشرة :: ولا تعجلي عنه فإئك في أجر
فقال: هذه أفاقه من ابن شهاب، وهي حرة لله عز وجل من مالي إن أجاز أهلها ذلك.

ما تدع مزحك بحال!:

دخل على عائشة وهي مريضة، فقال: كيف أنت يا أمأه؟ جعلت فداك!
قالت: في الموت، قال: فلا إذأ، إنما ظننت أن في الأمر فسحة، فضحكت

وقالت: ما تدع مزحك بحال! (1).

جيران يتشممون الأمانى:

قال ابن أبي عتيق لامرأته: تمنيت أن يهدى إلينا مسلوخ، فنتخذ من الطعام لون كذا ولون كذا، فسمعتة جارة له، فظنت أنه أمر بعمل ما سمعتة، فانتظرت إلى وقت الطعام، ثم جاءت فقرعت الباب، وقالت: شممت رائحة قدوركم فجئت لتطعموني منها. فقال ابن أبي عتيق لامرأته: أنت طالق إن أقمنا في هذه الدار التي جيرانها يتشممون الأمانى.

قصير القميص فاحش عند بيته:

وعن أبي عبيدة قال: كان الحزين الكنانى قد ضرب على كل رجل من قریش درهمين في كل شهر منهم ابن أبي عتيق فجاءه لأخذ درهميه على حمار له أعجف قال: وكثير مع ابن أبي عتيق، فأمر ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين، فقال الحزين: لابن أبي عتيق: من هذا الذي معك؟ قال أبو صخر كثير بن أبي جمعة قال وكان قصيرا دميما فقال له الحزين: أتأذن لي في أن أهجوه ببيت من الشعر، قال: لعمرى لا آذن لك أن تهجو جليسي، ولكنى أشتري عرضه منك بدرهمين، ودعا له بهما، فأخذهما، وقال: لا بد لي من هجائه ببيت، قال: وأشتري ذلك منك بدرهمين آخرين، فدعا له بهما فأخذهما أيضا، وقال: ما أنا بتاركه حتى أهجوه، قال: وأشتري ذلك منك بدرهمين أيضا، فقال له كثير: أئذن له وما عسى أن يقول في بيت واحد قال: فأذن له ابن عتيق فقال:

(قصير القميص فاحش عند بيته :: يعض القراد باسته وهو قائم)

قال: فوثب إليه كثير فلكره فسقط عن الحمار، فخلص ابن أبي عتيق بينهما وقال لكثير: قبحك الله أتأذن له وتسفه عليه، فقال كثير: وأنا ما

(1) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص 21.

ظننت أن يبلغ بي في بيت واحد هذا كله (1).

* * *

(1) الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، 1367هـ 1947م، 2/ 137.

جحظة البرمكي

جحظة البرمكي

أعلام الظرفاء

جحظة البرمكي

هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك المعروف بجحظة البرمكي النديم؛ ولد في شعبان سنة أربع وعشرين ومائتين. وجحظة لقب، غلب عليه لقبه به عبد الله بن المعتز.

قال أبو عبد الله الحسن ابن علي بن مقلّة: سألت جحظة عن لقبه بهذا اللقب، فقال: ابن المعتز لقيني يوماً فقال لي: ما حيوان إذا قلب صار آلة للبحرية؟؟ فقلت: علق، إذا عكس صار قلعاً فقال: أحسنت يا جحظة، فلزمني هذا اللقب، وهو من في عينيه نتو جداً، وكان قبيح المنظر، وكان له لقب آخر، يلقبه به المعتمد، وهو خنياكر، وما أدري أي شيء معناه؟ كان حسن الأدب، كثير الرواية للأخبار، متصرفاً في فنون من العلم، كالنحو واللغة والنجوم، مليح الشعر، مقبول الألفاظ، حاضر النادرة وكان طنبورياً حاذقاً فيه فانقأ، مات في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بجيل، ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين، ذكره محمد بن إسحاق النديم، فقال: ولجحظة من التصانيف: كتاب الطبيخ - لطيف، - كتاب الطنبوريين، كتاب فضائل السكاج، كتاب الترنم، كتاب المشاهدات، كتاب ما شاهده من أمر المعتمد على الله، كتاب ما جمعه مما جربه المنجمون فصح من الأحكام، كتاب ديوان شعره.

قال: كان جحظة وسخاً قذراً دني النفس، في دينه قلة، وهو القائل:
إذا ما ظمئت إلى ريقه :: جعلت المدامة منه بديلاً
وأين المدامة من ريقه؟ :: ولكن أعلل قلباً غليلاً
وله الأشعار الرائقة، فمن شعره قوله:

أنا ابن أناس مول الناس جودهم :: فأضحوا حديثاً للنوال المشهر
فلم يخل من إحسانهم لفظ مخبر :: ولم يخل من تقريظهم بطن
دقتر وله أيضاً:

فقلت لها بخلت علي يقظي :: فجودي في المنام لمستهم
فقلت لي وصرت تمام أيضا :: وتطمع أن أزورك في المنام
وله أيضاً:

أصحت بين معاشٍ هجروا الندي :: وتقبلوا الأخلاق من أسلافهم
قوم أحاول نيلهم فكأنما :: حاولت نتف الشعر من أنافهم
هات اسقنيها بالكبير وغني :: ذهب الذين يعاش في أكنافهم
وله أيضاً:

يا أيها الركب الذي :: ن فراقهم إحدى البليه
وصيكم الصب المقي :: م بقلبه خير الوصيه
وله أيضاً:

وقائلة لي كيف حالك بعدنا :: أفي ثوبٍ مثر أنت أم ثوبٍ مقتر
فقلت لها لا تسأليني فإني :: أروح وأغدو في حرامٍ مقتر
وله ديوان شعر أكثره جيد، وقضاياه مشهورة، ومن أبياته السائرة
قوله:

ورق الجو حتى قيل هذا :: عتاب بين جحظة والزمان
ولابن الرومي فيه - وكان مشوه الخلق -:

نبئت جحظة يستعير جحوظه :: من فيل شطرنج ومن سرطان
وارحمتا لمناديه تملوا :: ألم العيون للذلة الآذان
وتوفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة، وقيل: سنة أربع وعشرين،
بواسط، وقيل: حمل تابوته من واسط إلى بغداد، رحمه الله تعالى⁽¹⁾.

مواقف من حياته:

(1) انظر: معجم الأدباء، 2/ 241، تاريخ بغداد، 4/ 65، الفهرست، ص 145، وفيات
الأعيان، 1/ 133، الأنساب: 2/ 170 - 171، المنتظم، 6/ 283 - 286، العبر، 2
/ 201، الوافي بالوفيات، 6/ 286 - 289، مرآة الجنان، 2/ 288، البداية والنهاية،
11/ 185 - 186، لسان الميزان، 1/ 146، النجوم الزاهرة، 3/ 250 - 251،
سير أعلام النبلاء، 15/ 222.

وهذا يسير في جنب ما تبلغه الغيرة بصاحبها:

حدث علي بن سعيد الكاتب قال: قال لي جحظة: إن كتمت عليّ حدثتك بحديث ما مر عليّ مسامعك مثله قط، قلت: أنا موضع سرّك والمجالس بالأمانة، قال: اصطبحت أياماً فأصبحت يوماً مخموراً، فبينما أنا جالس على باب داري إذ أقبلت جارية متنقبة راكبة على حمار وبين يديها وصائف كالغزلان يحفّفن بها ويمسكن عنان حمارها، وقد سطعت السكة من روائح طيبها، فبقيت مبهوتاً متحيراً أعجب من كمال خلقها ونور ما بدا لي من وجهها، فلما جاوزتني وقفت وتأملتني ساعة ثم سلمت فرددت عليها أحفى سلام وأبره وقمت على قدمي إجلالاً لها وإعظماً، فقالت: يا فتى هل في منزلك محتمل للقائلة في هذا اليوم، قلت: يا سيدتي على الرحب والسعة ولك الفضل والمنة؛ فما كذبت أن ثنت رجلها ونزلت، وقالت: أدخل بين يدي، وأمرت جواريتها فدخلن بالحمار إلى الدهليز ثم دخلت وما أحسب جميع ما أراه إلا نوماً لا يقظة وشكاً لا يقيناً، فلما استقر بها المجلس مدت يدها إلى نقابها فحلته كما قال الشاعر:

فألقت قناعاً دونه الشمس واتقت :: بأحسن موصولين كفٍ ومعصم

فتفكرت في أمري وأنا لا أعقل، من السرور فقلت: هذه جارية مغنية. بلغها عني صوت من صنعتي فأرادت أن تأخذه عني، فقلت: يا سيدتي أتأذنين في أن أقرب ما حضر من طعام وشراب وأغنيك ما لعله بلغك من متخير أصواتي فقالت: ما على ذلك فوت، ولكن قم الآن وشأنك فاقض حاجتك، ثم تصير إلى ما تريد. فقمتم إليها، وقد أخذني الروع حتى ما أملك نفسي مهابة لها، فلما فرغت مما لم أكن أمله ولا تسمو همتي إليه، قلت: يا سيدتي هل لك في الطعام وأدعو بالعود فأغنيك ما قصدت له؟ قال: عسى أن يكون هذا في يوم غير هذا، ومدت يدها إلى قناعها فاعتجرت به ونهضت مسرعة، فلم أحر جواباً وبقيت متحيراً؛ فلما صارت إلى الدهليز لتركب قلت: سألتك بنعمة الله عليك ما خبرك؟ قالت: لو تركت المسألة كان أحب

إليك وأعود عليك، قلت: لأبد لى من علم حالك، قالت: أما إذ أبيت فسأصدقك؛ لى ابن عم هو بعلى يخالفنى إلى جويرية لى مشوهة المنظر، فأقسمت بالأيمان المخرجة أن أطوف بغداد حتى أبذل نفسى لأقبح من أرى وجهاً وأوحش من أقدر عليه صورة، فأنا أطوف من الفجر إلى هذه الساعة فما رأيت بها أقبح منك، فبررت قسمى، وإن عاد إلى مثل فعله عدت إليك إن لم أجد أوحش منك، وهذا يسير فى جنب ما تبلغه الغيرة بصاحبها؛ ثم تولت عني وبقيت أخزى ممن دخل النار، فوالله ما ظننت يا أبا الحسن أن إفراط القبح لينتفع به حتى كان ذلك اليوم؛ قلت: هون عليك فإن القرد إنما يقع السرور به والضحك منه لتجاوزه فى قبح الصورة، قال: فاكنتم على، قلت: نعم (1).

إلا الماء:

سئل عن دعوة حضرها. فقال: كل شيء كان بها بارداً إلا الماء.

فقطعني عنه:

وكتب ابن المعتز: كتب عليّ أن أجيب داعي الأمير فانقطع شريان الغمام فقطعني عنه. فكتب إليه: إن فاتني السرور برويتك لم يفتني الأنس بلفظتك.

وقال حظرة لابن طومار:

خيالك سمر نفسي إذا نمت :: وذكرك مزاجها إذا انتبهت
ومن كلامه: رب غائب بشخصه حاضر بخلوص نفسه.

وكان الشبلى يرقص على قوله:

ورق الجو حتى قيل: هذا عتاب بين حظرة والزمان (2)

كيف حالك؟:

(1) وفيات الأعيان، 1 / 404.

(2) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص 135.

وقيل لجحظة: كيف حالك؟ فقال: كما قال الشاعر:

أي شيء رأيت أعجب من ذا :::: إن تفكرت ساعة في الزمان؟
كل شيء من السرور بوزن :::: والبلايا تكال بالقفران⁽¹⁾
ومن شعره:

إن الزمان لمن تقدم :::: في النباهة منقلب
وكان صديق الورى :::: بالحق ينطق عن لسانه⁽²⁾
قد نلت منحة ما نالها بشر :::: وحزتم نعمة ما حازها ملك
فليت شعري أمقدار تعمدكم :::: بما أتاكم به أم خولط الفلك؟⁽³⁾
وقل يتمني زوال مملكة خسيس:

سألت الله تعميراً طويلاً :::: ليهجني بخطب يعثريكم
أخاف بأن أموت وما أرتني :::: صروف الدهر ما أهواه فيكم!
والتعريض بالغدر

وأمننتني ثم عاقبتني :::: فكان أمان أبي مسلم!
من تصاحبه النذالة:

كم سألنا عن النذالة واللؤ :::: م فكانا في داره راتين⁽⁴⁾
المدعى أكارم العجم:

وأهل القرى كلهم ينتمون :::: لكسرى ادعاء فأين البيط؟⁽⁵⁾
الدعاء بإزالة الدولة:

سألت الله تعميراً طويلاً :::: ليهجني بخطب يعثريكم
أخاف بأن أموت ولن تربني :::: صروف الدهر ما أهواه فيكم⁽⁶⁾

(1) معجم الأدباء، 1/ 86.

(2) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 49/1.

(3) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 78/1.

(4) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 139/1.

(5) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 161/1.

(6) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 186/1.

شكاية من لا يعود إخوانه:

مرضت فلم يكن في الأرض حرّ :: يشرفني ببرّ أو سلام
وضنّوا بالعبادة وهي أجر :: كأن عيادي بذل الطعام⁽¹⁾

ترك مبيع لغلائه:

وأنشد جحظة هذا البيت:

إلا الدقيق فإنه قوت لنا :: فإذا غلا يوماً فقد نزل البلا⁽²⁾

ما معنى مانع نفسه؟:

وقال جحظة: رأيت سوقياً ينادي على جدي علقه يقول: هذا مانع نفسه. فقلت له: ما معنى مانع نفسه؟ فقال: يا سيدي لا يقدر أحد أن يأكل منه لقمتين لسمنه. قال: ورأيت آخر وهو يقول زبد في أديم. وقال جراب الدولة: ورأيت ثلاثة من الهراسين على بقعة، وهم يتكايدون في مدح هرائسهم، فواحد أخرج قطعة هريسة علقها بالمغرفة وهو يقول: أنزل ولك الأمان، وآخر يقول: يا قوم ألقوني أدركوني أجذبها، وتجذبني والغلبة لها، والثالث يقول: أنا لا أدري من أكل من هريستي لقمتين أضاء ببوله سراج شهرين⁽³⁾.

متعذر لفقره بأن الجود فوق ماله:

جاء الشتاء وما عندي له ورق :: مما وهبت، ولا عندي له خلع
كانت فبدها جود ولعت به :: وللمساكين أيضاً بالندى ولع

معاتبة الدهر لتقديم جاهل وتأخير فاضل:

غلط الدهر بما أعطاكم :: وفعال الدهر جهل وغلط
استقبح مطل قادر:

إذا كانت صلاتكم رقاعاً :: تخطط بالأنامل والأكف

(1) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 197/1.

(2) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 214/1.

(3) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 216/1.

- ولم تكن الرقاع تجر نفعاً :: فما خطي خذوه بألف ألف
المتشفع بكرم مسؤولة:
- وما لي حق واجب غير أنني :: إليكم بكم في حاجتي أتوسل
عذر من أفقره الجود:
- جاء الشتاء وما عندي له ورق :: فيما عددت ولا عندي له خلع
كانت فبدها جود ولعت به :: وللمساكين أيضاً بالندى ولع
الحزين الهارب مخافة أن يسأل:
- إذا ذكر الناس التطول أرعدت :: فرائصه خوفاً لذكر التطول
الصداقة والصحبة:
- وإذا جفاني صاحب :: لم أسْتَجِرْ ما عشتُ قَطَعَهُ
- وتركته مثل القبو :: ر (القبور) أزورها في كل جمعة
- لا تعدن للزمان صديقاً :: وأعد الزمان للأصدقاء
- إني إذا ما خلُّ خادعه :: عني الزمان فحال عن عهدي
- جانيته ولو أنه عمري :: وقطعته ولو أنه زندي
- من دعا صديقه ووصف له طعامه وشرابه:
- كتب لحظة إلى صديق له:
- لنا يا أخي فرحة وافره :: وقدر موفرة حاضره
وراح تريك إذا صففت :: سنا البرق في الليلة الماطره
ومسمعة لم يخنها الصواب :: وزامرة أيمًا زامره
وما شئت من خبر نادر :: ونادرة بعدها نادره
فواف وإن كنت يا بن الكرام :: وحاشاك في الساعة الآخرة
- مدح القائم بخدمة الضيف:
- يا أم طارق ليل قد ألم بنا :: استغمني أجره فالأجر مغتنم
كوي له أمة فيما يحل له :: ورفهيه ففهي ترفيهه كرم
من لا تمس يده ضيفه طعامه:

- طوبى لمن يشبع من خبزكم :: فهو على مهجته آمن
الاعتذار إلى من قللت زيارته:
- فإن يك عن لقائك غاب وجهي :: فلم تغب المودة والإخاء
ولم يزل الثناء عليك ترى :: بظهر الغيب يتبعه الثناء
تمني عود الأيام السالفة:
- ألا ليت عيشاً أولاً كر راجعاً :: وإلا فعيشٌ آخرٌ مثل أول
تسلط أيام البين على وصف الأحباب:
- جرت نوب الأيام بيني وبينه :: فلم يبق إلا ما أعيد من الذكر
تباطؤ الصبح:
- وليلي في كوكبه حرانٌ :: فليس لطوله منه انقضاء
عدمت محاسن الإصباح فيه :: كان الليل جوذاً أو رفاء
وأنشد جحظة لنفسه:
- الحمد لله ليس لي كاتب :: ولا على باب منزلي حاجب
ولا حمار إذا عزمت على :: ركوبه، قيل: جحظة راكب
ولا قميص يكون لي بدلاً :: مخافة من قميصي الذهاب
وأجرة البيت فهي مقرحة :: أجفان عيني بالوابل الساكب
إن زارني صاحب عزمت على :: بيع كتاب لشبعة الصاحب
أصبحت في معشر تشمتهم :: فرض من الله لازب واجب
فيهم صديق في عرسه عجب :: إذا تأملت، أمرها عاجب
تحسبها حرة وحافرهما :: أرق من شعر خالد الكاتب
وأنشد لنفسه:
- أحمد لله لم أقل قط: يا بد :: ر ويا منصفاً ويا كافور
لا، ولا قلت: أين أين الشوا :: هين ووزاننا وأين البذور
لا ولا قيل: قد أتاك من الضي :: عة بر موفر وشعير
وأتاك العطاء بالند لما :: قيل لي إن في الخزين بخور
أنا خلو من الممالك والألم :: لك جلد على البلا وصبور

- ليس إلا كيسرة وقديح :: وخليق أتت عليه الدهور
قال جحظة: ومررت بوقاد يوقد في التنور ويغني:
- أنا أهواك نور الـ :: ه فافعل ما بدا لك
إن تكن تمنعني شـخ :: صك فابذل لي خيالك
قد أخذت الدن والطن :: بور والكلب فمالك؟
قل لمن جنبك القم :: موث من دسك والك
وله أيضاً:
- ولي صاحب زرتة للسلا :: م فقابلني بالحجاب الصراح
وقالوا تغيب عن داره :: لخوف غريم ملح وقاح
ولو كان عن داره غائباً :: لأدخلني أهله للنكاح
وقال يستزير بعض إخوانه:
- لنا يا أخي زلة وافره :: وقدر معجلة حاضره
وراح تزيل إذا صفقت :: سنا البرق في الليلة الماطره
ومسمعة لم يخنها الصوا :: ب وزامرة أيما زامره
وما شئت من خير نادر :: ونادرة بعدها نادره
فأت ولو كنت يا ابن الكرام :: حاشاك من ذاك في الآخره
وأنشد لنفسه أيضاً:
- ما زارني في الحبس من نادمته :: كأسين: كأس مودة ومدام
بخلوا علي وقد طلبت سلامهم :: فكأنني طالبتهم بطعام
وأنشد أيضاً لنفسه:
- وذي جدة طلبت إليه برأ :: من الجلساء مذموم الخلائق
فأقسم أنه رجل فقير :: أرانيه المهيمن وهو صادق
كأنني بالمنازل عن قليل :: خلون من المطرزة النمارق
وقد ظفر النساء بما تركتم :: فصار لماهر بالنيك حاذق
وأنشد أيضاً لنفسه في أماليه:
- وقائل قال لي: من أنت؟ قلت له :: مقال ذي حكمه وات له الحكم

لست الذي تعرف البطحاء وطأته :: والبيت يعرفه والحل والحرم
أنا الذي دينه إسعاف سائله :: والضر يعرفه والبؤس والعدم
أنا الذي حب أهل البيت أفقره :: فالعدل مستعبر والجور مبتسم
وله أيضاً:

ولي كبد لا يصلح الطب سقمها :: من الوجد لا تنفك دامية حرى
فيا ليت شعري والظنون كثيرة :: أشعري من بت أرعى له الشعري
وله أيضاً:

شكري لإحسانك شكر امرئ :: يستوهب الإحسان من واهبه
وكيف لا أشكر من لا أرى :: في منزلي إلا الذي جاد به
وأنشد جحظة لنفسه في أماليه.

حسبي ضجرت من الأدب :: ورأيتُه سبب العطب
وهجرت إعراب الكلام :: وما حفظت من الخطب
ورهننت ديوان النقا :: نض واسترحت من التعب
وله أيضاً:

لا تعجبي يا هند من :: حالي فما فيها عجب
إن الزمان بمن تقد :: م في النباهة منقلب
فالجهل يضطهد الحجى :: والرأس يعلوه الذنب⁽¹⁾
علي يا أبا الحسن كيف شئت:

حدث غرس النعمة في كتاب الهفوات قال: كان جحظة لما أسن يفسو
في مجالسه، فيلقى من يعاشره منه جهداً. قال الحسين بن العباس: وكنت
أحب غناه، والكتابة عنه، لما عنده من الآداب، وكان يستطيب عشارتي،
وكنت إذا جلست عنده أخذته غلبة الريح، فجنته يوماً في مجلس الأدب،
والناس عنده، وهو يملئ، فلما خفوا، قال لي ولآخر كان معي: اجلسا
عندي حتى أقعدكما على أسود، وأطعمكما طباهة بكبود، وأسقيكما من

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 1/ 87.

معتقة اليهود، وأبحركما بعنبر وعود، أطيّب من الندود، وأغنيكما غناء المشدود، فقلت: هذا موضع السجود، وجلسنا، وصديقي لا يعرف خلقه في الفساء، وأنا قد أخذت الريح فوقيّ، فوفى لنا بجميع ما ذكره، وقال لنا، وقد غنى وشربنا: نحن بالغداة علماء وبالعشي في صورة المخنكرين، فلما أخذ النبيذ منه، أخذ يفسو، وصديقي يغمزني ويتعجب، فأقول له: إن ذلك عادته وخلقته، وإن سبيله أن يحتمل، إلى أن غني صوتاً من الشعر، والصنعة له فيه، وكان يجيده:

إن بالخير قساقـد مجـن :: فـتن الرهبـان فيها وافـتن
ترك الإنجيل حيناً للصبـا :: ورأى الدنيا مجوناً فـركـن
قال: فطرب عليه صديقي طرباً شديداً، واستحسنه كثيراً، وأراد أن يقول له: أحسنت والله يا أبا الحسن. فقال له ما في نفسه يتردد من أمر الفساء: أفس علي يا أبا الحسن كيف شئت، فخل جحظة، واخل الفتى، انصرفنا.

أفرغ من فؤاد أم موسى:

وحدث الخطيب، عن أبي الفرج الإصبهاني، قال: حدثني جحظة قال: اتصلت علي إضاقة، أنفقت فيها كل ما أملكه، حتى بقيت ليس في داري سوى البواري، فأصبحت يوماً، وأنا أفلس من طنبور بلا وتر، كما في المثل، ففكرت كيف أعمل، فوقع لي أن أكتب إلى محبرة بن أبي عباد الكاتب، وكنت أجاوره، وكان قد ترك التصرف قبل ذلك بسنتين، وحالفه النقرس، فأزمنه حتى صار لا يتمكن من التصرف إلا محمولاً على الأيدي أو في محفة، وكان مع ذلك على غاية الظرف، وكبر النفس، وعظم الهمة، ومواصلة الشرب والقصف، فأردت أن أطيّب عليه ليدعوني، فأخذ منه ما أنفقه مدة، فكتبت إليه:

ماذا ترى في جـدي :: وفي عقـار بـوارد
وقهـوة ذات لـون :: يحكى خـدود الخـزائد

ومسمع يـــــــتغنى :: من آل يحيى بن خالد
 إن المضـــــــيع هـــــــذا :: نزر المـــــــروءة بـــــــارد
 فما شعرت إلا بمحفة محبرة يحملها غلمانها إلى داري، وأنا جالس
 على بابي، فقلت له: لم جئت؟ ومن دعاك؟ فقال: أنت، فقلت: إنما قلت
 لك: ماذا ترى في هذا؟ وعנית في بيتك، وما قلت لك: إنه في بيتي،
 وبيتي والله أفرغ من فؤاد أم موسى، فقال: الآن قد جئت ولا أرجع، ولكن
 أدخل إليك، وأستدعي من داري ما أريد، قلت: ذاك إليك، فدخل، فلم ير
 في بيتي إلا بارية، فقال: يا أبا الحسن، هذا والله فقر مطيح، هذا ضر
 مدقع، ما هذا؟ قلت: هو والله ما ترى، فأنفذ إلى داره، فاستدعى فرشاً
 وآلة وقماشاً وغلماناً، وجاء فراشوه ففرشوا ذلك، وجاء وافر الصفر
 والشمع وغير ذلك مما يحتاج إليه، وجاء طباخه بما كان في مطبخه،
 وهو شيء كثير، بآلات ذلك، وجاء شرايبه بالأواني والمخروط والفاكهة
 وآلة التبخير والبخور وألوان الأنبذة، وجلس يومه ذلك وليلته عندي،
 يشرب على غنائي وغناء مغنية أحضرها، كنت ألقنها، فلما كان من الغد
 سلم إلى غلامه كيساً فيه ألف درهم، ورزمة ثياب صحاح، ومقطوعة من
 فاخر الثياب، واستدعى محفة فجلس فيها، وشيعته، فلما بلغ آخر
 الصحن، قال: مكانك يا أبا الحسن، احفظ بابك، فكل ما في دارك لك، فلا
 تدع أحداً يحمل منه شيئاً، وقال للغلمان: اخرجوا، فخرجوا بين يديه،
 وأغلقت الباب على قماش بألوف كثيرة.

وأنشد السلامي لجحظة في سعد الحاجب:

يا سعد إنك قد خدمت ثلاثة :: كل عليه منك وسم لائح
 وأراك تخدم رابعاً لتميته :: رفقاُ به فالشيخ شيخ صالح
 يا خادم الوزراء إنك عندهم :: سعد ولكن أنت سعد الذابح⁽¹⁾
 وحسبنا الله ونعم الوكيل:

وحدث جحظة قال: دخلت، وأنا في بقايا علة، على كاتب، قال ابن بشران، على هارون ابن عريب الخالي، فقدم إلينا مضيرة عصبان(طعام)، فأمعنت فيها، فقال: - جعلت فداك - أنت عليل، وبدنك نحيل، والعصب ثقيل، واللبن يستحيل، فقلت له: والعظيم الجليل، المفضل المنيل، لا تركت منها كثيراً ولا قليلاً، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فغضب علي فضر بني عشرين مقرعة، فقلت:

ولي صاحب لا قدس الله روحه :: وكان من الخيرات غير قريب
أكلت عصيداً عنده في مضيرة :: فيالك من يوم علي عصيب
وأما إذا كانت حامضةً فلا!:

قال: ودخلت إليه يوماً آخر، فقدم إلي لوزينجاً (حلوي) لها أيام وقد حمضت، فأخذت أمعن في أكلها، فقال لي: إن اللوزينج إذا كان بالجوز أبشم وإذا كان باللوز أتخم، فقلت: نعم يا سيدي إذا كانت لوزينجاً، وأما إذا كانت حامضةً فلا!

فأضحت كالسواء على السماء:

وحدث عبد الله بن المعتز، قال: عربد ابن أبي العلاء على جحظة بحضرتي، فأمرت بتنحية جحظة إلى أن رضي أحمد، فكتب إلي جحة:
أليس من العجائب أن مثلي :: يقام لأحمد بن أبي العلاء
ولي نفس أبت إلا ارتفاعاً :: فأضحت كالسواء على السماء
لقد غضب الزمان على أناس :: فأبلاهم بأولاد الزناء
يا قاتل القطائف:

قال جحظة: سلمت على بعض الرساء وكان مبخلاً، فلما أردت الانصراف قال لي: يا أبا الحسن، إيش يقول في قطائف تأتيه؟ ولم يكن له بذلك عادة؟ فقلت: ما أبى ذلك، فأحضر لي جاماً فيه قطائف، قد خمت فأرجفت فيها، وصادفت مني سغبة، وهو ينظر إلي شزراً، فقال لي: يا أبا الحسن، إن القطائف إذا كانت بجوز أتخمتك، وإذا كانت بلوز أبشمتك،

قال: فقلت: هذا إذا كانت قطائف، أما إذا كانت مصوصاً فلا. وعملت لوقتني هذه الأبيات:

دعاني صديق لي لأكل القطائف :: فأمنت فيها آمناً غير خائف
فقال، وقد أوجعت بالأكل قلبه :: رويدك، مهلاً، فهي إحدى المتالف
فقلت له: ما إن سمعنا بهالك :: ينادى عليه: يا قتيل القطائف
والله حتى يحفظ تلك السورة:

وحدث أبو الفرج الإصبهاني قال: دعاني محمد بن النشار يوماً، ودعا جحظة، وأطال حبس الطعام جداً، وجاع جحظة، فأخذ دواة وبياضاً وكتب:
مالي وللنشار وأولاده :: لا قدس الوالد والوالده
قد حفظا القرآن واستعملوا :: ما فيه إلا سورة المائدة
ورمى بها إلي، فقرأتها، ودفعتها إلى ابن النشار، فقرأها، ووثب مسرعاً، فقدم المائدة، فقاطعه جحظة، فكان يجهد جهده أن يجيئه فلا يفعل، فإذا عاتبناه قال: والله حتى يحفظ تلك السورة.
وله أيضاً:

يطول علي الليل حتى أمله :: فأجلس والنوام في غفلة عني
فلا أنا بالراضي من الدهر فعله :: ولا الدهر يرضى بالذي ناله مني⁽¹⁾
إذا حضرت بين هذين الأسدين ضعت أنت وطنبورك:

وحدث جحظة في أماليه: دخلت إلى عريب المأمونية مع شروين المغني، وأبي العبيس المغني، وأنا يومئذ غلام على قباء ومنطقة، وأنكرتني، وسألت عني، فأخبرها شروين، وقال لها: هذا فتى من أهلك، هذا ابن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي، وهو يغني بالطنبور، فأدنتني، وقربت مجلسي، ودعت بطنبور، وأمرتني أن أغني، فغنيت أصواتاً، فقالت: أحسنت يا بني، ولتكونن مغنياً، ولكن إذا حضرت

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 1/ 89.

بين هذين الأسدین ضعت أنت وطنبورك، تعني بين عوديهما، وأمرت لي بمائة دينار.

وأنشد لنفسه في أماليه:

دعيني من العذل أين الكبير؟ :: بحرمة معبودك الأكبر
فلمست بياك على ظاعن :: ولا طلل محول مقفر
ولكن بكائي على ماجد :: أراد نوالاً فلم يقدر

وأنشد فيه لنفسه:

مرضت فلم يعدني في شكاتي :: من الإخوان ذو كرم وخير
فإن مرضوا، ولأيام حكم :: سيفذ في الكبير وفي الصغير
غدوت على المدامة والملاهي :: وإن ماتوا حزنت على القبور

وأنشد فيه لنفسه:

يا راقداً، ونسيم الورد منتبه :: في ربة القفص والأطيار تنتحب
الورد ضيف، فلا تجهل كرامته :: وهاتها قهوة في الكاس تلتهب
سقياً له زائراً تحيا النفوس به :: يجود بالوصل حيناً ثم يجتنب
تباً لحر رآه وهو ذو جدة :: لم يقض من حقه بالشرب ما يجب

وقد قال جحظة:

ناديت عمراً، وقد مالت بجانبه :: مدامة، أخذت بالراس والقدم
قد لاح في الدير نار الراهبين وقد :: ناداك بالصبح ناقوساهما، فقم
فقام يعثر في أثواب نعسته :: لبزل صافية كالنجم في الظلم
فاستلها، وشدا، والكأس في يده: :: سلم على الربع من سلمى بذى سلم
لو دام لي في الورى خل وعاتقة :: لما حفلت بذى قربي ولا رحم
ولا بكرت إلى حلو لنائله :: ولا التفت إلى شيء من النعم⁽¹⁾

فأنا على أي شيء أطرب؟:

قال جحظة: ربحت بأكلة افتديتها مع الحسن ابن مخلد خمسمائة دينار،

وخمسمائة درهم، وخمسة أثواب فاخرة، وعتيدة طيبة سرية، فقيل له: كيف كان ذلك؟ فقال: كان الحسن بن مخذ بخيلاً على الطعام، سمحاً بالمال، وكان يأخذ ندماءه بغتة، فيسقيهم النبيذ، ويؤاكلهم فمن أكل قتله قتلاً، ومن شرب معه على الخسف حظي عنده، قال: فكنت عنده يوماً، فقال لي: يا أبا الحسن، قد عملت غداً على الصبوح الجاشري فبت عندي، فقلت: لا يمكنني، ولكني أباركك قبل الوقت، فعلى أي شيء عملت أن تصطبيح؟ فقال: قد أعد لنا كذا وكذا، ووصف ما تقدم به إلى الطباخ بعمله، فecedنا الرأي أن أباركه، وقمت وجئت إلى منزلي، ودعوت طباخي فتقدمت إليه بأن يصلح لي مثل ذلك بعينه، ويفرغ منه وقت العتمة، ففعل، ونمت، وقمت وقد مضى نصف الليل، فأكلت ما أصلح، وغسلت يدي وأسرج لي وأنا عامل على المضي إليه، إذ طرقتني رسله، فجنّته، فقال: بحياتي أكلت؟ قلت: أعيدك بالله، انصرفت من عندك قبل الغروب، وهذا نصف الليل، فأى وقت أصلح لي شيء؟ أو أي وقت أكلت شيئاً؟ سل غلمانك على أي حال وجدوني، فقالوا: وجدناه يا سيدنا وقد لبس ثيابه، وهو ينتظر أن يفرغ له من إسراج بغلته ليركبها، فسر بذلك سروراً شديداً، وقدم الطعام، فما كان في فضل أشمه، فأمسكت عن تشعبيه ضرورة، وهو يستدعي أكلي، ولو أكلت أحل دمي، قال: وكذا كانت عادته، فأقول: هو ذا أكل يا سيدي أفي الدنيا أحد يأكل أكثر من هذا؟ وانقضى الأكل، وجلسنا على الشرب، فجعلت أشرب بأرطال، وهو يفرح، وعنده أنى أشرب على الرقيق، أو على ذلك الأكل الذي جلست معه، ثم أمرني بالغناء، فغنيت، فاستطاب ذلك، وطرب، وشرب أرطالاً، فلما رأيت النبيذ قد عمل فيه، قلت: يا سيدي تطرب أنت على غنائي، فأنا على أي شيء أطرب؟ فقال: يا غلام هات دواة، فأحضرها، فكتب لي رقعة ورمى بها غلي، وإذا هي على صيرفي يعامله بخمسمائة دينار، فأخذتها وشكرته، ثم غنيته، وطرب وزاد سكره، فطلبت منه ثياباً، فخلع

علي خمسة أثواب، ثم أمر أن يبخر كل ما بين يديه، فأحضرت عتيدة حسنة سرية فيها طيب كثير، فأخذ الغلمان يبخرون منها للناس، فلما انتهوا إلي، قلت: يا سيدي: وأنا أَرْضَى أن أتبخر فحسب؟ فقال لي: ما تريد؟ قلت: أريد نصيبي من العتيدة، قال: قد وهبتها لك، فأخذتها، وشرب بعد ذلك رطلاً، واتكأ على مسورته، وكذا كانت عادته، إذا سكر، فقام الناس من مجلسه، وقمت وقد طلع الفجر وأضاء، وهو وقت يبكر الناس في حوائجهم، فخرجت كأني لص قد خرج من بيت قوم على قفا غلامي الثياب والعتيدة كلها، فصرت إلى منزلي ونمت نومة، ثم ركبت إلى رب عون أريد الصيرفي، فأوصلت إليه الرقعة، فقال: يا سيدي أنت لا رجل المسمى في التوقيع؟ قلت: نعم، قال: أنت تعلم أن مثلنا يعاملون للفائدة، قلت: أجل، قال: ورسمنا أن نعطي في مثل هذا ما يكسر في كل دينار درهماً، فقلت له: ليس أضيائك في هذا القدر، فقال: ما قلت هذا إلا لأربح عليك الكبير أيمًا أحب إليك: أن تأخذ كما يأخذ الناس، وهو ما قد عرفتكَ، أو تجلس مكانك إلى الظهر، حتى أفرغ من شغلي، ثم تركب معي إلى داري، فتقيم عندي اليوم والليلة تشرب، فقد والله سمعت بك، وكنت أتمنى أن أسمعك، ووقعت الآن لي رخيصةً، فإذا فعلت هذا، دفعت إليك الدنانير من غير خسران، فقلت: أقيم عندك، فجعل الرقعة في كفه، وأقبل على شغله، فلما دنا الظهر، جاء غلامه ببغلة فارهة، فركب وركبت معه، وصرنا إلى دار سرية حسنة، بفاخر الفرش والآلات، ليس فيها إلا جوار روم للخدمة من غير فحل، فتركني في مجلسه، ودخل، ثم خرج بثياب أولاد الخلفاء من حمام داره، وتبخر وبخرنى بيده بند عتيق جيد، وأكلنا أسرى الطعام وأنظفه، وقمنا إلى مجلس سري للشرب، فيه فواكه وآلات بمال، وشربنا ليلتنا، فكانت ليلتي عنده أطيب من أختها عند الحسن بن مخلد، فلما أصبحنا، أخرج كيسين، في أحدهما دنانير، وفي الأخرى دراهم، فوزن خمسمائة دينار، وخمسمائة درهم، وقال: يا سيدي تلك ما

أمرت به، وهذه الدراهم هدية مني إليك، فأخذتها وصار الصيرفي صديقي، وداره لي⁽¹⁾.

ولكن كان يبقى إلى أن تستوفي أجرتك:

حدث ابن سيف الكاتب الراوية، قال: رأيت جحظة قد دعا بناءً ليبيني له حائطاً فحضر، فلما أمسى اقتضى البناء الأجرة، فتماكسا وذلك أن الرجل طلب عشرين درهماً؛ فقال جحظة: إنما عملت يا هذا نصف يوم وتطلب عشرين درهماً؟ قال: أنت لا تدري، إني قد بنيت لك حائطاً يبقى مائة سنة؛ فبينما هما كذلك وجب الحائط وسقط؛ فقال جحظة: هذا عملك الحسن؟ قال: فأردت أن يبقى ألف سنة؟ قال: لا، ولكن كان يبقى إلى أن تستوفي أجرتك. فضحك - أضحك الله سنه - (2).

أهكذا كان أبوك يغنيك؟:

وقال لنا أبو يوسف: قال جحظة: حضرت مجلساً فيه جماعة من وجوه الكتاب، وعندنا قينةٌ محسنةٌ حاضرة النادرة، فقال لها بعضهم: بحياتي عليك غني لي:

لست مني ولست منك فدعني :: وامض عني مصاحباً بسلام
فقال: أهكذا كان أبوك يغنيك؟ فأخجلته.

والله لو كلت بها حسناتٍ ما قبلتها:

اشترى مديني رطباً، فأخرج صاحب الرطب كيلجةً صغيرةً ليكيل بها، فقال المديني: والله لو كلت بها حسناتٍ ما قبلتها (3).

ما البعجة؟:

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 1/ 91.

(2) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1424 هـ 2003 م، 35/1.

(3) أبو حيان علي بن محمد ابن العباس التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، 241/1.

وحدث جحظة في أماليه قال: كنت يوماً في مجلس ثعلب، فقال له رجل ياسيدي: ما البعجة؟ قال: لا أعرفها في كلام العرب، فقال الرجل: فإني وجدتها في شعر عبد الصمد بن المعذل حيث يقول:

أعــــاذلتي أقصــــري :: أبــــع جــــدتى بــــالمنن
فاغتاظ أبو العباس غيظاً عظيماً وقال: يا قوم، أجيّدوا أذنيه عركاً، أو يحلف أنه لا يرجع يحضر حلقتي، ففعلنا(1)

كلوا بين يديه حتى يعرق:

استأذن جحظة على صديق له مبخل؛ فقال غلمانه: هو محموم؛ فقال لهم: كلوا بين يديه حتى يعرق.

ما رأيت أذل من الرغيف في يدك:

وقال جحظة: أكلت مع بخيل مرة؛ فقال لي: يا هذا، ما رأيت أذل من الرغيف في يدك (2).

ولا يكاد يوجد:

قال جحظة: قال لي ثعلب: ' المرأة الصالحة كالغراب الأعصم '، وهو الأبيض الرجلين، ولا يكاد يوجد (3).

ومن حكمه:

وللمساكين أيضاً بالندى ولع.

وقال أيضاً:

وأفة التبر ضعف منتقده.

وقال أيضاً:

متى يلتقي الميت والغاسل؟

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدياء، 211/1.

(2) الأبي، نثر الدر، 196/3.

(3) الأبي، نثر الدر، 81/7.

وقال أيضا:

لا تعدن للزمان صديقا :: وأعد الزمان للأصدقاء

وقال أيضا:

وما كذب الذي قد قال قبلي :: إذا ما مر يوم مر بعضي

وقال أيضا:

إذا الشهر حل ولا رزق لي :: فعدي لأيامه باطل

وقال أيضا:

وإذا جفاني جاهل :: لم أستخر ما عشت قطعه

وجعلته مثل القبو :: رزوره في كل جمعه⁽¹⁾

يكذب عليّ وأكذب عليه:

قال جحظة: قال لي بعض إخواني: رأيت إنساناً يشتم مخنثاً أقبح الشتم والمخنث يجيبه من المدح والتفضيل له بأحسن ما يكون، فلما طال الأمر بينهما التفت المخنث فقال لي: يكذب - وحياتك - عليّ وأكذب عليه، فضحكت سائر يومي من قوله⁽²⁾.

فحيرني حسنهما:

قال جحظة: وصف لي خياط يقول الشعر، فذهبت إليه لأسمع وأهزأ به، فأستشده فأنشدني:

أيام من وصله نعم :: ويا من قوله نعم

تقول لقد سعى الواشو :: ن في التحريش لا سلموا

وقد راموا قطيعتنا :: فقلت له: أنا هم

قال: فحيرني حسنهما⁽³⁾.

فلا تطمع:

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 3/ 98.

(2) الخالديان، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين، 83/1.

(3) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 5/1.

قال جحظة: سألت رجل رجلًا عن جارة له أراد أن يتزوجها، فقال: إن كنت تريدها خالصة لك من دون المسلمين فلا تطمع⁽¹⁾.

الفضة أخذت الفضة:

قال جحظة: فقدت مشربة من فضة في دار بعض الرؤساء الجلة، فوجه إلى ابن خامان المنجم فحسب فقال: المشربة سرقت نفسها، فضحك منه فغاضه ذلك فقال: هل في الدار جارية يقال لها فضة؟ فأحضرناها فقال: هذه أخذتها، فسألناها فأقرت، فقال: الفضة أخذت الفضة، وخرج غضبان، فوصل بمال، فحلف بالطلاق أنه لا يقبل شيئاً⁽²⁾.

وهؤلاء بنوهم:

قال جحظة: دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يوماً، فجاءه مشيخة، فأمرهم بالجلوس عن يمينه، وجاء كهول فأمرهم بالجلوس عن شماله، ودخل أحداث فوقفوا بين يديه ولم يأمرهم بالجلوس. فسألتهم عنهم، فقال: هؤلاء بني، وأوماً إلى الشيوخ، وهؤلاء بنوهم وأوماً إلى الكهول، وهؤلاء بنوهم وأوماً إلى الأحداث⁽³⁾.

جحظة يصف ضيق العيش:

ألم جحظة البرمكي بهذا المعنى فقال:

إني رضيت من الرحيق :: بشراب تمر كالعقيق
ورضيت من أكل السمي :: ذبأكل مسودّ الدقيق
ورضيت من سعة الصحو :: ن بمنزل ضنك وضيق
وجعلت تغريد الحمّا :: مة منزلي عند الشروق
فغدوت كسرى صاحب ال :: إيوان والعيش الأنيق
وحجبت نفسي عن حجا :: ب الباخين ذوي الطريق

(1) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 64/1.

(2) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 309/1.

(3) أبو الفرج الأصبهاني، الديارات، 20/1.

القـاطـعـين مخافـة ال :: إنفاق أسباب الصديق⁽¹⁾

وقال جحظة البرمكي في صفة ثقيل:

يا لفظـة النـعي بمـوت الخـليل :: يا وقـفة التـوديع بـين الحمـول
يا شـربة الـيارج يا أجـرة المـنزل :: يا وـجـه العـدو الثـقيل
يا طـلعة النـعش ويا مـنزلـا :: أقـفر مـن بـعد الأنيـس الخـلول
يا فـهضة الخـبـوب مـن غـضبة :: يا نـعمة قـد آذنت بالـرحيل
ويا كـتابـا جـاء مـن مـخلف :: للوعد مـملوء بـعذر طـويل
يا بـكرة الشـكلى إـلى حـفرة :: مـستودع فـيها عـزيز الشـكول
يا وثـبة الحـافظ مـستعجـلا :: بـصرفه القـينات عـند الأـصيل
ويا طـيب قـد أتى بـاكراً :: عـلى أخـي سـقم بمـاء البـقول
يا شـوكة فـي قـدم رـخصة :: لـيس إـلى إـخراجـها مـن سـبيل
يا عـشرة المـجذوم فـي رـحله :: ويا صـعود السـعر عـند المـعيل
يا ردة الحـاجب عـن قـسوة :: يا نـكسة بـعد بـراء العـليل!⁽²⁾

وعلى أثر قبـح الصـورة يـقول بـعض الشـعراء فـي جحظة:

مـن كان مـشتاقاً إـلى مـنكر :: فـجحظة أنـكر مـن مـنكر
لو عـذب اللـه بـه نـاره :: أطـفأها بـرداً ولم تـزفر⁽³⁾

لأنـي أشـبعت مـن أجـعته :

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف التتوخي، قال: حدثني أبو علي بن الأعرابي الشاعر قال: كنت في دعوة جحظة، فأكلنا، وجلسنا نشرب، وهو يغني، إذ دخل رجل، فقدم إليه جحظة زلة كان زلها له من طعامه ونحن نأكل، وكان بخيلاً على الطعام.

قال: وكان الرجل، كان طاوي سبع، فأتى على الزلة، وشال الطيفورية فارغة، وجحظة يرمقه بغيط، ونحن نلمح جحظة، ونضحك.

(1) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، 68/1.

(2) اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، 151/1.

(3) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، 99/1.

فلما فرغ، قال له جحظة: تلعب معي بالنرد (الطاولة)؟ فقال: نعم.
فوضعاها بينهما، ولعبا، فتوالى الغلب على جحظة من الرجل، بأن
تجيء الفصوص على ما يريد الرجل من الأعداد.
فأخرج جحظة رأسه من قبة الخيش، إلى السماء، وقال، كأنه يخاطب
الله تعالى: لعمرى، إنني أستحق هذا، لأنني أشبعت من أبعثته(1).
فقد رحمتهم من الجوع :

قال أبو علي: حدثني أبو القاسم الحسين بن علي البغدادي، وكان أبوه
ينادم ابن الحواري، ثم نادم البريديين بالبصرة، وأقام بها سنين، قال: كان
جحظة خسیف الدين، وكان لا يصوم شهر رمضان، وكان يأكل سراً.
فكان عند أبي يوماً في شهر رمضان، مسلماً، فأجلسه.
فلما كان نصف النهار، سرق من الدار رغيفاً، ودخل المستراح،
وجلس على المقعدة.

واتفق أن دخل أبي فراه، فاستعظم ذلك، وقال: ما هذا يا أبا الحسن؟
فقال: أفت لبنات وردان ما يأكلون، فقد رحمتهم من الجوع(2).

ذنب جحظة إلى الزمان:

قال جحظة: أنشدت عبید الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، قولي:
قد نادت الدنيا على نفسها :: لو كان في العالم من يسمع
كم واثق بالعمر واريته :: وجامع بذرت ما يجمع
فقال لي: ذنبك إلى الزمان الكمال(3).

القاضي التنوخي يهدي إلى جحظة البرمكي طيلساناً:

قال: أهدى إلي أبو القاسم التنوخي القاضي، رضي الله عنه، طيلساناً

(1) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، 123/1.

(2) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، 201/1.

(3) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، 230/1.

فكثبت إليه:

قد أتى الطيلسان مستوعباً شك :::: ري في حسن منظر و رواء
 مثقلاً عاتقي وإن كان في الخف :::: ة و اللطف في قياس الهواء
 تسرح العين منه و القلب في الآ :::: ل، و في الماء، و السنا، و البهاء
 يتلقى حر الصدود ببرد ال :::: وصل و الصيف في طباع الشتاء
 يخفق الدهر في النسيم كما يخ :::: فق قلب الجبان في الهجاء
 كل جزء منه يمجد إلى الأر :::: واح روح المني و برد الوفاء
 ليس فيه للنار و الأرض حظ :::: هو من جوهري هواء و ماء
 زاد في همتي و نفسي و تأ :::: ميلي علواً و زاد في كبريائي
 فكأنني إذا تبخترت فيه :::: قد تطيلست نصف بدر السماء⁽¹⁾

* * *

(1) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، 352/1.

سليمان الأعمش

سليمان الأعمش

أعلام الظرفاء

سليمان الأعمش

الإمام، شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين، أبو محمد الأسدي، الكاهلي مولاهم، الكوفي، الحافظ.

هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، أبو محمد، الملقب بالأعمش: تابعي، مشهور. أصله من بلاد الري، ومنشؤه ووفاته في الكوفة. كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض، روي نحو 1300 حديث.

وتوفي في سنة ثمان وأربعين ومائة في شهر ربيع الأول، وقيل سنة سبع وأربعين، وقيل سنة تسع وأربعين، رحمه الله تعالى.

قال عنه الإمام الذهبي: كان رأسا في العلم النافع والعمل الصالح.

وقال السخاوي: قيل: لم ير السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش مع شدة حاجته وفقره.

قال سفيان بن عيينة: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله، وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض.

وقال يحيى القطان: هو علامة الإسلام.

قال وكيع بن الجراح: كان الأعمش قريبا من سبعين سنة لم تقته التكبير الأولى.

وقال عبد الله الخريبي: ما خلف الأعمش أعبد منه.

وقال ابن عيينة: رأيت الأعمش لبس فروا مقلوبا، وبنا تسيل خيوطه على رجله.

ثم قال: أرايتم لولا أنني تعلمت العلم، من كان يأتيني لو كنت بقالا؟ كان يقدر الناس أن يشتروا مني⁽¹⁾.

(1) انظر: طبقات ابن سعد، 6 / 342، تاريخ خليفة، ص 232، 424، طبقات خليفة، ص 164، التاريخ الصغير، 2 / 91، الجرح والتعديل، 4 / 146، مشاهير علماء

موافق من حياته:

إنه لكما قلت:

قال الأعمش: قال لي محارب بن دثار: وليت القضاء فبكى أهلي وعزلت عنه فبكوا، فما أدري مم ذاك؟ فقلت له: وليت القضاء فكرهته وجزعت منه فبكى أهلك، وعزلت عنه فكرهت العزل وجزعت منه فبكى أهلك. فقال: إنه لكما قلت.

من يعلق الدر على الخنازير؟!:

عن سفیان بن حسين، قال: خرج الأعمش إلى بعض السواد، فأتاه قوم، فسألوه عن الحديث؟

قال: فقال له جلساؤه: لو حدثت هؤلاء المساكين؟

فقال: من يعلق الدر على الخنازير؟!

أتضرب لي هذا المثل:

عن الأعمش، قال: جلست إلى إياس بن معاوية بواسط، فذكر حديثاً، فقلت: من ذكر هذا؟

فضرب لي مثل رجل من الخوارج، فقلت:

أتضرب لي هذا المثل، تريد أن أكنس الطريق بثوبي، فلا أمر ببعرة، ولا خنفس إلا حملتها؟!

أنه ليس من القريتين عظيم:

حدث الأعمش: دخل علي إبراهيم يعودني، وكان يمازحني، فقال: أما

الأمصار، ص111، حلية الأولياء، 5 / 46 - 60، تاريخ بغداد، 9 / 3، الكامل في التاريخ، 5 / 589، وفيات الأعيان، 2 / 400 - 403، تهذيب الكمال، 548 - 549، تهذيب التهذيب، 20 / 54، تاريخ الإسلام، 6 / 75، ميزان الاعتدال، 2 / 224، تذكرة الحفاظ، 1 / 154، غاية النهاية، 1 / 315، تهذيب التهذيب، 4 / 222 - 226، خلاصة تهذيب الكمال، 155، شذرات الذهب، 1 / 220 - 223، سير أعلام النبلاء، 6 / 228.

أنت، فتعرف في منزلة: أنه ليس من القريتين عظيم.

احمد الله على العافية:

حدث ابن إدريس، قال لي الأعمش: أما تعجب من عبد الملك بن أبجر، قال: جاءني رجل، فقال: إني لم أمرض، وأنا أشتهي أن أمرض؟

قال: فقلت: احمد الله على العافية. قال: أنا أشتهي أن أمرض.

قال: كل سمكا مالحا، واشرب نبيذا مريسا، واقعد في الشمس، واستمرض الله.

فجعل الأعمش يضحك، ويقول: كأنما قال له: واستشف الله عز وجل (1).

لأن أعمالهم لا تصعد إلى السماء:

عن الأعمش، قال: آية التقبل الوسوسة؛ لأن أهل الكتابين لا يدرون ما الوسوسة؛ وذلك لأن أعمالهم لا تصعد إلى السماء (2).

الناس مجانين:

عن أبي بكر بن عياش، قال:

رأيت الأعمش يلبس قميصا مقلوبا، ويقول: الناس مجانين، يجعلون الخشن مقابل جلودهم.

في عرض مصيبي فيك.:

وقيل: إن الأعمش كان له ولد مغفل، فقال له: اذهب، فاشتر لنا حبلا للغسيل. فقال: يا أبة! طول كم؟

قال: عشرة أذرع. قال: في عرض كم؟

قال: في عرض مصيبي فيك (3).

هذا علف الشاة:

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 6/ 230.

(2) سير أعلام النبلاء، 6/ 238.

(3) سير أعلام النبلاء، 6/ 239.

عن أبي بكر بن عياش، قال: كنا نسمي الأعمش سيد المحدثين، كنا نجيء إليه إذا فرغنا من الدوران، فيقول: عند من كنتم؟ فنقول: عند فلان. فيقول: طبل مخرق.

ويقول: عند من كنتم؟

فنقول: عند فلان. فيقول: طير طيار.

ونقول: عند فلان. فيقول: دف.

وكان يخرج إلينا شيئاً، فنأكله، فقلنا يوماً: لا يخرج شيئاً إلا أكلتموه. فأخرج شيئاً، فأكلناه، وأخرج، فأكلناه، فدخل، فأخرج فتيتاً، فشربناه، فدخل، وأخرج إجانة وقتاً، وقال: فعل الله بكم وفعل، أكلتم قوتي وقوت المرأة، وشربتم فتيتها، هذا علف الشاة.

قال: فمكثنا ثلاثين يوماً لا نكتب عنه، فزعا منه، حتى كلمنا إنساناً عطاراً كان يجلس إليه حتى كلمه لنا.

لا أرى أحداً يا أبا محمد:

قال أبو خالد الأحمر: سئل الأعمش عن حديث، فقال لابن المختار: ترى أحداً من أصحاب الحديث؟

فغمض عينيه، وقال: لا أرى أحداً يا أبا محمد، فحدث به.

هذا سيدنا:

قال عيسى بن موسى لابن أبي ليلى: اجمع الفقهاء؛ قال: فجمعهم، فجاء الأعمش في جبة وفرو وقد ربط وسطه بشريط فأبطأوا فقام الأعمش فقال: إن أردتم أن تعطونا شيئاً وإلا فخلوا سبيلنا، فقال عيسى المذكور: قلت لك تأتي بالفقهاء فتجيء بهذا فقال: هذا سيدنا، هذا الأعمش.

قد أخبرتها بعيوي كلها:

وجرى بينه وبين زوجته كلام، وكان يأتيه رجل يقال له أبو ليلى مكفوف

فصيح يتكلم بالإعراب يتطلب الحديث منه، فقال: يا أبا ليلي، امرأتي نشزت علي وأنا أحب أن تدخل عليها فتخبرها مكاني من الناس وموضعي عندهم، فدخل عليها وكانت من أجمل أهل الكوفة فقال: يا هنتاه إن الله قد أحسن قسمك، هذا شيخنا وسيدنا وعنه نأخذ أصل ديننا وحلالنا فلا يغرنك عموشة عينيه ولا حموشة ساقيه، فغضب الأعمش وقال: يا أعمى يا خبيث، أعمى الله قلبك كما أعمى عينيك، قد أخبرتها بعيوبي كلها؛ اخرج من بيتي.

وما عليك أن يسلموا ونسلم:

وأراد إبراهيم النخعي أن يماشيه فقال الأعمش: إن الناس إذا رأونا معاً قالوا: أعور وأعمش، قال النخعي: وما عليك أن نؤجر ويأثموا فقال له الأعمش: وما عليك أن يسلموا ونسلم.

أيكما الأعمش:

وجاء رجل يطلبه في منزله ووصل وقد خرج مع امرأته إلى المسجد فجاء فوجدهما في الطريق فقال: أيكما الأعمش فقال الأعمش: هذه، وأشار إلى المرأة (1).

وترك الأسود يخبط في الماء:

قال محمد بن حميد، حدثنا جرير قال: جئنا الأعمش يوماً فوجدناه قاعداً في ناحية فجلسنا في ناحية أخرى وفي الموضع خليج من ماء المطر، فجاء الأعمش رجل عليه، فلما بصر بالأعمش وعليه فروة حقيرة قال: قم فعبّرني هذا الخليج، وجذب يده وأقامه وركبه وقال: {سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ} [الزخرف: ١٣]. فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج فرمى به وقال: {رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} [المؤمنون: ٢٩]. ثم خرج وترك الأسود يخبط في الماء.

ما خرجت إليكم:

(1) وفيات الأعيان، 2 / 401.

وكان لطيف الخلق مزاحاً، جاءه أصحاب الحديث يوماً ليسمعوا عليه، فخرج إليهم، وقال: لولا أن في منزلي من هو أبغض إلي منكم ما خرجت إليكم.

لا بأس بها على غير وضوء:

وقال له داود بن عمر الحائك: ما تقول في الصلاة خلف الحائك(الخياط) فقال: لا بأس بها على غير وضوء، فقال: ما تقول في شهادة الحائك فقال: تقبل مع عدلين.

والله إنك لتثقل علي وأنت في بيتك:

ويقال إن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه عاده يوماً في مرضه، فطول القعود عنده، فلما عزم على القيام قال له: ما كأني إلا ثقلت عليك، فقال: والله إنك لتثقل علي وأنت في بيتك.

شفى الله مريضكم بالعافية:

وعادة أيضاً جماعة فأطالوا الجلوس عنده فضجر منهم، فأخذ وسادته وقام وقال: شفى الله مريضكم بالعافية.

من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه:

وقيل عنده يوماً: قال صلى الله عليه وسلم: "من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه: فقال: ما عمشت عيني إلا من بول الشيطان في أذني. وكانت له نوادر كثيرة.

فعليك بخاصة نفسك، والسلام:

وقال أبو معاوية الضرير: بعث هشام بن عبد الملك إلى الأعمش أن اكتب لي مناقب عثمان ومساوي علي، فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة فلاكتها، وقال لرسوله: قل له هذا جوابك، فقال له الرسول: إنه قد آلى أن يقتلني إن لم آته بجوابك، وتحمل عليه بإخوانه، فقالوا له: يا أبا محمد، افتده من القتل، فلما ألحوا عليه كتب له "بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد يا أمير المؤمنين، فلو كانت لعثمان رضي الله عنه مناقب أهل

الأرض ما نفعتك، ولو كانت لعلي رضي الله عنه مساوئ أهل الأرض ما ضرتك، فعليك بخاصة نفسك، والسلام“.

وإن عاشا إلى حين:

وكتب إلى بعض إخوانه يعزيه:

إنا نعزيك لا أنا على ثقة :: من البقاء ولكن سنة الدين
فلا المعزى بياق بعد ميتة :: ولا المعزي وإن عاشا إلى حين⁽¹⁾

واضيق مسكناه:

وقال زائدة بن قدامة: تبعت الأعمش يوماً، فأتى المقابر فدخل في قبر محفور فاضطجع فيه، ثم خرج منه وهو ينفذ التراب عن رأسه ويقول: واضيق مسكناه⁽²⁾.

إذن يرجعون بغير قضاء حاجة:

قال الحجاج بن أرطاة للأعمش: ما انتهيت حتى جاءك أشراف أهل الكوفة! فقال الأعمش: إذن يرجعون بغير قضاء حاجة.

وفقدت الأعمش من أجلكما:

وقال ابن إدريس: كنت أمشي مع الأعمش فمررنا بجماعة، فقال أحدهما: للآخر: من هذا؟ قال: سليمان الأعمش. فقال الأعمش: فقدتكما وفقدت الأعمش من أجلكما.

قال قيس بن الربيع: كنا عند الأعمش فدخل استثقلاً لنا، فما لبث أن خرج فقال: فررت منكم إلى البيت فإذا ثم من هو أثقل منكم، فرجعت إليكم، يعني زوج ابنته.

إن كففت عني وإلا تقيأتها:

وقال العباس بن يزيد: أهدى رجل إلى الأعمش بطيخة، فلما أصبح جلس الأعمش، فقال له الرجل: يا أبا محمد كيف كانت البطيخة؟

(1) وفيات الأعيان، 2 / 402.

(2) وفيات الأعيان، 2 / 403.

قال: طيبة، ثم عاد ثانية فقال: طيبة، ثم عاد الثالثة فقال الأعمش: أن كفت عني وإلا تقيأتها.

أكثر بالنصف الآخر وارجع:

وقال المدائني: جاء رجل إلى الأعمش فقال: يا أبا محمد! اكرت (استأجرت) حماراً بنصف درهم وأتيتك أسألك عن حديث كذا وكذا، فقال الأعمش: أكثر بالنصف الآخر وارجع.

وقال الربيع بن نافع: كنا نجلس إلى الأعمش فيقول: في السماء غيم. يعني ها هنا من نكره.

وقال ابن عيينة: كان الأعمش يدع أصحاب الحديث، ويذهب إلى حائك

في جواره يحدثه. استتقلاً منه لهم.

هلاً أشرت بذلك على الكباش!:

ومن نوادره رحمه الله: أنه كان يلبس جلد كبش، فجعل الفرو من الخارج والجلد من الداخل عكس ما يفعل الناس، فهابوا أن يكلموه مدة ثم تجرأ أحد تلامذته فقال: يا أبا محمد، هلا جعلت الفرو من داخل فكان أدفاً لك؟ فقال: هلاً أشرت بذلك على الكباش! الناس حمقى يجعلون الخشن مما يلي جلودهم.

كثرة فضول الحلاقين!:

ومن نوادره رحمه الله: أنه طال شعره جداً، فقال له أحد طلابه: يا أبا محمد: ما يمنعك أن تأخذ من شعرك؟ قال: كثرة فضول الحلاقين! قال التلميذ: أنا أتيتك بحلاق لا يكلمك أبداً!

حاشاك يا إمام ان تكذب على رسول الله!!:

ومن نوادره رحمه الله أنه كان عسراً في الرواية، فاحتال له طالب حريص فقال له بعد أن قضوا الصلاة على الجنازة: هل أقودك لتتبع الجنازة

يا إمام! قال: نعم فانطلق يقوده حتى أوصله إلى أطراف المدينة ثم قال له أتعلم أين أنت يا إمام!! فوالله لنتملأن الواحي من حديثك وإلا تركتك هنا ورجعت وما زال به حتى ملأ الواحة، ثم قال: الآن أرجعك، وفي طريق العودة دفع الطالب الألواح لصاحب له فلما أوصله قال: هذا بيتك يا إمام فصاح به الأعمش أيها الناس أعينوني على هذا السارق، انزعوا الألواح من يده، قال الطالب: هيهات هيهات الألواح ياشيخ فوالله لقد مضت إلى مأمنها فلما يئس منها الشيخ قال له كل ما حدثتك به كذب، قال الطالب: حاشاك يا إمام إن تكذب على رسول الله!! نقلتها من الذاكرة.

سل ابنك:

قال حفص بن غياث: رأيت إدريس الأودي جاء بابنه عبد الله إلى الأعمش فقال: يا أبا محمد هذا ابني، إن من علمه بالقرآن، إن من علمه بالفرائض، إن من علمه بالشعر، إن من علمه بالنحو، إن من علمه بالفقه، والأعمش ساكت، ثم سأل الأعمش عن شيء، فقال: سل ابنك.

دخولك:

دخل على الأعمش رجل يعوده، فقال له: ما أشد ما مر بك في علتك هذه؟ قال: دخولك.

هكذا:

قال إسحاق الأزرق: قال رجل للأعمش: كيف بت البارحة؟ قال: فدخل، فجاء بحصير ووسادة ثم استلقى وقال: هكذا.

إن الذي كان يأمر بالمعروف قد مات:

كان للأعمش كلب، وكان إذا جاءه طلابه ليأخذوا عنه الحديث أرسل فيهم الكلب فيفروا، حتي إذا كان يوم جاء الطلاب كعادتهم، فلم يجدوا الكلب، فلما أتو شيخهم وجدوه يبكي، فحين سألوه في ذلك أجابهم إن الذي كان يأمر بالمعروف قد مات.

تجر ما بعدها:

وعن أبي عبد الله الشطيري قال: كان إبراهيم يقرأ على الأعمش، فقال: قال لمن حوله ألا تستمعون، فقال الأعمش: لمن حوله، فقال: أأست أخبرتني إن من تجر ما بعدها (1).

أنا رسول الخاشعين إليك بأنك ثقیل:

وعن مندل بن علي قال خرج الأعمش ذات يوم من منزله بسحر، فمر بمسجد بني أسد وقد أقام المؤذن الصلاة، فدخل يصلي، فافتتح الإمام الركعة الأولى بالبقرة، ثم في الركعة الثانية آل عمران، فلما انصرف قال له الأعمش: أما تتقي الله؟ أما سمعت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أم الناس فليخفف، فإن خلفه الكبير والضعيف وذو الحاجة: فقال الإمام: ق_____ال الله عز وجل: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} [البقرة: ٤٥]، فقال الأعمش: أنا رسول الخاشعين إليك بأنك ثقیل (2).

حدثني الأعمش عن إبراهيم قال: أتاه رجل فقال: إني ذكرت رجلاً بشيء فبلغه عني فكيف لي أن أعتذر إليه، قال: تقول: والله أن والله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء.

لا ندری أين هو:

قال إبراهيم بن هاشم عن رجل قد سماه، قال: كنا إذا خرجنا من عند إبراهيم، يقول: إن سئلتكم عني، فقولوا: لا ندری أين هو، فإنكم إذا أخرجتم لا تدرون أين أكون.

لعلمت ما لقي الحوت من هذا:

حدث أبو بكر بن عياش، قال: كان الأعمش إذا صلى الفجر جاءه القراء

(1) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، 76/1.
(2) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، 111/1.

ففرؤوا عليه، وكان أبو حصين أمامهم، فقال الأعمش يوماً: أن أبا حصين يتعلم القراءة منا لا يقوم من مجلسه كل يوم حتى يفرغ، ويتعلم بغير شكر، ثم قال لرجل ممن يقرأ عليه: إن أبا حصين يكثر أن يقرأ بالصفات في صلاة الفجر فإذا كان غدا فاقراً على الصفات، واهمز الحوت، فلما كان من الغد قرأ عليه الصفات وهمز الحوت، ولم يأخذ عليه الأعمش، فلما كان بعد يومين أو ثلاثة قرأ أبو حصين بالصفات في الفجر، فلما بلغ الحوت همز، فلما فرغوا من صلاتهم ورجع الأعمش إلى مجلسه دخل عليه بعض إخوانه فقال له الأعمش: يا أبا فلان لو صليت معنا الفجر لعلمت ما لقي الحوت من هذا المحراب فعلم أبو الحصين ما الذي فعل به، فأمر بالأعمش فسحب حتى أخرج من المسجد قال: وكان أبو حصين عظيم القدر في قومه من بني أسد⁽¹⁾.

مثل يضربه الأعمش:

سئل الأعمش عن حديث فامتنع منه، فلم يزالوا به حتى استخرجوه منه، فلما حدث له ضرب مثلاً، فقال: جاء قفاف، إلى صيرفي بدارهم يزنه إياها، فلما ذهب يزنها وجدها تنقص سبعين، فقال:

عجبت عجيبة من ذئب سوء :: أصاب فريسة من ليث غاب
فقف بكفه سبعين منها :: تنقاه من السود الصلاب
فإن أخدع فقد نخدع وتؤخذ :: عتيق الطير من جو السحاب⁽²⁾

عليك لعنة الله:

قال الأعمش: دخلت على المغيرة بن سعد، فسألته عن فضائل عليّ؛ فقال: إنك لا تحتملها؛ قلت: بلى. فذكر آدم صلوات الله عليه، فقال: عليّ خير منه، ثم ذكر من دونه من الأنبياء، فقال: عليّ خير منهم، حتى انتهى إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: عليّ مثله، فقلت: كذبت، عليك لعنة

(1) ابن الجوزي، الأذكياء، 33/1.

(2) المعافى بن زكريا، المجلس الصالح والأنيس الناصح، 22/1.

الله؛ قال: قد أعلمك أنك لا تحتملها(1).

عندك القصة في الكتاب فاقرأها:

ومرض الأعمش فأبرمه الناس بالسؤال عن حاله، فكتب قصته في كتاب وجعله عند رأسه، فإذا سأل أحد، قال: عندك القصة في الكتاب فاقرأها(2).

لأنه ثقیل السمع:

دخل رجل على الأعمش يسأله عن مسألة، فرد عليه فلم يسمع، قال له: زدني في السماع يرحمك الله. قال ما ذلك لك، ولا كرامة. قال: فبينى وبينك رجل من المسلمين. قال: فخرجا إلى الطريق، فمر بهما شريك القاضي فقال: إني حدثت هذا بحديث فلم يسمع، فسألني أن أزيده في السماع لأنه ثقیل السمع وزعم أن ذلك واجب له، فأبيت. قال له شريك: عليك أن تزيده، لأنك تقدر أن تزيد في صوتك، ولا يقدر أن يزيد في سمعه.

رمانة فشقها ووضعها بين يديه:

أتت ليلة الشك من رمضان، فكثرت الناس على الأعمش يسألونه عن الصوم، فضجر، ثم بعث إلى بيته في رمانة فشقها ووضعها بين يديه، فكان إذا نظر إلى رجل قد أقبل يريد أن يسأله تناول حبة فأكلها، فكفى الرجل السؤال ونفسه الرد.

ولكنى أعجب من قوم زوجوك:

طلبت بنت الأعمش من الأعمش حاجة، فحببها بالرد، فقالت: والله ما أعجب منك، ولكنى أعجب من قوم زوجوك.

فنكس رأسه:

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 223/1.

(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 238/1.

ودخل رقبة بن مصقلة على الأعمش، فقال: إنا والله لنأتينك فما تنفعنا، ونتخلف عنك فما تضرنا، وإن الوقوف إليك لذل، وإن تركك لحسرة، تسأل الحكمة فكأنما تسعط الخردل، وما أشبهك إلا بالصماخيون، فإنه كريبه الشربة، نافع للمعدة. فرفع رأسه الأعمش وقال: من هذا المتكلم؟ فقبل له: رقبة بن مصقلة. فنكس رأسه.

ما دعاك إلى هذا؟

وقال رجل من تلاميذ الأعمش: صنعت للأعمش طعاماً، ثم دعوته، فمضى معي وأنا أقوده، حتى سقطت رجله في حفرة يعملها الصبيان للكرة، فقال: ما هذا؟ قلت: حفرة يعملها الصبيان للكرة. قال: لا، ولكنك حفرتها لتقع رجلي فيها. والله لا أكلت عندك يومي هذا طعاماً. قال: فحملت الطعام إليه، ثم صنعت له بعد ذلك طعاماً ودعوته إليه، فقال: ادخل بنا الحمام قبل ذلك؟ فأدخلته الحمام، فلما جئت أن أصب الماء الحار على رأسه قال: ما دعاك إلى هذا؟ أردت أن تسلق قفائي، والله لا أكلت عندك يومي هذا طعاماً! قال: فحملت الطعام إليه.

فحلفناه ألا يسأله عن شيء:

وكثر الشعر على الأعمش فقلنا له: لو أخذت من شعرك؟ قال: لا أجد حجاماً يسكت حتى يفرغ. قلنا له: فإننا نأتيك بحجام ونتقدم إليه أن يسكت حتى يفرغ. قال: فافعلوا. قال: فأتيناه بحجام وأعذرنا إليه ألا يتكلم حتى ينقضي أمره، فبدأ الحجام بحلقه، فلما أمعن في حلقه سأله عن مسألة، فنفض ثيابه وقام بنصف رأسه مخلوقاً، حتى دخل بيته؛ ثم جئناه بغيره، فقال: لا والله لا أخرج إليه حتى تصوموه أو تحلقوه. فحلفناه ألا يسأله عن شيء. فخرج إليه⁽¹⁾.

لم ينقص ذلك من سيئاتك:

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 52/3.

وروي أنه كتب إسماعيل بن علي إلى الأعمش أن اكتب إلينا بمناقب علي ووجوه الطعن على عثمان، رضي الله عنهما، فكتب: لو أن علياً لقي الله جل وعز بحسنات أهل الدنيا لم يزد ذلك في حسناتك، ولو لقيه عثمان، رضي الله عنه، بسيئات أهل الأرض لم ينقص ذلك من سيئاتك⁽¹⁾.

أين السمك؟:

قال الأعمش لجليس له: أما تشتهي بناني زُرق العيون بيض البطون سود الظهر (السمك) وأرغفة باردة لينة وخلاً حاذقاً؟ قال: بلى قال: فانهض بنا قال الرجل: فنهضتُ معه فدخل منزله وقال جُرَّ تيك السلّة قال: فكشطها فإذا فيها رغيفان يابسان وسُكَّرَجَة كامخ شَبَّت قال فجعل يأكل وقال: كُل فقلت: أين السمك؟ فقال: ما عندي سمك، إنما قلت: تشتهي؟

تمام الحجّ شَجّ الجمال:

وحجّ الأعمش فلما أحرم لاحاه الجَمَّال في شيء، فرفع عكازه فشجه بها فقليل له: يا أبا محمد وأنت مُحرم؟ فقال: إن من تمام الحجّ شَجّ الجمال⁽²⁾.

دع هذا عنك:

قال محمد بن عبد الرحمن: عن رجل من قریش قال: كنت عند الأعمش فقليل: إن الحسن بن عمارة ولى للمظالم فقال: ما للحائك بن الحائك والمظالم فخرجت حتى أتيت الحسن بن عمارة وأجريته له فقال على بمنديل وأثواب فوجه بها إليه فلما كان من الغد بكرت إلى الأعمش وقلت: أجرى الحديث قبل أن يجتمع الناس فأجريته فقال: بخ بخ هذا لحسن

(1) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، 21/1.

(2) أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي، المراح في المزاح، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم - بيروت - 1418 هـ 1977م، ص 87.

بن عمارة زان العمل وما زانه فقلت بالأمس قلت ما قلت؟ واليوم تقول هذا: قال دع هذا عنك (1).

وسمع الأعمش إنساناً يلحن فقال: من هذا الذي يتكلم وقلبي منه يتألم؟ (2).

وقال الأعمش: نقض العهد مع من لا عهد له وفاء بالعهد (3).

إلا اشتكت عيني:

قال الأعمش: ما نظرت إلى ثقل إلا اشتكت عيني. وقال: ربما سألني ثقل عن مسألة فأنساها في الوقت لما ينالني منه (4).

ما تنظرين في وجهي؟ :

خرج الأعمش يوماً وهو يضحك، فقال لأصحابه: أتدرون مم أضحك؟ قالوا: لا. قال: إني كنت قاعداً في بيتي، فجعلت ابنتي تنظر في وجهي، فقلت: يا بنية، ما تنظرين في وجهي؟ قالت: أتعجب من رضا أُمي بك (5).

أنت ما وجدت أحداً تتزوجين به غير هذا؟:

خرج الأعمش يوماً إلى جماعة حضروا مجلسه ليحدثهم وهو يضحك، فسألوه عن ضحكه فقال: طلبت مني ابنتي قطعة، فقلت لها: ليس معي. فقالت لأُمها: أنت ما وجدت أحداً تتزوجين به غير هذا؟.

رأيتكم فأبغضتكم:

قال بعضهم: صرنا إلى باب الأعمش، فرأيناه واقفاً ببابه، فلما رأنا أسرع الدخول، ثم أسرع الخروج، فقلنا له في ذلك، فقال: رأيتكم

(1) أبي هلال العسكري، كتاب جمهرة الأمثال تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش، دار الفكر - دار الفكر، الطبعة الثانية، 1988، 1/ 323.

(2) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 25/1.

(3) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 133/1.

(4) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 319/1.

(5) أبو سعد منصور بن الحسين الأبي، نثر الدر، 105/2.

فأبغضتكم، فدخلت إلى من هو أبغض منكم فخرجت إليكم(1).

عين الله عليه:

جاز الأعمش يوماً بابن له صغير وهو عريان، يلعب في الطين مع الصبيان فلم يثبته، فقال لبعض من كانوا معه: انظر إلى هذا، ما أقدره من صبي وأطفسه ويجوز أن يكون أبوه أقدر منه. فقال له صاحبه: هذا ابنك محمد. ففتح عينيه ومسحهما، ونظر إليه وتأمله، ثم قال: انظروا إليه بحق الله عليكم، كيف يتقلب في الطين كأنه شبل؟ عين الله عليه(2).

برد وسعة:

واشترى جارية فقال له أصحابه: كيف رأيته؟ قال: فيها من صفة الجنة خصلتان: برد وسعة.

لا يقعد لنا في طريق الخير:

قال حفص بن غياث: أتيت باب الأعمش فسألته عن حديث، فأجاني إلى الحائط، وعصر حلقي وأفلتني، فعدوت وقلت: والله لأشكونك إلى أبي. فقال: ردوه، لا يقعد لنا في طريق الخير. وكان غياث أبوه يجرى على الأعمش(3).

فلست أترك منه واحدة:

أضاف الأعمش أعرابياً وجاءه برطب وجعل ينتقي أطيبه، فقال الأعرابي: لا تتنق منه شيئاً، فلست أترك منه واحدة.

صدق:

ومن نوادر الأعمش أن أبا جعفر المنصور وجه ببدره، وأمر بأن تدفع إلى أفعه أهل الكوفة، فأتى بها أبو حنيفة وابن أبي ليلى، فلم يعرضا لها وأتى الأعمش فقال للرسول: هاتها. فقال: حجتك. قال: تسأل أبا حنيفة وابن أبي ليلى عن أفعه أهل الكوفة بعدهما فإنهما يدلانك علي، فتجيز شهادتهما

(1) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، 2/107.

(2) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، 2/109.

(3) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، 2/177.

لي وتبطلها لأنفسهما فأتى الرجل المنصور فأخبره فقال: صدق (1).

قال الأعمش: إذا رأيت العالم يأتي باب السلطان فاعلم أنه لص (2).

عد إلى ما كنت عليه من الخرس:

كان رجل يختلف إلى الأعمش فيؤثره، وكان أصحاب الأعمش يسوؤهم ذلك، ففتشوا الرجل فإذا هو حمار، وكان سكوته للعي. فقالوا: سل الأعمش كما نسأله نحن وخاطبه. فقال له: يا أبا محمد، متى يحرم على الصائم الطعام؟ قال: إذا طلع الفجر، قال: فإن طلع الفجر نصف الليل؟ فقال الأعمش: عد إلى ما كنت عليه من الخرس (3).

إن لم يشتربسبعة أبيعة بستة؟:

قال الأعمش: دخل رجل داراً فسرق طستاً، فلما خرج رأى علي باب الدرا نفراً، فالتفت إلى الدار فقال: إن لم يشتربسبعة أبيعته بستة؟ يوههم أنه دفع إليه لبيبعه (4).

امرأة ورثت مالاً من زوجها كله؟:

قال الأعمش لإبراهيم النخعي: ما أعلم عندك شيئاً إلا وقد أخذته؛ قال: فما تقول في امرأة ورثت مالاً من زوجها كله؟ قال: لا أدري؛ قال: هذه امرأة أعتقت عبداً ثم تزوجته ثم مات، فورثت الربع بالتزويج والباقي بالولاء (5).

لا يحسبنا شاء:

قال أبو بكر بن عيَّاش: رأيت على الأعمش فروة مقلوبة، صوفها خارج، فأصابنا مطرٌ، فمررنا بكلبٍ فتتحَّى الأعمش وقال: لا يحسبنا شاء

(1) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، 4/94.

(2) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، 4/196.

(3) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، 7/192.

(4) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 1/149.

(5) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 1/363.

تدرون ما قالت الأذن؟:

قال حفص بن غياث: خرج إلينا الأعمش يوماً فقال لنا: تدرون ما قالت الأذن؟ قلنا: وما قالت؟ قال: قالت لولا أنني أخاف أن أقمع بالجواب لطلت كما طال اللسان قال حفص: فكم من كلمة غاظني صاحبها منعني جوابها قول الأعمش (2).

كيف أنت، وكيف الحال؟

قال الأعمش: أدركت أقواماً كان الرجل منهم لا يلقى أخاه شهراً وشهرين فإذا لقيه لم يزد على كيف أنت، وكيف الحال، ولو سأله شطر ماله لأعطاه، ثم أدركت أقواماً لو كان أحدهم لا يلقى أخاه يوماً سأله عن الدجاجة في البيت، ولو سأله حبة من ماله لمنعه (3).

حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ:

وقال الأعمش: كانت عندي شاة فمرضت، وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هي استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد أجلس عليه فكان إذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل إليّ من علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ (4).

إسناد حديث:

وسأله رجل عن إسناد حديث، فقام وأخذ بحلقه وأسنده إلى الحائط يخنقه، وقال: هذا سنده (5).

(1) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 443/1.

(2) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 185/1.

(3) أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصدق، 19/1.

(4) ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، 178/1.

(5) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، 136/1.

من أين لك هذا؟:

سأل الأعمش أبا حنيفة عن مسائل، فقال: من أين لك هذا؟ قال: مما حدثتنا به، فقال: يا معشر الفقهاء أنتم الأطباء ونحن الصيادلة(1).

هم الذين يحفظون عليك دينك:

أبو بكر بن عياش: كنا عند الأعمش ونحن صبيان نكتب الحديث، فمر صديق له فقال: من هؤلاء؟ قال: هم الذين يحفظون عليك دينك(2).

كل لا خير فيه:

الأعمش عن أبي وائل مثل: قراء هذا الزمان كمثل غنم. ضوائن ذات صوف عجاف، أكلت من الحمض، وشربت من الماء حتى انتفخت خواصرها، غمرت برجل فأعجبته، فقام إليها فحبس منها شاه فإذا هي لا تنقى، ثم مس أخرى فإذا هي لا تنقى، ثم مس أخرى فإذا هي كذلك، فقال: كل لا خير فيه(3).

* * *

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار، 311/1.

(2) الزمخشري، ربيع الأبرار، 315/1.

(3) الزمخشري، ربيع الأبرار، 327/1.

الشعبي

الشعبي

أعلام الظرفاء

الشعبي

والشعبي: هو عامر بن شراحيل الكوفي عالم أهل زمانه، وكان حافظاً علامة ذا فنون، كان يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء، وأدرك خلقاً كثيراً من الصحابة، وعاش بضعاً وثمانين سنة.

وكان رحمه الله تعالى من نوادر الحفاظ، ما يسمع شيئاً إلا حفظه، حتى إنه كان إذا دخل السوق يضع في أذنيه كرسفاً - أي: قطناً - ويقول: حتى لا أسمع أقوال الناس فأحفظها؛ لأنه كان كلما سمع شيئاً حفظه، ولهذا لم يكن يكتب، ولا يحتاج إلى الكتابة؛ لأنه كان يستمع الشيء فيحفظه، وهذا من النوادر التي يقل وجودها في الناس، أي: الحافظة الخارقة، وله نظراء من الحفاظ المعروفين.

مر رضي الله عنه برجل يغتابه فأنشد:

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر :: لعزة من أعراضنا ما استحلت
وكان يقول: إياكم والقياس في الدين فإن من قاس فقد زاد في الدين، وكان يقول: لأن أقيم في حمام أحب إلي من أن أقيم بمكة قال سفيان رضي الله عنه: إعظماً لها وخوفاً من وقوع ذنب فيها، وكان يقول: اتقوا الفاجر من العلماء، والجاهل من المتعبددين، فإنهما فتنة لكل مفتون، وكان رضي الله عنه يقول: لم يحضر وقعة الجمل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أربعة علي وعمار وطلحة والزبير فإن جاؤوا بخامس فأنا كاذب، وقيل له مرة: يا فقيه فقال: لست بفقيه، ولا عالم إنما نحن قوم سمعنا حديثاً فنحن نحدثكم بما سمعنا، وإنما الفقيه من تورع عن محارم الله عز وجل، والعالم من خشي الله تعالى بالغيب، وكان رضي الله تعالى عنه يقول: تعايش الناس بالدين زمناً طويلاً حتى ذهب الدين، ثم تعايشوا بالمروءة زمناً طويلاً حتى ذهبت المروءة، ثم تعايشوا بالحياء زمناً طويلاً حتى ذهب الحياء،

ثم تعايشوا بالرغبة والرغبة، وسيأتي بعد ذلك ما هو أشد منه.

وكان يقول: ليتني لم أتعلم علماً وددت أن أخرج من الدنيا كفافاً لا علي ولا لي، وكان رضي الله عنه يقول: ما بكينا من زمان إلا وبكينا عليه، وكان رضي الله عنه يقول: أدركنا الناس وهم لا يعلمون العلم إلا لعائل ناسك وصاروا اليوم يعلمونه لمن لا عقل له ولا نسك.

ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلاً نحيفاً، ولد لسبعة أشهر. وسئل عما بلغ وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيهاً، شاعراً. واختلفوا في اسم أبيه فقيل: شراحيل وقيل: عبد الله. نسبته إلى شعب وهو بطن من همدان.

روي أن ابن عمر رضي الله عنه مر به يوماً وهو يحدث بالمغازي فقال: شهدت القوم وإنه أعلم بها مني. وقال الزهري: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام. ويقال إنه أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحكى الشعبي قال: أنفذني عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم، فلما وصلت إليه جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبتة، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده، فحبسني أياماً كثيرة حتى استحثت خروجي، فلما أردت الانصراف قال لي: من أهل بيت المملكة أنت فقلت: لا، ولكني رجل من العرب في الجملة، فهمس بشيء، فدفعت إلي رقعة وقال لي: إذا أدبت الرسائل إلى صاحبك فأوصل إليه هذه الرقعة، قال: فأدبت الرسائل عند وصولي إلى عبد الملك وأنسيت الرقعة، فلما صرت في بعض الدار أريد الخروج تذكرتها، فرجعت فأوصلتها إليه، فلما قرأها قال لي: أقال لك شيئاً قبل أن يدفعها إليك قلت: نعم، قال لي: من أهل بيت المملكة أنت قلت: لا، ولكني من العرب في الجملة. ثم خرجت من عنده، فلما بلغت

الباب رُدَدَت، فلما مثلت بين يديه قال لي: أتدري ما في الرقعة قلت: لا، قال: اقرأها، فقرأتها فإذا فيها “عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره”، فقلت له: والله لو علمت ما حملتها، وإنما قال هذا لأنه لم يرك، قال: أفتدري لم كتبها قلت: لا، قال: حسدني عليك، وأراد أن يغريني بقتلك، قال: فتأدى ذلك إلى ملك الروم فقال: ما أردت إلا ما قال.

وكان أعرابي يجالس الشعبي ويطلب الصمت، فقال له الشعبي يوماً: ألا تتكلم فقال: أسكت فأسلم وأسمع فأعلم؛ إن حظ المرء في أذنه له، وفي لسانه لغيره.

وقال رجل للشعبي كلاماً أقذع فيه فقال له: ان كنت صادقاً غفر الله لي وإن كنت كاذباً غفر الله لك.

وكان موسراً يشتري اللحم في كلِّ جمعة بدرهم واحد، وكان يقول: لدرهم أعطيه في النوائب أحبُّ إليَّ من خمسة أتصدق بها. - مرَّ على قوم وهم ينالون منه ولا يرون، فلما سمع كلامهم قال “من الطويل” : هنيئاً مريئاً غير داء مخامر :: لعزّة من أعراضنا ما استحلّت وسئل الشعبي عن الرجل يعسر عن الأضحية ولا يجد ما يشتري فقال: لأن أتركها وأنا موسر أحب إلي من أن أتكلفها وأنا معسر.

وقال الشعبي: كانت درة عمر رضي الله عنه أهيب من سيف الحجاج؛ وقال أيضاً: من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها.

* * *

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربُّنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله، غير مكفٍّ ولا مكفور ولا مودَّع ولا مستغني عنه ربُّنا، ونسأله أن يوزعنا شكر نعمته، وأن يوفِّقنا لأداء حقه، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يرزقنا الشهادة في سبيله، وأن يجعل ما قصدنا له في هذا الكتاب وفي جميع أقوالنا وأفعالنا خالصاً لوجهه الكريم، ونصيحة لعباده. فيا أيها القاريءُ له، لك عُثمُه وعلى مؤلفه عُرمُه، لك ثمرُته وعليه تبعُته، فما وجدتَ فيه من صوابٍ وحقٍّ فاقبله ولا تلتفتْ إلى قائله، بل انظر إلى ما قال لا إلى من قال وقد ذمَّ الله تعالى من يردُّ الحقَّ إذا جاء به من يبغيضه، ويقبله إذا قاله من يحبه فهذا خُلِقَ الأمة الغضبية أي: اليهود. فقد قال ابن القيم رحمه الله: اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضاً، وردَّ الباطل على من قاله وإن كان حبيباً.

وقرر أنه لا يردُّ كل قول من أخطأ جملة، بل لا بد من تمييز الحق من الباطل، فقال: “فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات”.

وقال أيضاً: “.. فإن كل طائفة معها حق وباطل، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق، ورد ما قالوه من الباطل، ومن فتح الله له بهذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب، ويسر عليه من الأسباب” (1).

إذا مر بك - يا أخي - ما لا يعجبك فلا تصعّر خدك، ولا تعرض بوجهك، ولا تسأل لسانك، ولا تجلب بخيلك ورَجلك، وخذ من الكتاب ما

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص378.

يعجبك واتهم الفهم.

فَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَاحِحًا :: وَآفَتْهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ
ولا يصدنك عن الحكمة قائلها؛ فقد يقول الحكمة غير الحكيم، وتكون
الرمية من غير الرامي، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه.

اعْمَلْ بَعْلَمِي وَغَضِّ الطَّرْفَ عَنْ زَلَلِي :: يَنْفَعُ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي
وما وجد القارئ فيه من خطأ، فإن قائله لم يأل جهد الإصابة، ويأبى
الله إلا أن يتفرد بالكمال، كما قيل:

والتَّقْصُّ فِي أَصْلِ الطَّبِيعَةِ كَامِنٌ :: فَبَنُو الطَّبِيعَةِ نَقَضُوهُمْ لَا يُجْحَدُ
وكيف يُعَصَّمُ مِنَ الْخَطَا مِنْ خُلِقَ ظُلُومًا جَهُولًا، ولكن من عُدَّتْ
غلطاته أقرب إلى الصوابِ ممن عُدَّتْ إصاباته، وعلى المتكلم في هذا
الباب وغيره أن يكون مصدر كلامه عن العلم بالحق، وغايته النصيحة
لله، ولكتابه، ولرسوله، ولإخوانه المسلمين، وإن جعلَ الحقَ تبعاً للهوى:
فَسَدَّ الْقَلْبُ وَالْعَمَلُ وَالْحَالُ وَالطَّرِيقُ..

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين
محمدٍ وعلى آله أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه

د. رجب محمود إبراهيم بخيت

* * *

الفهرس

4	المقدمة.....
9	الفكاهة والضحك في الإسلام:
19	الصحابي نعيم بن عمرو
30	جحا
40	مواقف من حياته:
40	ليس يعرفك إلا سليمان بن داود الذي حبسك:
40	كل شيء لا تأخذه اليد لا يفقد:
41	ويستريح من ضغطة القبر ومسألة منكر ونكير:
41	يحفر له أبار ونكبسه فيها:
41	يخاف أن يطلب مني الأجرة:
41	باعه صاحبه بالبراءة من كل عيب:
42	لثلا يختلط الحنطة بالشعير:
42	بمائة درهم:
43	أصحاب النذور يعطون لا يأخذون:
43	يا بني لا تقم الصلاة فإني على غير وضوء:
43	سحابة في السماء كانت تظلمها:
43	هل كان لصاحبكم قرون:
44	أيكمأ أبو مسلم؟! :
44	المعارض مع أمه:
44	وليس للثالث شيء:
44	رأيتم جنازة جارية حبشية:
44	في حاجة للبلغة:
45	بارك الله لنا في الموت وفيما بعد الموت:
45	ما لكم؟:
45	فما سأل منه شيء ⁰ :
45	احفظ الباب:
46	الموضع أقرب:
46	فأخبروه:
46	كان فيها درهم ثقيل:
46	رؤوس الحق:
46	بقاء أمه:
46	اسكتي أنا أبي:
46	حتى يضطلوا بهذه النار:

- 47 الوجه المستطيل:
- 47 أصل تينك:
- 47 لا تحملوها:
- 47 في مجلة بني فلان:
- 47 لكسرت أنفك:
- 47 ويطفو فوق الماء:
- 47 ومن أين لك خردل تأكله به:
- 48 بقي الطي:
- 48 خشيت أن أوجعه:
- 48 إن صدقت الرؤيا مطرنا خرا:
- 48 أهل السجن يضرطون الليل والنهار:
- 48 من له يحلف إذا كذبت:
- 49 وأما ديوك الناس لا:
- 49 لا تساوي أربعة دراهم:
- 49 الطريق يا حمصي!:
- 50 **أشعب بن جبير**
- 53 مواقف من حياته:
- 53 خلطان لا تجتمعان في مؤمن:
- 53 فذاك أريد:
- 53 أحسن النشر:
- 53 لعلهم يهدون إلينا فيه:
- 53 وإنك لتعلم ما نريد:
- 54 عجبت أن تغلح أو يفلح أبوك:
- 54 هل رأيت أطمع منك؟:
- 54 ما فعلت ولكني أفعل:
- 54 لا أكل لحم أبداً:
- 55 قبل أن يوحى الله إلى النحل:
- 55 التسع خصال لك:
- 55 يسألون عن أحاديث الملوك ويعطون عطاء العبيد:
- 55 ما كنت فاعلاً بي شيئاً من ذلك:
- 56 شجرة الموز:
- 56 خبر أشعب مع زيد بن عمرو بن عثمان زوج سكينه بنت الحسين:
- 57 خبر ابن سريج المغني مع سكينه بنت الحسين عليهما السلام:
- 61 ولو لم أقطع الحروف لماتت فرحاً:
- 61 وما أصنع به وهو في بطنك؟!:
- 62 فضحتني في الناس:

62	من الطمع!
63	دية ماذا؟!
63	رعبتني ربك الله:
64	فما أنت صانع؟:
64	إذا ناجيت ربك فناجه بوجه طلق:
65	فهو أحب إلي:
65	هذا عملك الخبيث:
65	اشربه أنت من الطمع:
65	قد أخذني القولنج:
66	الأساء التي عرضت على آدم:
66	عمر الأبد:
66	أعتق ما أملك:
66	سالم قد فتح باب صدقة عمر:
66	عرقوب رب البيت:
67	ثم قام فانصرف:
67	يقرقر مثل الدجاجة:
67	كلباً يتبعني أربعة أميال على مضغ العلك:
67	لا تعشنا:
68	أشعب والغاصري:
68	نصفها حق ونصفها باطل:
69	لكثرة شكرك الله:
69	فأنا أؤخرك ما شئت ولا أسلفك:
69	يحترق تحتها من دفن فيها:
69	ألم ينهكم سليمان بن داود أن تخرجوا بالنهار:
70	لعل يوماً يهدي إلي فيه شيء:
70	إلا وفي نفسك خير تصنعه بي:
70	احلف أنه لم يؤص لي بشي قبل موته:
70	إنك لمطاعة!!:
70	لا أذوق بصلية أبدا:
71	ولا تصدقن بالنفاس:
71	فغدوت في أثرهم:
71	ولكن يشتريه بعض الأشراف:
71	ما لا تطيب نفسي بتركه:
72	أصطي بناره:
72	حتى يخرج بينها مزامير داود:
72	ولقد حسده على ذلك:

- 72 لأنه لم يُخالطها رياءٌ:
- 72 وَقَعَ عند غير شاكر:
- 72 فمن أشبهت أنت؟:
- 72 ولو لا أن يتحدث الناس لأجزلت لك الجائزة:
- 73 ففيم قعودك وقد خرج الناس؟:
- 73 ولكن خذ هذا العود فلعلك تعود:
- 74 فبدر إليه أشعب فمزقه:
- 74 فهي أدركت أباك وأكلته:
- 74 عمر هذا الجدي بعد أن ذبح وشوي أطول منه قبل ذلك:
- 75 ما فعلت ولكنني أفعل:
- 75 مالك قد جئت خائباً؟:
- 75 لعل الشيطان يتشبه بك:
- 76 بل أعطوه مائة دينار:
- 77 أتدري في أي شيء أموت؟:
- 79 فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تهلكيني:
- 79 من أين وقعت على هذا؟:
- 81 إذن نوفرهما عليك:
- 81 هذا يحرق الفؤاد:
- 82 أظننت أنه يذبحك؟:
- 83 هما جورب وقلنسوة:
- 83 لله دركم يا أهل مكة، ماذا أعطيتهم!:
- 84 يا أُخْتُ ناجية السلام عليكم
- 85 ووفي عبد الله لأشعب بالمائة دينار:
- 90 **أبو العيناء**
- 93 مواقف من حياته:
- 93 فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير:
- 93 فما كان فيهم رشيد:
- 93 لم أكن مع اللص فأخبرك:
- 93 ولست منهم:
- 94 ما كنت أظن هذا النسل إلا قد انقطع:
- 94 لكل جديدة لذة:
- 94 ما لي لا أسمع الصراخ عليه:
- 94 فتركتني رحمة:
- 94 تشركني في الفعل، وتفردني بالتعجب:
- 94 لولا أنه ضرير:
- 95 إلى متى تمدح وتهجو؟:

95	ذهب بصره فعظمت حيلته:
95	وبها غلبت أبا الصقر بالأمس:
95	ماؤها أجاج وحرها عذاب :
96	أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس:
96	الآجال آفات الآمال:
97	من أسأله مثلك قليل:
97	لا أستقل قليلك ولا أستكثر كثيرك :
97	مولى القوم منهم:
97	هذا والله شر:
98	الولد للفراش وللعاهر الحجر:
98	أبو العيناء وابن أبي داود :
98	هو مشغول:
98	في أي باب هذا؟:
99	التي ما بين جبة ودراعة :
99	كتاب أبي العيناء إلى أبي الصقر:
99	أول من أظهر العقوق لوالدبه:
100	بين أبي علي البصير وأبي العيناء:
100	ولا أعدم أنصاراً من الأحرار:
101	ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى:
101	قل للحمار الذي فوقك:
102	هما الخمر والميسر:
102	قدر أو قبر؟:
102	بين أبي العيناء وابن الزيات:
103	دابة أبي العيناء:
104	جواب لأبي العيناء:
104	أبو العيناء لا ينسى ما حفظ:
105	أبو العيناء وأحمد بن الحسن بن المثنى:
105	أبو العيناء في دار الواثقي أمير البصرة:
105	منافرة بين ضريرين:
106	أبو العيناء يرثي الحسن بن سهل:
106	إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون:
106	أخاف أن أحملك عليه فتقطعني ولا أراك:
106	اذكريني بالمنع:
106	أنت أيضاً يا أعمى:
106	أحطت بما لم تحط به:
107	فبردها بشعر ك:

- 107 لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً.
- 107 على ظهرك إذا نزلت:
- 107 أنت ابنة ثلاثين سنة منذ ثلاثين سنة:
- 107 إلى من تختلف اليوم؟:
- 107 قد أبلعتك دجلة والفرات:
- 108 ما تقول في ابني وهب؟:
- 108 ولكن تجمع بينهما بالترك:
- 108 أهذا المنزل؟:
- 108 إن أنكر الأصوات لصوت الحمير:
- 108 ركوب أصغر أولادك:
- 108 وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه:
- 109 إذا فرغت لم أحتج إليك:
- 109 هذه علامتي فيمن أعنتني به:
- 110 وأنت سائل كل باب:
- 110 طالت أيامه:
- 110 كسب الكناسين لا يكون له بركة:
- 110 صور نفسك:
- 110 لا تلمني يا أمير المؤمنين:
- 110 يشتهي أن أرى الشيطان:
- 111 ما هذا الذي أراك تفعله؟:
- 111 ليعلم الناس نعمة الله عليهم:
- 111 سماعون للكذب أكالون للسحت:
- 111 ودار الضرب في سراويلي؟:
- 111 وتدعني امرأتك أن أصوم:
- 111 وتصدق أنت صبيان دربكم:
- 112 كادت هذه القدر أن تكون نسباً وصهرأ:
- 112 شهد عليك أنتن عضو فيك:
- 112 هذا والدق سواء:
- 112 إنما يعطيه من كفر به:
- 112 هذا العنوان، فكتاب من أنت؟:
- 113 إن الشهود عليك كثير:
- 113 ويوم القيامة كل نفس بما كسبت رهينة:
- 113 ففني شغله أريد لقاءه:
- 113 لأنه لا يثق بالمدعو:
- 113 تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى:
- 114 ولكن متمرغ فسقك:

114	لميّة مجهزة أصلح من عافية على يد ابن عتاب:
114	يحتاج عقلك إلى صمتٍ يستره:
114	لو رآك لترشفك:
114	فكيف عقل والدتك؟:
114	من طالب السلطان احتاج إلى ثلاث خلال:
115	فحاجتي إذا صيفية:
115	تأبى نعماك أن أجده:
115	إذا رضي عشنا في نوافل فضله:
115	فمن صدقه حرمان فكيف يكون كذبه؟:
115	لرأيت عبداً لك لا ترضاني عبداً له:
116	إن الدهر كله غد:
116	لم ترض بذبحها حتى تذكيتها:
116	إني بك لعارف:
117	وعجلت إليك رب لترضى:
117	إلا دعوة مظلوم:
118	منذ ثلاثين سنة:
118	هذه المسورة:
118	لأنك كما أنت وضوء:
118	فرددناه إلى أمه كي تقر عينها:
118	الأمور ليست إليهم:
118	وقت انتشار السؤال:
119	أعزه الله؟:
119	بها يشبهك:
119	أسوةً بآل محمد صلى الله عليه وسلم:
119	فلم أنت مطلق؟:
119	من رسائل أبي العيناء وكلامه المستحسن:
120	كلامٌ لأبي العيناء في الكتاب والشعراء:
122	كلامٌ لأبي العيناء في ذم الوزراء:
125	وفي علم الله ما كفاك:
126	عقم والله البيان:
126	أحمد الله على ما تأتت إليه أحوالك:
126	ولكنني رأيت الحزم أخذ العاجل:
127	أمل كاذبٌ:
127	ويزيدك إذا زدت:
127	لو حدثت أحداً حدثتك:
128	حتى تكون فوق من أنت دونه:

128	ناد عليه بالبراءة ممّا فيه:
128	أنا لم أعلم إني اشتريت جالينوس:
130	وإذ هو عز وجل:
130	احفظ مكاني حتى أجيء:
130	يعرض أقوال النحويين على رجل يموت:
130	ولدت أيام البراغيت:
130	يا أبا العيناء ما هذا؟:
131	الطينة الملعونة والدعوة المشؤومة:
131	قد أحسنت في إساءتها:
132	أنت الحال:
132	لا أكثر الله في المسلمين مثله:
132	فقد الشباب وفرقه الأحباب:
133	بينهما جوع يقلقل الكبد:
133	سورة الحمد:
133	لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه:
133	ما أرانا إلا كما كنا:
134	فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين:
134	حجتك الداحضة.. أبلغ من حجة غيرك البالغة:
135	بين أبي العيناء وابن ثوبة:
136	المحسن في كلامه ابتداء والمسيء انتهاء:
136	تحريض الوالي على الإكتساب:
136	وصف الحسد بأنه أعظم عداوة:
136	الحكم بين فاضل ونذل:
137	لتأتيك بولد مثلي!:
137	أعرف الناس بعوار الناس المعور:
137	ومحنة لا منحة:
137	مسنا وأهلنا الضر:
137	دابة الأرض:
137	وما يعدهم الشيطان إلا غروراً:
138	ما ولاك؟:
138	ماذا يكون كذبه؟:
138	اخسؤوا فيها ولا تكلمون:
138	أين درب الخلاوة؟:
138	الهوى:
138	فما كان الذنب؟:
139	فما زال الموتى يغطونكم ويرحموني بكم:

139	ولسانك الذي هو تحذير:
141	إن مسخ الله بعض قضائنا حماراً أصبت حاجتك:
142	وكيف ذلك؟:
142	تأبى نعيمك أن أجده:
142	إيش أنكرت؟:
143	أخشى والله أن أموت من الفرح:
143	هم الذين جلوا بكلامهم الأبصار العليلة:
143	والله ما فيك من العقل شيء:
143	فلهذا غلبت أبا الصقر بالأس:
145	بين ابن مكرم وأبي العينة:
145	إذاً لا يعود إلينا منك شيء:
145	قارورة زنبق:
145	أي شيء تشتهي؟:
145	هل رأيت طالباً قط حسن الوجه؟:
146	أمان العينة من الغداء:
146	ليس دونها حجاب:
146	أبو العينة لا ينسى ما حفظ:
147	أبو العينة في دار الوثائق أمير البصرة:
147	لبقي منها ما يقضي عليك:
147	إن القضاء لا تفتي:
148	حملتني عليه أو حملته علي:
148	أصبحت بلا بغل:
148	ما هذا الذي أراك تفعله؟:
150	أبو دلامة
152	مواقف من حياته:
152	شهدت تسعة عساكر انهزمت كلها:
153	هب لي كلباً:
153	يقولون ما لا يفعلون:
154	ونصف النصف في صك قديم:
155	ووفي له بما ضمنه أبو دلامة وزاد عليه:
157	ينخرق قميصي يا أمير المؤمنين:
157	كلامك مسموع وشهادتك مقبولة:
158	قد خدعانا والله:
158	وخنزيراً إذا وضع العمامة:
158	وكننا نرجي منحة من إمامنا:
159	اجعلوها كلها عامرة:

- 160 ولم أبحث عنك:
 160 ولا ربك لقمان الحكيم:
 161 كان لي مكرما وهو الذي جاءني من البدو:
 162 ولا الثناء على دينه بمحمود:
 163 نار الله المؤصدة التي تطلع على فؤاد الربيع:
 164 له لو حدثت الشيطان لأضحكته:
 164 فلا تفرح فقد دنت القيامة:
 165 فهنيئا لهما كل امرئ يأكل زاده:
 165 حمادة بنت عيسى:
 166 على أن تحبها لي بين السماء والأرض:
 167 حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم:
 168 فتعاونوني عليه حتى أخصيه:
 169 أفلت من بلاء عظيم:
 170 ما أفلح قط:
 170 ولكن هذا بديع يريد الهروب:
 171 لأنك لا تعرف المدح من الهجاء:
 171 كيف يكون عجانه في ظهره؟:
 172 فر من الموت وفي الموت وقع:
 172 ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتماعا:
 172 فأراني ميتا ولا أدري:
 172 حتى تذهب حياها:
 175 **مزبد المدني**
 177 مواقف من حياته:
 177 ومن يضمن عشائي أصلحك الله؟:
 177 وفيه ولد بيونس بن متى؟:
 177 هذه القيامة على الريق:
 177 أفأحتمي منها؟!:
 177 وإنما أنزلت بالحجاز في حزيران وتموز وآب:
 178 إن مات مالك احتاج الناس إليك لأحكامهم:
 178 لأنه يعلم سوء المنقلب:
 178 ليت لنا ما نأكله بالأصابع:
 178 اللهم اصلبه:
 178 أو تعلمني الزمر؟!:
 179 كيف حبك لأبي بكر وعمر؟:
 179 تحسن الطبخ:
 179 فأين موضعه؟:

179	فجأة:
179	تحتاج القدر إلى لحم:
180	من حفر حفرة سوء وقع فيها:
180	لأنه لا يكون شيء إلا بشيء:
180	ذهب النصف الثاني وبقي ما قبله:
180	وديكي بسبعة:
181	يا أحمق فلم خبأته:
181	وما يمين مزيد أصلحك الله؟:
181	فتبقى بلا وجه:
181	اللهم قنعه حرباً:
181	تحت السرير:
182	فأما العصا فلإنها سهل:
182	خندق على وجهك لا يتحول رأساً:
182	يلقى الله منذ ثلاثين سنة بصحيفته مملوءة خمرًا:
182	إن كان الذي في بطنك لا يشبهني:
182	في هذا الموضع ربة:
183	أربعة أشهر وعشرا:
183	كيف أمرتك؟:
183	وهو على تلك الحال:
183	ومن أين يعلم السمك وهو ميت أني أكلت الجبن؟:
183	والله ما لك عندي ذنب غيره:
184	يذهب شتมนา ضياعاً:
184	رأى شيئاً فرع منه:
184	انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحي إليك:
186	ومن يسره دخول النار بالمجان:
186	وجد المنخل في موضعه، فصار في موضعه:
186	وحكموا لأنفسهم بما أرادوا:
186	رهنٌ تقل رغبة التجار فيه:
186	حنطة أو شعير:
187	أن يكون معك عصاً أو حجر:
187	نقتنع باجتماع الأرجل إلى وقت حلول الأجل:
187	ما أيسر ما طلبت:
187	فواحدة من الله والأخرى منك:
187	بخرها بمثلثة:
187	نصف سنة فيه شهر رمضان:
188	إذاً لا يبقى في الدنيا كلبٌ إلا جاءه وعضه:

188	فيقع فيما أكره:
188	إذا أصبحنا جاءت:
188	مالك ويلك؟:
188	بالطلاق:
188	لأن معك آلة الخمر:
189	كلما أذنب ذنباً:
189	لم لا تكون كفلان؟:
189	لا تصلي:
189	أو ما ترون ظلمة الحلال فيه؟:
189	أحسن حالاً من أحيائنا:
189	ما اشتريته لك بهذا السعر:
190	ما يعرف من الحكم شيئاً:
190	أصلحك الله كيف خلقها؟:
190	هو صائم:
190	وما هذه القصة؟:
191	لم تحلف بالطلاق:
191	أيها أخشن:
193	أبو الحارث جمين
195	مواقف من حياته:
195	ثلاث سمكات:
195	الملائكة والذباب:
195	لما سقطت من بين أصابعه حبة واحدة:
196	وما المرء إلا حيث يجعل نفسه:
196	فمن يحضرها؟:
196	لم يفعل:
196	فوضع بين أيدينا مائدة:
196	ولكنه لقيه بعصا:
197	على رائحة شواء:
197	اسقه ماءً ليس فيه باذنجان:
197	فلما رجعنا كنت أول الموكب:
197	هو ذا تحتاج إلى اللحم:
197	تركه وانصرف:
197	روح العجة:
198	ما تشتهي؟:
198	فرددت عليه بالضمير:
198	وما بين الرغيف والرغيف مد البصر:

198	والرغيفان من عند العصفور:
199	في بطنه قبراً:
199	وكيف علمت ذلك؟:
199	أعرى من الحجر الأسود:
200	في بيتك وأنت تبغضها:
200	غمزه الآخر بحاجبه:
200	كيف تغني جبتك؟:
200	لبزق كل منها في وجه صاحبه:
200	حطلي شراعك:
201	وما كان معهم انفلت:
201	لو صدئ القمر لجلي بأقل من هذا:
201	مرحياً بك يا نصف القرآن:
201	بأي شيء تشبه البدر؟:
202	لما أعارهم:
203	الجماز البصري
205	مواقف من حياته:
205	مرفكم لا يغير الثياب:
205	هات علامة:
206	فضحكت الجارية:
206	ما هم اليوم إلا عصابة:
206	دع عنك هذا:
207	حتى ولاك جزيرة القروذ:
207	الجماز يدعو إلى التوبة فيرفض:
207	قم أخرجنا مما أدخلتنا فيه:
208	ما أعجب أسباب الرزق!:
208	والرزق عند الله لا ينفد:
209	تهاجي الجماز والمعدل:
209	أمه تشهد الفجور والسرور:
210	من الظرف رد الظرف:
210	لو كُنت ذا عَرْض هَجُونَاكَ:
210	كلب في قحف خنزير:
210	إن أنكر الأصوات لصوت الحمير!:
211	حفظه لك أن يقيق فيه:
211	ما أرى في وجهك منها شيئاً:
211	فقد نزلت ملائكة الليل:
211	أتدري لم جاؤوك؟:

- 211 لأنه يشتري الخبز:
- 212 العنزروت:
- 212 نعم بترك العودة:
- 212 أن يصح ما اشتها:
- 212 كم غسلة يصير القميص زراً:
- 212 رغيفاً مقصوص الجناح:
- 213 وما تستحسن منه؟:
- 213 انظر في المرأة:
- 213 على أنك لا تلفح أبداً:
- 213 فخذها في ورقة:
- 214 دعوت أناساً ولم أدع نمل:
- 214 فإذا قرأت كتابي، فأحرقوا القرطاس:
- 215 **بديح مولى عبد الله بن جعفر**
- 217 مواقف من حياته:
- 217 وحشاً من وحوش رقيق الحجاز:
- 217 إن الكريم طروب:
- 217 فعليك ضعف ذلك:
- 218 فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحص برجليه:
- 219 لعل البرق ذاك يعود ناراً:
- 220 لعل الشيخ ضنين بجاريته:
- 221 **عبد الله بن أبي عتيق**
- 223 مواقف من حياته:
- 223 يوم البغلة:
- 224 قد قضيناه عنك:
- 225 هل له من حاجة:
- 225 بغلة الحسن تعجيني:
- 226 حوض القيامة:
- 226 لها أنف ظلمة:
- 226 نجاح الصلح الذي سعى به ابن أبي عتيق:
- 227 ثم عودي إلى ما عودك الله:
- 228 أو ما تدري ما حدث؟:
- 229 الشمس عند رأسه، والقمر عند رجليه:
- 229 وإخلافاه:
- 230 ابن أبي عتيق ونصيب وسعدى:
- 230 فلا إذن:
- 230 قد أحنا في هذه الليلة في البستان:

230	عافاك الله:
230	ستر الله عليك:
231	ما تُطعمنا إلا في كفارة يمين:
231	غاق غاق وطر:
231	سبحان الله ما تترك الهزل؟:
232	أفهمت؟:
232	ثم ركب بغلته وعاد:
232	فهلأ سفاحاً:
232	أخذكم اللحم من بين يدي:
233	ألوى بحُجَّتِي الزامر:
233	يا أصحابي:
233	قد أصبح فانج بنفسك:
234	من مكة للسلام عليك:
236	من أهل ومال وملك؟:
237	أما تستحيي:
237	عمر بن أبي ربيع وامرأة من ربيعة:
237	هل نلت من عزة شيئاً:
237	موت عروة بن حزام:
238	هذا البيت يحتاج إلى حاضنة؟:
238	فإننا كان ثوابي أن أشكر:
239	إن أجاز أهلها ذلك:
239	ما تدع مزحك بحال!:
240	جيران يتشممون الأمان:
240	قصير القميص فاحش عند بيته:
242	جحظة البرمكي
245	مواقف من حياته:
246	وهذا يسير في جنب ما تبلغه الغيرة بصاحبها:
247	إلا الماء:
247	فقطعني عنه:
247	كيف حالك؟:
249	شكاية من لا يعودده إخوانه:
249	ترك مبيع لغلائه:
249	ما معنى مانع نفسه؟:
250	من دعا صديقه ووصف له طعامه وشرابه:
253	علي يا أبا الحسن كيف شئت:
254	أفرغ من فؤاد أم موسى:

- 255 وحسبنا الله ونعم الوكيل:
- 256 وأما إذا كانت حامضةً فلا!:
- 256 فأضحت كالسما على السماء:
- 256 يا قتيل القطائف:
- 257 والله حتى يحفظ تلك السورة:
- 257 إذا حضرت بين هذين الأسدین ضعت أنت وطنبورك:
- 258 فأنا على أي شيء أطرب؟:
- 261 ولكن كان يبقى إلى أن تستوفي أجرتك:
- 261 أهكذا كان أبوك يغنيك؟:
- 261 والله لو كنت بها حسناتٍ ما قبلتها:
- 261 ما البعجة؟:
- 262 كلوا بين يديه حتى يعرق:
- 262 ما رأيت أذل من الرغيف في يدك:
- 262 ولا يكاد يوجد:
- 262 ومن حكمه:
- 263 يكذب عليّ وأكذبُ عليه:
- 263 فحيرني حسنهما:
- 263 فلا تطمع:
- 264 الفضة أخذت الفضة:
- 264 وهؤلاء بنوهم:
- 264 جحظة يصف ضيق العيش:
- 265 لأنني أشبعت من أجعته:
- 266 فقد رحمتهم من الجوع:
- 266 ذنب جحظة إلى الزمان:
- 266 القاضي التنوخي يهدي إلى جحظة البرمكي طيلساناً:
- 268 **سليمان الأعمش**
- 271 مواقف من حياته:
- 271 إنه لكم قلت:
- 271 من يعلق الدر على الخنازير؟!:
- 271 أتضرب لي هذا المثل:
- 271 أنه ليس من القريتين عظيم:
- 272 احمد الله على العافية:
- 272 لأن أعمالهم لا تصعد إلى السماء:
- 272 الناس مجانين:
- 272 في عرض مصيبيتي فيك..:
- 272 هذا علف الشاة:

273	لا أرى أحدا يا أبا محمد:
273	هذا سيدنا:
273	قد أخبرتها بعيوبي كلها:
274	وما عليك أن يسلموا ونسلم:
274	أيكما الأعمش:
274	وترك الأسود يخط في الماء:
274	ما خرجت إليكم:
275	لا بأس بها على غير وضوء:
275	والله إنك لتثقل علي وأنت في بيتك:
275	شفى الله مريضكم بالعافية:
275	من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه:
275	فعليك بخاصة نفسك، والسلام:
276	وإن عاشا إلى حين:
276	واضيق مسكناه:
276	إذن يرجعون بغير قضاء حاجة:
276	وفقدت الأعمش من أجلكما:
276	إن كففت عني وإلا تقيأتها:
277	اكثر بالنصف الآخر وارجع:
277	هلا أشرت بذلك على الكباش!:
277	كثرة فضول الحلاقين!:
277	حاشاك يا إمام ان تكذب على رسول الله!!:
278	سل ابنك:
278	دخولك:
278	هكذا:
278	إن الذي كان يأمر بالمعروف قد مات:
279	تخير ما بعدها:
279	أنا رسول الخاشعين اليك بأنك ثقيل:
279	لا ندرى أين هو:
279	لعلمت ما لقي الخوت من هذا:
280	مثل يضربه الأعمش:
280	عليك لعنة الله:
281	عندك القصّة في الكتاب فاقرأها:
281	لأنه ثقيل السمع:
281	رمانة فشقتها ووضعها بين يديه:
281	ولكنني أعجب من قوم زوجوك:
281	فنكس رأسه:

282	ما دعاك إلى هذا؟:
282	فحلفناه ألا يسأله عن شيء:
282	لم ينقص ذلك من سيئاتك:
283	أين السمك؟:
283	تمام الحجَّ سَجَّ الجمال:
283	دع هذا عنك:
284	إلا اشتكت عيني:
284	ما تنظرين في وجهي؟:
284	أنت ما وجدت أحداً تتزوجين به غير هذا؟:
284	رأيتكم فأبغضتكم:
285	عين الله عليه:
285	برد وسعة:
285	لا يقعد لنا في طريق الخير:
285	فلست أترك منه واحدة:
285	صدق:
286	عد إلى ما كنت عليه من الخرس:
286	إن لم يشتر بسبعة أبيعة بستة؟:
286	امرأة ورثت مالاً من زوجها كله؟:
286	لا يحسبنا شاء:
287	تدرون ما قالت الأذن؟:
287	كيف أنت، وكيف الحال؟:
287	حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ:
287	إسناد حديث:
288	من أين لك هذا؟:
288	هم الذين يحفظون عليك دينك:
288	كل لا خير فيه:
289	الشعبي
294	الخاتمة
297	الفهرس

صدر من هذه السلسلة

- 1 - أعلام الفقه.
- 2 - أعلام الحديث.
- 3 - أعلام التابعين.
- 4 - أعلام التصوف.
- 5 - أعلام الخلفاء الأمويين.
- 6 - أعلام الخلفاء العباسيين.
- 7 - أعلام المؤرخين.
- 8 - أعلام القادة العسكريين.
- 9 - أعلام المفسرين.
- 10 - أعلام الشعراء.
- 11 - أعلام الحكماء.
- 12 - أعلام الظرفاء.
- 13 - أعلام الشيعة.
- 14 - أعلام القضاء.

* * *